ه شاقل
العدد
التاسع عشر
بعد المئة
آذار ١٩٩٠

الكاتب ١١٩

للثقافة الانسانية والتقدم

- سياسة التفكير الجديد .. وحركات التحرر الوطني.
- نلسون مانديلا: خالق المتاعب ومناضل من أجل السعادة.
- المرأة .. في الأسرة الفلسطينية.
- البيرسترويكا والتفكير الجديد وقوانين الديالكتيك.
- الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها وحتى ١٩٥٨.
- من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الأراضي المحتلة.
- حول المعمار الفني لرواية "عينان على الكرمل".
- قدما نحو دفع حركتنا المسرحية إلى الامام.
- ملحق الكاتب لشؤون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية.

لسنا ضد المطالبين بحقهم

شرط ان لا يكون ذلك على حسابنا

Digitized by Birzeit University Library

جنود من حرس الحدود الاسرائيلي يراقبون المصلين عقب خروجهم من المسجد الاقصى المبارك يوم الجمعة ٢٣/٢/١٩٩٠.

Digitized by Birzeit University Library

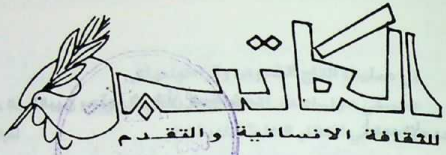

119

Birzeit University

المحرر المسؤول
رئيس التحرير
أسعد الاسعد

هاتف: ٢/٨٥٦٩٣١.
ص.ب ٢٠٤٨٩
القدس

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	أوروبا	بلدان أخرى
للافراد	٣٠	٦٠	٧٥
للمؤسسات	٥٠	١٠٠	١٥٠

العدد (١١٩) آذار ١٩٩٠ - السنة العاشرة No.(119) March 1990

Digitized by Birzeit University Library

سياسة

٤	لسنا ضد المطالبين بحقهم شرط أن لا يكون على حسابنا	أسعد الأسعد
٦	سياسة التفكير الجديد .. وحركة التحرر الوطني	عبد المجيد حمدان
١٣	نسلون مانديلا: خالق المتاعب ومناضل من أجل السعادة	منير سلام
١٨	قائمة بأسماء شهداء الشهرالسابع والعشرين للانتفاضة	الكاتب

دراسات وأبحاث ومداخلات

٢٠	المرأة .. في الأسرة الفلسطينية	نجاح مناصرة
٣٠	البيرسترويكا والتفكير الجديد وقوانين الديالكتيك	صالح رابي
٣٧	الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها وحتى العام ١٩٥٨	سعد عباس عبيد

أدب وثقافة

٤٥	من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة	د. محمد شحادة
٦١	حول المعمار الفني لرواية "عينان على الكرمل"	د. محمود العطشان

Digitized by Birzeit University Library

٦٦	في عمليات انتاج النصوص وقراءتها-مثال تطبيقي حول-اصدار اتحاد الكتاب الفلسطينيين "حكاية في انتظار الحلم" لناهدة نزال	د. الهام أبو غزالة
٨١	تكريم المبدعين من كتاب المناطق المحتلة	الكاتب

فنون

٨٣	قدما نحو دفع حركتنا المسرحية الى الأمام	وليد عبد السلام
٨٩	الى اكرم المالكي .. فسر ما يلي؟؟	وسيم الكردي

قصة

٩٢	جسد الشهيد	د. ابراهيم العلم
٩٥	حيطان من دم	زكي العيلة
٩٩	حجارة على جبين الوطن ..!	نبيل عوده

شعر

١٠٣	نورية في التايغا	محمد الأسمر
١٠٥	العشق والزاد والتعب	منير ابراهيم
١٠٧	ملحق الكاتب لشؤون الفكر وقضايا السلم والاشتراكية	

Digitized by Birzeit University Library

لسنا ضد المطالبين بحقهم

شرط أن لا يكون ذلك على حسابنا

اسعد الاسعد

تحتل مسألة هجرة الآلاف من يهود الاتحاد السوفييتي، مركزا مهما في اهتمامات الشعب الفلسطيني، ذلك لأن الحديث يتعلق باعتزام السماح لأكثر من سبعمئة ألف منهم، بالقدوم تباعا، وخلال ٦-٧ سنوات قادمة، جدير بالذكر، أن عدد اليهود الذين قدموا من الاتحاد السوفيتي خلال الاربعين سنة الماضية وحتى عام ١٩٨٨، لم يتجاوز الأربعين ألفا، ومع ذلك، فقد كانت - على قلتها نسبيا - مثار جدل وقلق شديدين - وكانت الدول العربية، تتخذ من ذلك ذريعة للهجوم على الاتحاد السوفييتي، ومادة خصبة لأعداء الاشتراكية، سواء أولئك الذين رأوا في الفكر الاشتراكي ما يتناقض ومعتقداتهم الفكرية - دينية كانت أم وضعية - أو أولئك الذين يجلسون في أعلى السلم السلطوي، وينفذون سياسات تعتمد اساسا على مبادىء وخطوط تنسجها دوائر الغرب الامبريالية، وعلى رأسها الادارة الاميركية والمتمثلة في ترسيخ وهم - الخطر الشيوعي - والذي ظل ذريعتهم طوال عشرات السنين وحتى الآن حيث اتخذت منه معظم تلك السلطات، ذريعة لتنفيذ قمعها، والتنكيل بالمعارضين لها.

وامعانا في سياستها تلك، سدت أبواب الرزق أمام حملة الدرجات العلمية المختلفة من الدول الاشتراكية، ولوحقوا أينما كانوا، كما غصت بهم معتقلات الدول العربية، لا لذنب اقترفوه، سوى دراستهم في الدول الاشتراكية، بالاضافة الى ذلك، فقد قوطعت الدول الاشتراكية، اقتصاديا، وامتنعت معظم الدول العربية عن اقامة علاقات دبلوماسية معها.ولم تشفع لها مواقفها المبدئية تجاه قضايانا الوطنية، وخصوصا تجاه قضية العرب المركزية، بمعنى آخر، لم يكن هناك انسجام بين مواقف الدول الاشتراكية من قضايانا، ومواقف الدول العربية تجاه تلك الدول. فالدول الاشتراكية لم تبخل علينا بشيء ونحن بالمقابل لم نبخل عليها بالعداء ومقابلة الحسنى بنكران الجميل.

أوردت ذلك ليس من باب التبرير، ولكن من أجل التدليل على تورط الأنظمة العربية، ومن لف لفها، في مواقف لا تنسجم حتى مع مصالح الامة العربية نفسها، ولعلها تدرك الان

Digitized by Birzeit University Library

عاقبة مواقفها تلك. ولو أن ذلك - لو حدث - فسيكون متأخرا، أو كما يقولون، بعد " خراب البصرة ".

ان قسطا كبيرا من المسؤولية، يقع على عاتق الدول العربية، خصوصا، تلك التي ترتبط بعلاقات طيبة، مع الادارة الاميركية، اذ ان الولايات المتحدة، متورطة حتى العظم في تلك المسألة، بسبب قيامها باغلاق أبوابها أمام المهاجرين السوفييت الذين كانوا في العادة يتوجهون اليها، وذلك في خطوة تهدف الى توجيههم الى اسرائيل مباشرة، ليس ذلك فحسب، بل ان عددا من كبار المسؤولين في البيت الابيض، ما انفكوا يطالبون الحكومة السوفييتية بتشغيل خط مباشر بين موسكو وتل أبيب لتمكين المهاجرين من التوجه الى اسرائيل مباشرة.

من جانب آخر، فلست أجد مبررا للاتحاد السوفييتي يدفعه الى القيام بذلك، ويجب التوجه وبشكل واضح للاتحاد السوفييتي لتبيان موقفنا من توطين المهاجرين في المناطق المحتلة والمخاطر المترتبة على ذلك وفي هذا الوقت بالذات، الامر الذي يتناقض ومواقف الاتحاد السوفييتي المبدئية من قضيتنا، اذ ان الديمقراطية والحرية، يجب أن لا تطبق باتجاه واحد، وعلى السوفييت أن يدركوا الأمر من كل جوانبه، اذ ان مسألة الهجرة، ترتبط ارتباطا وثيقا، بحل قضية الشرق الاوسط وفي مقدمتها قضية فلسطين، والتخلي عن هذا المبدأ الجوهري، من شأنه أن يؤدي الى خلل كبير في المعادلة، ولذا فان مسألة هجرة اليهود السوفييت، والسماح بتوطينهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، محك لمصداقية الحكومة السوفييتية، ومحك لمواقفها، التي لا شك في أن ما جرى ويجري في الدول الاشتراكية، وفي الاتحاد السوفييتي نفسه، جعلها عرضة للشك، والتخوف من نتائجها.

ونحن من جانبنا، ندرك المصاعب التي تعترض الاتحاد السوفييتي، والضغوط المتزايدة عليه، ولكنا ندرك أيضا، أن ذلك الأمر - لو تحقق - سوف يزيد من تلك المصاعب، ويضيف مصاعب أخرى، فنحن ننظر الى تلك المسألة بخطورة بالغة، وأهمية قصوى، نأمل معها، أن لا تعصف بما تبقى من ثقة لدينا، وأن لا ينفرط العقد الذي حرصنا عليه نحن الفلسطينيين وحملناه دوما في قلوبنا .

من ناحية ثانية، فان موقفنا هذا من مسألة الهجرة، يجب أن يشكل قاعدة أساسية للتعامل مع أية جهة كانت، بما في ذلك، الاتحاد السوفييتي، وليس صحيحا، ما طرحه السيد محمد عبد الرحيم، في مقالته التي كتبها في عدد "الكاتب" السابق، حيث يخلص الى نتائج تبريرية، أقل ما يقال فيها، أن السيد عبد الرحيم، لا يزال مشدودا ومحكوما "لمظلته" التي يأبى أن يطويها، فالغيم الذي يغطي سماء موسكو، ليس بالضرورة مطرا يهطل على رؤوسنا، ولم يعد هذا الموقف مفهوما، وعليه فان استمرارالبعض غوصا وتحليلا في البيريسترويكا بالشكل الجاري،ليس الا استمرارا لموقف لم يعد مقبولا.

اذ ان موقفنا يتحدد اولا وأخيرا وفق قضيتنا الوطنية ورفض أي موقف آخر - ومن أية جهة كانت،ولا شك في أننا نزن الأمور بهذا، وبهذا فقط، وليس بغيره أبداً، نحن نناضل من أجل حقنا، ولن نكون ضد أحد في سعيه الى حقه، شرط أن لا يكون ذلك على حسابنا، وشرط أن تؤخذ حقوقنا في الحسبان أيضا.

Digitized by Birzeit University Library

سياسة التفكير الجديد..

وحركات التحرر الوطني *

عبد المجيد حمدان

كثيرة هي التساؤلات التي تتردد هذه الايام ، واحيانا يحتدم حولها النقاش ، عن مستقبل حركات التحرر الوطني ، رأس المثلث في التحالف الشيوعي العمالي العالمي ، آفاقها وسبل عملها ، وامكانيات ايصال شعوبها الى شاطيء تحقيق مطامحها الوطنية . واذا كانت السن المثقفين والمهنيين في بلادنا هي الاكثر ترديدا للتساؤلات الا انها وللحقيقة تتجاوزهم الى المواطن العادي. ومن البديهي ان تحتل الاجوبة عليها كل المساحة ما بين التشاؤم التام وبين التفاؤل بامكانيات تحقيق الشعوب لطموحاتها بثمن اقل من المعاناة ، عما كانت تضطر لدفعه في الماضي.

ومن نافل القول الاشارة الى ان منهج التفكير الجديد في العلاقات الدولية الذي طرحه الاتحاد السوفييتي ، ويسترشد به ، واتساع الدوائر العالمية التي تتزايد قناعاتها بصحة هذا المنهج ، وتطالب بسيادته في العلاقات الدولية ، هو مطلق التساؤلات المشار اليها سالفا.

وسياسة التفكير الجديد هي توأم البيريسترويكا او مولودها البكر ان صح التعبير . وهي باختصار شديد نظرة علمية مدققة وعميقة وشاملة لمسألة فعل قانون وحدة وصراع الاضداد على النطاق العالمي ، واستبعاد النظرة المبسطة السابقة التي اقتصرت على رؤية جانب واحد منه اي الصراع الطبقي واقتصار امكانيات حله على وسائل المجابهة وحدها دون تبصر في العواقب او في مسألة الغاء القانون نفسه بعد ذلك.

على مر عقود جرى تبسيط القانون السالف بتحديد الصراع الرئيسي على مستوى العالم بأنه بين الاشتراكية والرأسمالية وان حله يقضي بضرورة الانتصار

*ملاحظة: هذه المادة كانت أساس محاضرة قدمت في ندوة في جامعة بيرزيت.

Digitized by Birzeit University Library

الناجز ، لاحد طرفيه وبوسائل المجابهة العسكرية وحدها . وانغمس طرفا الصراع في سباق تسلح رهيب ، واقيمت العلاقات الدولية على اسس ايديولوجية ، وجرى تقسيم العالم مع وضد. ومع انه كان يشار لتناقضات اخرى ، صنفت بالثانوية ، الا انه جرى تجاهل تأثيراتها وتفاعلاتها كما جرى تجاهل الوحدة التي يجري الصراع في حضنها.

اعادة النظر في فعل القانون السابق وتطبيقاته اوضحت ان العالم مضطر للتوحد في مواجهة اخطار متنوعة ، كل منها على حدة يهدد البشرية وحضارتها بالفناء . كما اوضحت ان حل الصراع الطبقي بالمجابهة يعني بالملموس فناء البشرية اي القضاء على كل الطبقات وسائر مصالحها .

وفي الوقت الذي يتوجب فيه وحدة العالم لمواجهة اخطار الفناء ، سواء كانت قادمة من خطر الحرب النووية والكيماوية ، او من الاخطار الايكولوجية - تلوث البيئة - او تفشي امراض شديدة الفتك مثل الايدز والسرطان ، او التصحر او مديونيات العالم الثالث واتساع الفجوة التكنولوجية بينه وبين العالم المتقدم او ...الخ ، فان الامر الطبيعي ان تستمر الصراعات وبينها الصراع الطبقي ولكن بوسائل اخرى غير وسائل المجابهة .

ومن البداية يمكن الاشارة الى ان بناء الولايات المتحدة وحليفاتها ، وكذلك الاتحاد السوفييتي ، للاستراتيجيات العسكرية على اسس هجومية ، وخلق تقاليد وانماط تفكير وقوة عادة على اساس ذلك ، يوضح حجم الصعوبات التي تواجه العودة الى استخدام، والاحتكام لقواعد المنطق والعقل السليم . من مثل تجاوز الايديولوجيا في العلاقات الدولية ، وحل النزاعات الاقليمية على اساس مبدأ توازن المصالح . وهو ذات المبدأ الذي يجري الاسترشاد به في مسائل خفض ونزع السلاح النووي والكيماوي والبيولوجي ، وخفض الاسلحة التقليدية ... وصولا الى تفكيك الاحلاف العسكرية.. ومنح الشعوب فرصة اختيار النظم الاجتماعية والاقتصادية التي تلائمها ، بدون ضغوط خارجية عسكرية كانت ام اقتصادية ، والتحول عن المجابهة الى التنافس بين النظامين الاجتماعيين واعطاء البشرية الفرصة لاختيار ايهما يقدم حلولا افضل لمشاكله، والانتقال عموما من المجابهة الى التعاون الاقتصادي ، التكنولوجي ، الثقافي ، العلمي ..الخ في مناخ سيادة التعايش السلمي..

لكن الاسترشاد بمبدأ توازن المصالح في حل النزاعات الاقليمية هو بالتحديد ما يثير مخاوف وقلق اصحاب التساؤلات التي بدأنا بها حديثنا .. وللانصاف فان ما تشهده الساحة العالمية ، وخصوصا الاصرار الاميركي على مواصلة انحيازه لاسرائيل وضد قضية شعبنا ، ومحاباة اسرائيل في انتهاكاتها الفظة لحقوق الانسان الفلسطيني وتنكر الحليفتين لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ..الخ ، وبالمثل التغيرات الدراماتيكية التي تعصف ببلدان اوروبا الشرقية ، كل ذلك يضفي نوعا من المشروعية على المخاوف والقلق المثار اليهما ، ويطلق بدوره الجديد من التساؤلات.

والتساؤلات تأخذ مناحي عديدة من مثل الا يتلخص الوضع في ان الولايات المتحدة وحلفاءها يضغطون والاتحادالسوفييتي يتنازل ويتراجع بدون مقابل؟ وهل بالامكان ان تتخلى

Digitized by Birzeit University Library

الامبريالية الاميركية عن نزعتها العدوانية؟ الاتمسك الولايات المتحدة بفرصة الانقضاض على مكتسبات الشعوب دون خوف من رادع يعيد لها التوازن في التفكير؟ وهل هناك نوع من الاتفاق والمقايضة بين الدولتين الكبريين على اقتسام المصالح ومناطق النفوذ؟ وكيف السبيل للشعوب الصغيرة ان تحمي ثرواتها من النهب ، وان تعمل في ظل قانون عادل للمبادلات الدولية ، وان تحمي قبل ذلك استقلالها؟ وقبل هذا وذاك هل تخلى الاتحاد السوفييتي ، بطرحه مبدأ توازن المصالح لحل النزاعات الاقليمية عن التضامن الاممي ودوره الطليعي في نصرة ودعم حركات التحرر العالمي والانظمة غير المتساوقة مع الامبريالية الاميركية؟!

وليست قليلة هي الامثلة والبراهين التي يعرضها اصحاب التساؤلات للممارسات الاميركية للتدليل على مشروعية ما يحسون به من قلق ومن مخاوف بسبب ما يخبئه المستقبل من مخاطر.

والمنصت لبعض المناقشات يستخلص ان القلق والمخاوف مبعثهما ان حركات التحرر الوطني ، على تنوعها ، محكومة بسلوك طريق واحد ووحيد نحو بلوغ اهدافها ، وهو طريق الكفاح المسلح ، دون التفات جدي لجمل التطورات الكبيرة التي شهدها العالم في العقد والنصف الماضي بعد الانتصار الناجز للثورة الفيتنامية . وعقب الانباء التي قالت بان الاتحاد السوفييتي بدأ يحدد كميات ونوعيات الاسلحة المرسلة لسوريا ، ومن ثم ابتعاد املها ببلوغ التوازن الاستراتيجي مع اسرائيل ، وكذلك ما يقال عن توجه لتحصيل ثمن السلاح من طالبيه بالعملة الصعبة ، بعد مثل هذه الانباء ، هناك من يسارع الى الاستنتاج بان طريق الثورة المسلحة قد اغلق في وجه حركات التحرر الوطني . ويضيف هؤلاء: ولما كان المحتلون ، والقوى المضادة تمتلك الكثير من القوة ، حيث ما زالت المخازن الاميركية مشرعة ابوابها لها ، كما انها لا تخشى غير القوة ، فان سياسة التفكير الجديد ، ومبدأ توازن المصالح ، لا يعني في الواقع الملموس غير اسدال الستار على امال حركات التحرر الوطني . وهناك من يتساءل واذا كان الامر غير ذلك فاي سبل بقيت امام هذه الحركات يمكن سلوكها للاقتراب من تحقيق مطامح شعوبها؟!

وكما سبق واشرت هناك مشروعية للاعراب عن المخاوف والقلق المشار اليهما . لكن من غير المشروع ، وبعيد عن الانصاف ، تعميم ظواهر منفردة وآنية ، واستخلاص احكام للمستقبل ، دون الانتباه الى ان منهج التفكير الجديد يشكل عملية نضالية قد تحتاج سنوات غير قليلة لتكريس انتصارها الكامل.

وقد يكون من المفيد العودة لالقاء نظرة تحليلية سريعة على مجريات حركة التغيير العقد والنصف الماضي . فكما هو معروف كانت الثورة الفيتنامية هي الاخيرة التي نجحت في تحقيق انتصار كامل وناجز: بمعنى ان القوى المضادة عجزت عن المس به او اعاقته.

ومما يلفت النظر ان قوى المعسكرين ، الاشتراكي والرأسمالي ، وعبر تبسيط قانون وحدة وصراع الاضداد ، وبناء الاستراتيجيات لحل الصراع الطبقي بالمواجهة وحدها ، ليس فقط انها الحقت تشويهات هائلة بمبادئها ، العدالة الاجتماعية للمعسكر الاشتراكي ، والديموقراطية وحقوق الانسان للمعسكر الرأسمالي ، بل واتضح ان النزاعات الاقليمية وصلت الى حالة مراوحة والى طريق ليس فيه غير الدم والمعاناة وانسداد الافاق امام كسب ناجز لاحد طرفيها . وواكب ذلك نجاح قوى حركات التحرر في شق طريق آخر ، اسقاط الديكتاتوريات ، واقامة نظم ديموقراطية لحد ما من خلال تحريك الكم الجماهيري الهائل.

ومن نافل القول التذكير بان تعريف حركة التحرر الوطني اتسع ليشمل الى جانب القوى ،

Digitized by Birzeit University Library

الجبهات ، الحركات والاحزاب الوطنية المناضلة ضد الديكتاتوريات الفاسدة في بلدانها ، ومن اجل وقف النهب المنظم لثروات بلدانها ، ليشمل انظمة حكم تعارض السياسة الاميركية لسبب او لاخر وتتحدث عن العدالة الاجتماعية وتسلك في الواقع مسلكا يتعارض مع شعاراتها.

ومعروف ان البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفييتي ، من منطلق الواجب الاممي ، قدمت لهذه الحركات والانظمة مختلف اشكال الدعم، والعسكري في المقدمة . ونشأ مع مرور الزمن وضع عجيب اذ ان حركات ونظم ، تغدق على نفسها اوصاف التقدمية والديموقراطية اخذت تتصرف في الواقع بصورة تناقض اوصافها . كما عشش الفساد والانحرافات في اجهزتها وشقت طريق الاسراف السفيه والمنفر. وليس فقط انها فقدت احترام شعوبها بل ان شعارات العدالة الاجتماعية انعكست في ظلم اجتماعي ومصادره للحريات العامة وحتى تنفيذ مجازر ضد شعوبها . واقتصرت اعلاناتها عن الصداقة مع الاتحاد السوفييتي على رؤيتها له مجرد مخزن سلاح تغرف منه متى تشاء ، وتسيء استخدام ما تغرفه كما تشاء ، ودون اي رادع اخلاقي او غير اخلاقي.

وفي الوقت الذي تدعي بعض الانظمة والحركات الفقر ، وتطالب الاتحاد السوفييتي بمساعدات لا ترد تستورد بمئات ملايين الدولارات سلع الرفاه ، وتغرق في الاسراف السفيه ، ومن اسواق اعدائها على وجه التحديد . واكثر تتقدم نظمها خطوات واسعة على طريق التطور الرأسمالي . وفي الوقت الذي تستمر يد من يديها ممدودة لتسلم المساعدات السوفييتية تمتد الاخرى في اتجاه العلاقة المتمناه مع الغرب الامبريالي. وتحت دعاوي الحرص على الصداقة ، وخوفا من استفزاز هذا الصديق ذي الوضع المتقلقل ، فزعله والانتقال لاحضان الامبريالية ، حرص الاتحاد السوفييتي على الامتناع عن توجيه اي نقد لممارسات الصديق التي تتعارض مع اهدافه المعلنة ، وامتنع حتى عن النصح للتراجع عن سياسات وممارسات مخرجة ، ولا تساعد نضاله ، مثل ممارسة الارهاب ، واخرى تستفز معارضة الرأي العام العالمي كالانتهاكات الفظة لحقوق الانسان . وباختصار هناك كثرة من الامثلة والشواهد على ان المساعدات الاممية السوفييتية استغلت لتحقيق اغراض تتعارض عن المعلن عنها. ومع ذلك استمر الاتحاد السوفييتي يؤدي دور البقرة الحلوب لها . ولا يحتاج القاريء لاستعراض امثلة على ما سبق .

الولايات المتحدة من جهتها وفي اطار تطلعها على مدى اكثر من اربعة عقود لحل الصراع الطبقي عن طريق المجابهة وحدها ، وصفت كل حركة تختلف معها بالشيوعية وناصبتها العداء، وداست بفظاظة على شعاراتها عن الديموقراطية وحماية حقوق الانسان ، بتدعيم واسناد كل الانظمة الديكتاتورية المهترئة التي لا حسنة لها غير فتح ابواب بلادها امام نهب الاحتكارات الاميركية . واكثر من ذلك تآمرت واقامت نظما فاشية محل اخرى وصلت للحكم عبر صناديق الاقتراع.

وعلى مدى العقد الماضي اقامت الولايات المتحدة حركات مسلحة من الثورة المضادة اغدقت عليها اسماء من مثل المقاتلين من اجل الحرية . ورغم قيادة الولايات المتحدة لحملات دمغ الحركات المناهضة لها بالارهاب فانها غضت الطرف عن الارهاب الاكثر وحشية التي تمارسه جماعاتها المسلحة.

كما ظلت وفي تقاريرها عن انتهاكات حقوق الانسان في العالم تتجاهل اهدار هذه الحركات والنظم الموالية لها لحقوق الانسان . اكثر من ذلك فان حربها على آفة المخدرات ، والامة

Digitized by Birzeit University Library

الاميركية اكبر ضحاياه ، داومت الادارات الاميركية على غض الطرف عن تحول الحركات المسلحة التي خلقتها ومولتها ، الى بؤر ترويج المخدرات بكل انواعها . وفي حالات غير قليلة كانت وكالة المخابرات المركزية الاميركية هي التي شقت الطريق امام زعماء بعض هذه الحركات للعمل في تجارة المخدرات.

ولما كانت الفترة الممتدة منذ انتصار الثورة الفيتنامية الحاسمة قد شهدت مبادرة قطب الامبريالية العالمية لخلق قوى وحركات مسلحة مضادة للثورة ، وان عقدا من القتال الدامي اوضح ان النصر الحاسم لطرفي الصراع في بؤرة النزاع المعنية غدا امرا بعيد المنال ، كما يعترف بذلك طرفاه ، وان الاستمرار يعني فقط مزيدا من هدر الدماء ، مزيدا من الدمار الاقتصادي ، ومزيدا من اخطار المجاعات وانعدام فرص التقدم ، فان هذه الفترة شهدت ايضا افاقا من نوع جديد تمثلت باسقاط الديكتاتوريات الكريهة عبر الحركة الشعبية الواسعة كما حدث في ايران ، الفلبين ، هايتي ، تشيلي ، كوريا الجنوبية ، الارجنتين ، باكستان .. وغيرها.

والاهم من ذلك فان الانتفاضة الفلسطينية ، والنضال الجماهيري في جنوب افريقيا ، ابرزا امكانيات جديدة على طريق الخلاص من الاحتلال الاجنبي.

ان منهج التفكير الجديد وفي رؤيته المعمقة لفعل قانون وحدة وصراع الاضداد ، في النزاعات الاقليمية ، لم يأخذ في الحسبان فقط امكانية اشعال فتيل النزاع الاقليمي لصراع عالمي يعد البشرية وحضارتها وكنوزها الثقافية والحضارية وثرواتها القومية بالفناء فحسب ، بل وفي ضوء اللمحات التي عرضناها تنبه الى امكانية استمرار الصراع في ظل الوحدة ولكن بوسائل اخرى غير وسائل المجابهة . وعلى هذا الاساس طرحت سياسة التفكير الجديد فكرة حل النزاع الاقليمي على اساس ضمان توازن مصالح الاطراف المتصارعة . وتراعي هذه الفكرة مراعاة دقيقة وعميقة لحقوق الانسان واولها حقه في العيش ، في عدم السقوط ضحية في حرب عبثية كما تشير امكانياتها الواقعية.

ولقد كان اتفاق جنيف لحل المسألة الافغانية اول تطبيقات المنهج الجديد . وظهر في التطورات اللاحقة لابرام الاتفاق وكأن الاتحاد السوفييتي يلتزم به من جانب واحد فقط ، فيما نقضته الولايات المتحدة وباكستان قبل جفاف حبره . وها هي الولايات المتحدة ما تزال ترفض الاعتراف باهمية سيادة هذا المنهاج في العلاقات الدولية ، وفي حلول النزاعات الاقليمية ولا سيما فيما يخص مسألة حل الصراع الفلسطيني والعربي الاسرائيلي . الامر الذي يورده من تستبد بهم المخاوف والقلق على مصير حركات التحرير الوطني كمثال على تراجع الاتحاد السوفييتي وخضوعه للضغوط الاميركية .

ويكون من قبيل السذاجة فقط التصور بان الدوائر الاميركية التي تربت على تقاليد مبنية على النزعة العدوانية ، وكذلك الاحتكارات الاميركية الكبرى ، ستتخلى دفعة واحدة عن محاولاتها للسيطرة والهيمنة لان السوفييت طرحوا رؤية جديدة مقنعة لسريان فعل قانون وحدة وصراع الاضداد ، الذي لا تعترف به هذه الدوائر والاحتكارات لكونه جزءا من ايديولوجية تناصبها العداء.

ولذلك كان طبيعيا ان يتصور المسؤولون في الادارة الاميركية ان اتفاق جنيف بخصوص افغانستان جاء ثمرة لضعف السوفييت ومحاولة للاحتفاظ بماء الوجه والخروج قبل الحاق

Digitized by Birzeit University Library

هزيمة عسكرية واضحة بهم تنال كثيرا من هيبة الدولة السوفييتية . وكما هو الحال في الصراع الفلسطيني والعربي - الاسرائيلي وفي كمبوتشيا،تصور الاميركان ان بالامكان حسم الصراع في افغانستان بزيادة الضغط العسكري . وقد مهدوا لذلك برعاية مكثفة وزودوا المتمردين بوسائل قتالية هائلة لكن النتائج جاءت لصالح الرؤية السوفييتية لسريان مفعول القانون المشار اليه. وما تجدر ملاحظته ان الاتحاد السوفييتي استمر في اداء واجبه الاممي تجاه الحكومة الافغانية وامدها بكل الوسائل اللازمة لمواجهة العدوان وبما في ذلك قوافل الغذاء. ويمكن ملاحظة ان ضغط الرأي العام العالمي اخذ يغير اتجاهه ليؤثر على الادارة الاميركية وفي اتجاه فرض حل يقوم على تحقيق توازن مصالح الاطراف الافغانية المتنازعة كما جرى التعبير عنها في برنامج المصالحة الوطنية التي تعرضه حكومة كابول.. والامر ذاته يلاحظ في كمبوتشيا ، وفي جنوب افريقيا وفي منطقتنا ايضا.

وخلاصة القول ان التطورات العالمية العاصفة اخذت تؤكد على حقيقة تقول بعدم امكانية الجمع بين طرح الشعارات المتقدمة وممارسة سياسة تتناقض معها . وتفعل هذه الحقيقة فعلها على الدول العظمى وعلى حركات التحرر والانظمة التقدمية والرجعية على حد سواء.

ويتضح اكثر فاكثر ان نضال القوى التقدمية سيتمحور حول مرتكزات اساسية غدت مطمح البشرية باسرها ، وهي وقايتها من الفناء من خلال ضرورة توحيد جهودها في مواجهة اخطار الحرب النووية والكيماوية ، وخطر الايكولوجيا والامراض الفتاكة والتصحر ...الخ ، والتقدم على طريق تحقيق العدالة الاجتماعية وضمان الديموقراطية وصيانة حقوق الانسان بصفتها جميعا قيما انسانية رفيعة.

وفي المواقع التي تمارس فيها التعديات على القيم الانسانية المذكورة ستحظى الحركات المناضلة من اجل احقاقها بتعاطف وتضامن ومساعدة جبهة اوسع عما كان الوضع عليه في السابق ، جبهة تمتد على اتساع العالم باسره وتمارس فعلا قويا على القوى المناهضة للتقدم البشري . وسيظل ممكنا كما في السابق استخدام مختلف اشكال النضال بما فيه الثورة المسلحة شريطة ان يراعي مشعلوها وبدقة مزاج الرأي العام العالمي وان يحاذروا من الانزلاق الى ممارسة افعال تثير نفور الرأي العام كالارهاب والاتجار بالمخدرات ... وغيرها.

ان المرحلة القادمة تؤكد على اهمية اعتماد الشعوب على قدراتها الذاتية وابتكار اساليب ناجعة لجمع هذه القدرات في اتجاه خدمة اهداف النضال.

كما ان منهج التفكير الجديد في العلاقات بين الدول سينمو اكثر في مناخ انتهاء الحرب الباردة .. وهو كعملية سيعمل ليس فقط عل ردع الضغوطات العسكرية والضغوط الاقتصادية والسياسية كذلك . واذا ما امكن وقف الضغوط الاقتصادية والتزمت الدول الكبرى بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للاخرين فسيصبح من الممكن الوصول الى اختيار الشعوب للانظمة التي تراها مؤهلة لتحقيق افضل للعدالة الاجتماعية واحلال الديموقراطية وصيانة حقوق الانسان . وقد يكون صندوق الاقتراع احد اهم السبل للوصول لعمل القوى الوطنية على طريق تحقيق مطامح شعوبها.

ان تجربة الانتفاضة توضح كم ستكون رحبة الافاق امام حركات التحرر الوطني ، ومن المؤكد ان تغيير الانظمة في بلدان اوروبا الاشتراكية لن يحرمها حليفا ثابتا بل وسيوسع جبهة الحلفاء الى حدكبير اذ سيضاف الى الحكومات والمؤسسات الرسمية الجمهور العريض ، الذي ظل مغيبا

Digitized by Birzeit University Library

طوال العقود الماضية ، ويمكن قياس قوة تأثير الجمهور الاوروبي الشرقي بمؤسساته ومنظماته الجماهيرية والانسانية المتنوعة بقوة فعل مواقف البرلمان الاوروبي والمنظمات الشعبية والانسانية الاوروبية والاميركية .

لكن نهج التفكير الجديد هو توأم او الابن البكر للبيريسترويكا كما اسلفنا . ونجاحه وقوة فعاليته يرتبط بنجاح البيريسترويكا نفسها . فنجاح البيريسترويكا في حل الازمة الاقتصادية للاتحاد السوفييتي وفي حل المشكلات الصعبة بين القوميات وتوسيع العدالة الاجتماعية باقرانها بالديموقراطية الاشتراكية الاكثر عمقا واتساعا من الديموقراطية البرجوازية ، وتوسيع وصيانة حقوق الانسان وتحول هذه الاخيرة بالتحديد مع العدالة الاجتماعية لاداة ضغط جبارة على الرأسمالية لتوسيع حقوق الانسان فيها بحمايته من البطالة والتشرد والمخدرات وسائر الرذائل الاجتماعية الاخرى ، ان هذا النجاح سيضع العالم على طريق رحب جديد .. وسيفتح افاقا اكثر رحابة امام عمل حركات التحرر الوطني والمطالبة هي الاخرى بالالتزام بالقيم الانسانية المشار اليها قولا وممارسة . ان نجاح البيريسترويكا ليس مصلحة خاصة بشعوب الاتحاد السوفييتي وحدها .. لقد غدا هذا النجاح مصلحة للبشرية التقدمية باسرها.

فيما لو جرى انسحاب اسرائيلي

أجهزة الامن لما يسمى ب " دولة يهودا "
تضع الخطط للحفاظ على المستوطنات الاسرائيلية

ذكرت صحيفة " هآرتس " (٢/٦) أن ما يسمى " بالهيئة الأمنية " لمنظمة " دولة يهودا " والتي تضم في عضويتها عددا من ضباط الاحتياط في الجيش الاسرائيلي بدأت في اعداد خطة تستهدف " الدفاع " والسيطرة العسكرية على مناطق مختلفة في الاراضي المحتلة، في حالة شروع اسرائيل بالانسحاب من هذه المناطق.

وأضافت أنه في المرحلة الاولى سيتم وضع خطة " للدفاع " عن المستوطنات التي ستبقى في منطقة الانسحاب، وفي المرحلة الثانية سيتم وضع خطة للاستيلاء على المناطق المجاورة للمستوطنات.

وأضافت الصحيفة أن عناصر في " دولة يهودا " قاموا باجراء إتصالات مع ضباط أمن المستوطنات اليهودية في الأراضي المحتلة وذلك لأجل الاستعانة بالأسلحة المتوفرة في مخزن المستوطنات لحالة الطوارىء.

وقالت أنه تم التوصل الى إتفاق مع عدد من ضباط الأمن وتفاهم تام حول التفاصيل.

وتشير الصحيفة الى أن " الهيئة الأمنية " لهذه المنظمة اليمينية المتطرفة هي الوحيدة التي تعمل سرا وبعيدا عن أعين الجمهور، وأن باقي المؤسسات التابعة لهذه المنظمة تعمل علنا للسيطرة على الامور في الاراضي المحتلة في حالة إنسحاب اسرائيل منها.

ويرفض زعماء هذه المنظمة الاعلان عن أسماء أعضاء الهيئة الأمنية عدا واحد هو شلومو باوم من خريجي وحدة " ١٠١ " التي كان يتزعمها اريئيل شارون في منتصف الخمسينات وكانت تقوم بأعمال مسلحة ضدالقرى الحدودية في الأردن ومصر.

Digitized by Birzeit University Library

نلسون مانديلا

خالق المتاعب

ومناضل من أجل السعادة

إعداد: منير سلام

سيسجل التاريخ يوم ٢/١١ من كل عام يوما مشهودا في تاريخ النضال الوطني البطولي لشعب جنوب افريقيا، وسيبقى هذا اليوم شعلة مضيئة لكل الشعوب المناضلة من أجل حريتها وتقرير مصيرها بنفسها وفي سبيل تطورها المستقبلي.

لقد كان حدثا غير عادي أن يطلق سراح الزعيم الوطني الافريقي نلسون مانديلا بعد قضاء أكثر من سبعة وعشرين عاما قضاها في غياهب سجون بريتوريا العنصرية لا لشيء سوى أنه آمن بعدالة قضية شعبه، وبصحة الطريق الذي سلكه من أجل تحرر شعبه وسعادته.

هذا الرجل المناضل الذي كان في نظر أعدائه رجلا " ارهابيا " من الدرجة الاولى، سطر خلال الفترة التي قضاها في السجون اسطورة حقيقية ليس فقط لأبناء شعبه، وإنما لكل المناضلين الثوريين الذين يكرسون حياتهم كلها من أجل الاهداف السامية والنبيلة التي حملوها من أجل تقدم شعوبهم وازدهارها. وقلائل هم الرجال الذين يحولون محاكمهم من مُتَّهِمين إلى مُتَّهَمين للسلطة التي تحاكمهم، هكذا فعل جورجي ديمتروف إبن الشعب البلغاري البطل أثناء محاكمة الحزب النازي الهتلري له في محكمة لا يبزغ، وهكذا فعل نلسون مانديلا وأعلن من على منصة المحكمة مخاطبًا قضاته قائلا: " إذا إعتقدتم وأنتم تحاكمونني بالاعدام أن باستطاعتكم القضاء على حركة التحرر، فأنتم على خطأ كبير. إنني مستعد للموت لأنه سيلهم شعبي في نضاله ".

وتابع نلسون مانديلا قوله " كرست نفسي طول حياتي لنضال الشعب الافريقي، كنت دائما آمل في مجتمع حر وديمقراطي يعيش فيه الجميع وسط الانسجام والمساواة، وأنا مستعد للموت في سبيل هذا المثال الأعلى إن لزم الأمر".

لقد أثبتت الحياة بعد أكثر من سبعة وعشرين عاما على قول مانديلا هذا، أن حكام جنوب افريقيا لم يكن باستطاعتهم القضاء على حركة التحرر الوطني لشعب جنوب إفريقيا، ولا القضاء على نلسون مانديلا شخصيا، لما أصبح يمثله، كرمز لشعبه المكافح.

Digitized by Birzeit University Library

إن المجتمع الحر والديمقراطي الذي آمن وناضل من أجله مانديلا وحزبه والقوى الوطنية الأخرى في جنوب إفريقيا، تجري الأمور اليوم وبسرعة من أجل تحقيقه، بالرغم من المعوقات التي تضعها سلطات جنوب إفريقيا العنصرية.

إن إحدى القضايا الاساسية التي راهن عليها حكام جنوب إفريقيا، كانت تتمثل في أن تجري مفاوضات مع " ممثلين " للشعب الافريقي الأسود، يكونون عبارة عن دمى يحركونهم كما يشاؤون، وفي نفس الوقت كانت السلطات تحارب حزب المؤتمر الوطني الافريقي باعتباره " منظمة إرهابية " ولا يحظى باحترام وتأييد السود له. ولكن ماذا يمكن أن يعلق المرء اليوم على ذلك؟!!!.

لقد رفعت سلطات جنوب إفريقيا الحظر الذي فرضته على حزب المؤتمر وكذلك على الحزب الشيوعي وباقي المنظمات الوطنية الأخرى، وهكذا أصبحت تدعو لاجراء مفاوضات مع حزب المؤتمر الوطني، من أجل تسوية سياسية. لقد أعلن حزب المؤتمر الوطني الافريقي عن استعداده لاجراء مفاوضات مع سلطات جنوب إفريقيا، وكذلك أعلن نلسون مانديلا نفسه وكافة قادة الحزب عن إستعدادهم لاجراء المفاوضات وذلك بالتشاور أولا مع الشعب، لأن هذه القضية تعنيه في المقام الأول، وكذلك أعلن عن شروطه بالغاء حالة الطوارىء المعلنة في البلاد وإطلاق سراح كافة المعتقلين السياسيين وعودة المشردين والمنفيين السياسيين إلى بلادهم.

في حالة تحقيق هذه الشروط يكون نضال شعب جنوب إفريقيا قد دخل مرحلة جديدة تضمن الحل السلمي وتطور البلاد، بعد القضاء على نظام الفصل العنصري وذلك من خلال تأمين مشاركة الشعب كله، بغض النظر عن العرق أو الدين أو البشرة في الحياة الساسية بحيث يسود المجتمع الحر والديمقراطي الذي تحدث عنه وآمن به مانديلا.

إن نلسون مانديلا الذي يعني إسمه " خالق المتاعب " قد خلق المتاعب فعلا للنظام العنصري، وحتى لا تذهب متاعبه هذه سدى التف الشعب حوله وحول حزبه وبهذا نال الثقة، وبهذا وضع قطار سعادة شعبه على الطريق الصحيح، والذي لن يتأخر كثيرا عن المسير.

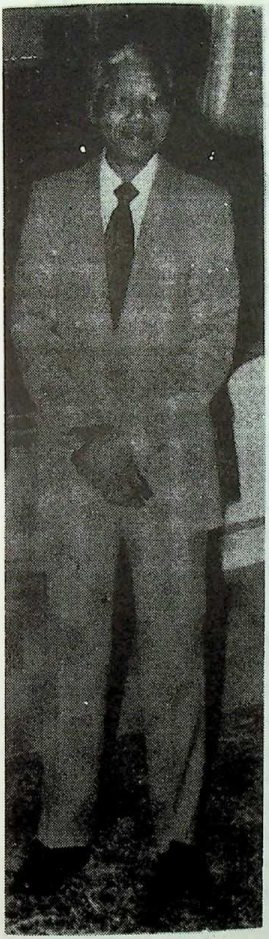

صورة لمانديلا عشية الافراج عنه وهي أول صورة تلتقط له منذ اواسط الستينات.

Digitized by Birzeit University Library

حياة نلسون مانديلا في سطور

ولد نلسون روليلاهلا مانديلا في ترانسكي. كان عليه أن يكون زعيما مطيعا يتدرج عبر درجات السلم الاولى التي مرت بها مراسم بلوغه سن الرشد، ثم المدرسة التبشيرية، ومن بعد كلية فورت - هيير، واخيرا زواجه. لكن طابعه المستقل ظهر في سنوات الكلية، والتهب في عروقه حب جم للسياسة، نراه يتذكر في مذكراته تلك الفترة، وأول معلميه الذين حدثوه: " عاش شعبنا بسلام تحت قيادة زعمائه الدمقراطيين، تنقل أبناؤه في أرجاء بلادهم دون أية تقييدات، عندما كانت أرضنا ملكا لنا بكل حق. كنا نملك الحقول والغابات والانهار. استخرجنا المعادن وغيرها من الثروات الطبيعية لبلادنا الرائعة. كانت لنا حكومتنا الخاصة وجيشنا الخاص وتجارتنا الخاصة، ومن ثم جاء البيض. وعندها رفع الشعب السلاح، وأقسمت أنا على مواصلة النضال.

كان طبيعيا له، وهو الشاب المتربي بتقاليد الشعب المناضل، أن يهب حياته للنضال التحرري.

لم يقدر مانديلا على إكمال الدراسة في فورت - هيير (كلية من الدرجة الاولى، تخرج فيها العديد من الزعماء السياسيين الافارقة الذين أخذوا بزمام السلطة بعد حصول بلداتهم على الاستقلال). فقد قام مع زميله في الدراسة أوليفر تامبو - الذي صار رئيس المؤتمر الوطني الافريقي - بتشكيل مظاهرة احتجاج ضد التفرقة العنصرية، فصل الاثنان بعدها من الدراسة.

بعد ذلك بفترة وجيزة التحق مانديلا بكلية الحقوق في جامعة جوهانسبورغ. وترأس رابطة الشباب لدى حزب المؤتمر الوطني الافريقي التي صارت المبادر للاحتجاجات ضد الظلم العنصري.

بدا وكأن مانديلا ولج النضال السياسي دون سابق انذار، واعتقد البعض بعدم جدية هذا الشاب العنيد العملاق المفعم دوما بأفكار غير متوقعة والسريع البديهة واعتبروه ابنا مدللا لزعيم، سيهدأ عاجلا أم آجلا. لكن صموده وسعيه لتحقيق الهدف صار نبراسا للاخرين.

في عام ١٩٥٢ دعا حزب المؤتمر الوطني الافريقي الافارقة الى القيام بحملة عصيان مدنية. وكانت تلك آخر مرحلة للمقاومة غير التعسفية للتفرقة العنصرية، وآخر محاولة لاقناع الاقلية البيضاء. كانت الفكرة بسيطة، ويمكن أن تبدو ساذجة للوهلة الاولى: كانت تهدف الى شل نظام الابرتهايد و" في مرحلته السفلى ". وكان على الافارقة أن يخلوا بشكل علني ببعض التحديدات البسيطة التي فرضها " الابرتهايد ": كتجاهل اللافتات التي كتب عليها " للبيض فقط " وحرق الهوية الشخصية الممنوحة للسود وحدهم وغيرها .. وعدم ابداء أية مقاومة عند الاعتقال، والامتناع عن دفع أية غرامة، والاصرار على الحبس بالسجن.

كان تأثير حملة العصيان هذه كبيرا على السلطات الحاكمة. وكان الافارقة الجنوبيون البيض يفكرون على الوجه التالي: اذا كان "الابرتهايد " يلاقي مقاومة في المتنزهات العامة، معنى ذلك أنه مهدد بالخطر، وطالبوا باجراءات صارمة من جانب الحكومة التي سارعت باصدار قانون جديد يقضي بفرض غرامة بحجم ٣٠٠ جنيه استرليني وحبس لفترة تصل الى ٣ سنوات، وعشر ضربات بالسوط.

Digitized by Birzeit University Library

يقول مانديلا في مذكراته عن تلك الفترة: " لقد حرموني من حقوقي وعزلوني عن رفاقي كان عملاء الشرطة السرية يتابعوني حيثما ذهبت .. فالقانون جعل مني مجرما لا لاعمالي بل لمعتقداتي". وهكذا بلغ مجموع الفترة التي ظل فيها مانديلا " محروما " ٩ سنوات.

كانت هناك فترة قصيرة نسبيا خارج السجن في جوهانسبرغ، حيث فتح مع اوليفر تامبو مكتبا للمحاماة، ساعدته على النظر بوضوح أكبر الى فساد نظام " الابرتهايد " وبخاصة بنيته. كان يقصده الفلاحون المطرودون من أراضي أجدادهم طلبا للنصح والمساعدة، وكذلك العاطلون عن العمل الذين طردوهم قسرا من مدنهم،واسر بكاملها تعذر عليهم العيش سوية، لعدم وجود رخصة للعيش في المدينة لدى أحد الزوجين، ومئات من البؤساء الذين جعل الابرتهايد منهم مجرمين. في تلك السنين دعا مانديلا " الى أن يبقى كل إفريقي طيلة حياته في صراع بين ضميره من جهة وبين القانون من جهة اخرى .. القانون الذي نراه من وجهة نظرنا فاجرا متجردا من الاخلاق وغير عادل ولا يطاق. علينا أن نثور ضده وعلينا أن نناضل ضده. علينا أن نحاول تغييره ".

دخل العام ١٩٦٠ التاريخ ليس كعام إفريقيا وحسب. ففي ذلك الوقت الذي تحرر فيه الافارقة في كل أرجاء القارة تقريبا من التبعية الاستعمارية، الا جمهورية جنوب إفريقيا حيث ادخلت فيها قوانين عنصرية جديدة، صار التعسف اشد واشد بمقاومته التظاهرة السلمية في شاربيفيل في حزيران (يونيو) ١٩٦٠، حيث استخدمت الشرطة ولاول مرة الرصاص وقتلت ٦٩ شخصا وجرحت ١٧٦ آخرين.

بعد ذلك مباشرة أعلنت الحكومة حالة الطوارىء. كان حزب المؤتمر الوطني الافريقي محظورا، وأصبحت كل مقاومة لسياسة " الابرتهايد " خرقا للقانون. لقد أعلن مراسل صحيفة " اوبزرفر " اللندنية " واستمرت الاعتقالات على مدى أسابيع، فاثناء الليل كانت تحلق الطائرات العمودية فوق البيوت تنبعث منها بحزم الاضواء الكاشفة ...

لحين ذلك الوقت كان حزب المؤتمر الوطني الافريقي يتمتع بخبرة ٤٠ عاما تقريبا للمقاومة الخالية من استخدام العنف والمنبعثة من فلسفة المهاتما غاندي. بيد أن مثل اساليب النضال هذه لا يمكنها وقف الابرتهايد. لقد عبر القائد البيرت لوتولي، الحائز على جائزة نوبل للسلام، واحد زعماء حزب المؤتمر الوطني الافريقي عن خيبة امل عميقة بنتائج التاكتيك القديم حين قال: " من ينكر كوني قد ضيعت ٣٠ عاما من حياتي وأنا أنتظر بعذاب وتواضع وخنوع بارقة امل امام باب موصد بمفتاح؟ لقد شهدت السنوات الثلاثين الاخيرة ظهور عدد هائل من قوانين تحد من حقوقنا وتطورنا. أما الآن فقد وصلنا مرحلة لم يبق لنا معها أية حقوق ".

في ٣٠ ايار (مايو) ١٩٦١ حذر مانديلا في لقاء صحفي مع مراسلي صحيفتين لندنيتين بقوله: " وفقا لكل مجريات الامور سنلزم على غلق هذا الفصل من سياسة عدم استخدام القوة ".

وبعد نصف سنة، تصدرت صفحات الجرائد الافريقية أنباء متوعدة بصدد هجومات على المباني الحكومية والمشاريع الاقتصادية. وقد أعلنت منظمة (رمح الامة) التي لم تكن معروفة وقتذاك مسؤوليتها عن تلك الاعمال. وتجدر الاشارة الى أن نلسون مانديلا كان يدير فصائلها القتالية.

ولم تكن بريتوريا لتعلم بعد أن القنائف التي إنفجرت في شاربفيل اضحت طلقة البداية التي هزت آلية الابارتهايد التي لم تكن قد تعززت بعد، ونكست رأسها رغم كون تأثيرها لم يكن مرئيا بعد حتى لابصر الناس ...

Digitized by Birzeit University Library

بدأوا يتصيدون مانديلا، لكنه استطاع مراوغتهم على مدى سنتين (تتذكر ويني زوجته، في كيف أنه كان يتنكر بهيئة فنان محترف، حتى أنها كانت لا تعرفه أحيانا). في تلك الفترة كان يسافر بشكل سري الى خارج البلاد وتنقل ما بين عدد من البلدان الافريقية والاوروبية مقنعا قادتها بتقديم المساعدة المالية والسياسية للمناضلين من أجل الحرية.

وفي ٥ آب (اغسطس) ١٩٦٢ وقع مانديلا في مصيدة نصبتها له الشرطة، وهنالك معلومات دقيقة بأن اعتقاله تم بمساعدة وكالة المخابرات المركزية الامريكية (وهذا ما أكدته بشكل خاص صحيفة " إنترناشيونال هيرالد تربيون " الامريكية في عام ١٩٨٦).

في ذلك اليوم كان مانديلا متنكرا بزي سائق سيارة رجل أبيض في مدينة هوفيك، مقاطعة ناتال. كان موظف وكالة المخابرات المركزية الامريكية الذي يعمل في القنصلية الامريكية في دوربان على علم بخط سير السيارة التي كان يقودها مانديلا. وبموافقة واشنطن أخبر شرطة جنوب إفريقيا بذلك مقابل معلومات بصدد الخطط المستقبلية لتشييد البانتوستانات (مستوطنات سكن السود)، فوافقت سلطات الشرطة على عجل لانها لم تكن عازمة على احاطة تلك الخطط بسرية.

تجدر الاشارة الى أن علاقات وطيدة بين وكالة المخابرات المركزية والشرطة السرية في إفريقيا الجنوبية بدأت تتشكل في ذلك الوقت بالذات. بعدها قدمت وكالة المخابرات المركزية مساعدة كبيرة في تنظيم مكتب أمن الدولة في جنوب إفريقيا الذي قام بتنظيم مئات الاستفزازات ضد المشاركين في الحركة المعادية الابرتهايد سواء داخل جمهورية جنوب إفريقيا أم خارج حدودها.

وحكمت المحكمة على مانديلا بالاشغال الشاقة لمدة ٥ سنوات. وفي تموز (يوليو) ١٩٦٣ اعتقلت الشرطة قيادة حزب المؤتمر الوطني الافريقي بكامل تشكيلته تقريبا في منطقة ريفونيا بالقرب من جوهانسبورغ. وقد كشفت الوثائق التي عثر عليها هناك عن الاسباب التي دعت السلطات لتقديم مانديلا للمحاكمة من جديد وبتهمة مذنب رئيسي.

وفي فترة انتظار صدور الحكم كان مانديلا قد انهى امتحاناته بالمراسلة في جامعة لندن (كلية القانون). يتذكر أحد رفاق مانديلا: كان بقية المتهمين هادئي الاعصاب بانتظار صدور الحكم ضد مانديلا، الذي كان قد أعد الكلمات التالية ليرد بها على أعضاء المحكمة: " اذا اعتقدتم وأنتم تحاكمونني بالاعدام أن باستطاعتكم القضاء على حركة التحرر، فأنتم على خطأ كبير. إنني مستعد للموت لانه سيلهم شعبي في نضاله ".

××××

إن سيرة حياة المناضل مانديلا، سوف تظل مصدر إلهام لكل المناضلين من أجل حرية شعوبهم، وتحقيق أهدافها الوطنية، ولا شك في أننا على رأس هؤلاء. ولعل في ذلك أيضا عبرة للذين ماضون حتى اليوم في تنكرهم لحق الشعوب في تقرير مصيرها.

Digitized by Birzeit University Library

قائمة باسماء شهداء الشهر السابع والعشرين للانتفاضه

تنهي الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، مع صدور هذا العدد من المجلة، شهرها السابع والعشرين، لتدخل شهرها الثامن والعشرين، وسط اهتمام وتأييد دوليين واسعين. وخلال هذه الفترة قدم شعبنا الفلسطيني عشرات الألوف من خيرة شبانه، شهداء وجرحى ومعتقلين. وخلال الشهر الماضي - الشهر السابع والعشرون للانتفاضة - سقط (١٦) شهيدا، وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة حتى أواخر شباط ١٩٩٠ (٨٢٧) شهيدا.

وفيما يلي قائمة بأسماء شهداء الشهر السابع والعشرين للانتفاضة:

الخميس ١٩٩٠/٢/١

- طارق بسام نديم عبد الهادي (٧ اعوام) مدينة جنين. دهسته سيارة شرطة عسكرية في طريق عودته الى البيت من المدرسة.

الأثنين ١٩٩٠/٢/٥

- ايمن محمود عبد صالح جبران (١٩ عاما) مدينة البيرة/رام الله. سقط في فراغ مصعد عمارة الميدان في رام الله اثناء مطاردة الجنود له.

الثلاثاء ١٩٩٠/٢/٦

- مصطفى عبد محمد كلاب (٤٩ عاما) نابلس. اصيب بعيارين ناريين في الصدر والعنق اطلقهما حارس وسائق صهريج وقود اسرائيلي في المدينة.

الأربعاء ١٩٩٠/٢/٧

- ايمن خليل زقوت (١٦ عاما) مخيم الشابورة في رفح/قطاع غزة. اصيب بعيار ناري اخترق قلبه.

الخميس ١٩٩٠/٢/٨

- سلمان مرضي سلمان المدني (٢١ عاما) قرية بني سهيلة/قطاع غزة. أصيب برصاصة قاتلة في صدره يوم امس.

Digitized by Birzeit University Library

الجمعة ١٩٩٠/٢/٩

- عبد القادر أحمد اكميل (٢٠ عاما) قباطية/جنين. أصيب بأربع رصاصات في البطن.

السبت ١٩٩٠/٢/١٠

- عدنان عبد سليمان اكميل (٤٥ عاما) قباطية/جنين. أصيب بجراح خطيرة في رأسه.

الأحد ١٩٩٠/٢/١١

- حسام جهاد مصطفى الزعيم (١٤ عاما) حي الشجاعية/غزة. أصيب برصاصة قاتلة في رأسه.

الاثنين ١٩٩٠/٢/١٢

- رائق حسين موسى سلمان (٢٥ عاما) قرية رامين/طولكرم. استشهد في ظروف غامضة في سجن "مجيدو".

- احمد محمد فسيفس (٣٥ عاما) القرارة/قطاع غزة. استشهد قرب مفرق "غوش قطيف" مساء ١/٢٢ ، على ايدي أحد المستوطنين، وتم التعرف على هويته يوم ٢/١١ ، ودفن في اليوم التالي ٢/١٢.

الخميس ١٩٩٠/٢/١٥

- كوثر عبد الرحيم محمد مريش (٥٠ عاما) مدينة الخليل. صدمتها سيارة عسكرية اسرائيلية.

السبت ١٩٩٠/٢/١٧

- الرضيعة نعمة علي أحمد (٥ أشهر) كفر الديك/نابلس. اقتحم الجنود المنزل والقوا بقنبلتين من الغاز أثناء خروجهم الى داخل المنزل.

الاحد ١٩٩٠/٢/١٨

- سوسن محمد خيري صدقي الشخشير (١٧ عاما) نابلس. أصيبت برصاصة قاتلة في صدرها لدى مرورها قرب المستشفى الوطني.

الثلاثاء ١٩٩٠/٢/٢٠

- عماد موسى البلبيسي (١٥ عاما) مخيم رفح/قطاع غزة. أصيب برصاصة قاتله في رأسه يوم ٢/١٨.

الخميس ١٩٩٠/٢/١٢

- مها عبد الرحمن شخصه (٦ أعوام) غزة. صدمتها سيارة (جيب) عسكرية في مداخل غزة، مما ادى الى اصابتها اصابات خطيرة، توفيت على أثرها في المستشفى.

الاحد ١٩٩٠/٢/٢٥

- وائل جميل حسن الهمص (٢٠ عاما) مخيم رفح/قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في ظهره.

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني وأهل الشهداء بخالص العزاء .

Digitized by Birzeit University Library

المرأة ..

في الاسرة الفلسطينية

نجاح مناصرة

(٢)

حياة المرأة بعد الزواج

حين تتزوج البنت تنتقل من مرحلة الاعتماد على اهلها في تلبية حاجاتها وتقرير مصيرها الى مرحلة جديدة الاعتماد فيها على زوجها او اسرته، اذ ان كثيرا من الازواج في القرى والمخيمات يواصلون العيش مع والديهم بسبب الضائقة السكنية، في حين في المدينة ميل واضح للاستقلال حيث يعيش الزوجان في بيت مستقل بمفردهما.

في معظم الزيجات، فان البنت لايتم اعدادها للزواج، لذلك فهي تعاني في السنوات الاولى من الاختلاف الكبير بين توقعاتها من الزواج والاهداف التي كانت تتمنى تحقيقها، والحريات التي كانت ترجو الحصول عليها، وبين المسؤوليات الملقاة على عاتقها كزوجة في موقع دوني بالمقارنة مع الرجل وكربة بيت ومسؤوليات السيدة.

اشرت في مكان سابق الى ان معلومات الزوجة عن الجنس معدومة او مشوهة، لذلك فهي بعد الزواج تعتمد على زوجها في تزويدها بالمعلومات اللازمة، وهي تبعا لجهلها بالجنس، سلبية تنتظر الرجل لكي يوفي بحاجاتها الجنسية، ولا تجرؤ على طلب تلبيتها منه، لان ذلك حسب التنشئة والتربية معيب، حتى انها لا تجرؤ على مناقشة مشاعرها وارائها نحوه، بصراحة، وبسهولة، وتختار كبت مشاعرها، وقمعها، وحتى فشلها، من ان تناقشها معه، وتتكيف مع ما هو موجود، ويقتصر دورها في الجنس كمستقبلة غير مشاركة، وهذا الوضع يقود لاحقا الى حياة جنسية غير سوية بين الزوجين، والمشكلة تزداد حدة عندما يكون الزوج نفسه ضعيفا في ثقافته الجنسية، وهو الوضع السائد في القرى والمخيمات او في اوساط الشباب الذين لم يحصلوا على

Digitized by Birzeit University Library

تعليم جامعي.

ان المجتمع الفلسطيني لا يقدم الثقافة الجنسية في الاسرة او المدرسة للاولاد، وعلى سبيل المثال ، لتبيان مدى اثر الكم الاجتماعي للجنس، فقد ادخلت التربية والتعليم منذ سنوات طويلة فصل دراسي لطلبة الثالث الاعدادي في مادة "العلوم العامة" حول الجهاز التناسلي للانسان، ولكن معظم المدرسين والمدرسات لهذه المادة، يخجلون من شرحها للطلبة والطالبات، ويطلبون منهم دراستها لوحدهم في البيت، ويتناسون وجود هذا الفصل في المنهاج، وحتى في المدارس الخاصة الاهلية، يتصرف المعلمون والمعلمات بنفس المسلك تجاه هذه المادة.

وفيما يتعلق بمسؤوليات المرأة في الاسرة فهي تتحملها وحدها في كثير من الاحيان دون مساعدة الزوج، فعليها القيام بجميع اعباء البيت، مثل الطبخ، التنظيف، الغسيل، العجين والخبز، العناية بالحيوانات ان وجدت كما في القرى او العمل في الحقول، وهي المسؤولة المباشرة عن تربية ورعاية الاطفال عدا عن الاهتمام بحاجات الزوج وايضا حاجات والديه واسرته اذا كانت تسكن معهم او بالقرب منهم.

وحتى لو كانت الزوجة امرأه عاملة، فهي مسؤولة عن كل هذه الاعمال بالاضافة الى عملها خارج البيت.

وبالطبع يوجد بعض الازواج الذين يقدمون المساعدة الرمزية لزوجاتهم العاملات. حتى اولئك الذين يرددون شعارات المساواة بين الجنسين، لكنهم يتنصلون من هذه الشعارات ومن مسؤوليات البيت في الممارسة، ويفضلون الخروج من البيت لقضاء الوقت مع الاصدقاء وزيارة الاقارب على ان يساهموا في مساعدة الزوجة باعمال البيت ورعاية الاطفال ويفعلون ذلك حتى في ايام الاعياد والاجازات.

تنشب عادة بين الازواج كثير من الخلافات الزوجية ومنها، طريقة تربية الاولاد،تلبية حاجات الاسرة، الالتزامات الاجتماعية، عدد الاطفال، عمل الزوجة او تعليمها، الاراء الاجتماعية والسياسية والفكرية، ولتوضيح موقف المرأة من هذه الاشكالات مثلا: اذا جرى الاختلاف حول كيفية صرف دخل البيت فالزوج هو الغالب وهو من يقرر المبلغ المطلوب صرفه وقد يعطي الزوجة مبلغا محددا في حين يحتفظ لنفسه بحق التصرف بالمبلغ الباقي وقد يشتري الزوج اشياء لا حاجة للاسرة بها ولا تستطيع المرأة الاعتراض. واذا كانت الزوجة عاملة، تتسم العلاقة بين الزوجين على النحو التالي:

بعض الازواج يعطون الزوجة كامل الحرية في الاحتفاظ بأجرة عملها، وصرفها كما تشاء على نفسها عملا بما اوصى به الدين الاسلامي فلا يطلبون اي التزامات منهن نحو بيوتهن وحاجاتهم.

ويعتبر مثل هؤلاء الرجال اعتمادهم على المرأة عيبا شديدا ويحدث ان يغضب الرجل اذا ما عرضت عليه زوجته بعضا مما يكسبه او ما تحصل عليه من اهلها، ويرى في ذلك اهانة له. اي يتصرف الزوج وكأنها ليست شريكته في مسؤوليات البيت وهو فقط الرجل صاحب السلطة والمسؤول فقط ووحده عن تلبية حاجات البيت.

وازواج اخرون يحاسبون زوجاتهم على كل دينار يحصلن عليه من عملهن ويمنعوهن من التصرف باي مبلغ دون استشارتهم والحصول على تصريح منهم.

وبين النمط الاول والثاني في الموقف من دخل الزوجة هناك من تعمل زوجاتهم فيتيحون لهن

Digitized by Birzeit University Library

الاحتفاظ او التصرف باي مبلغ من راتبهن وان يساهمن بارادتهن وحرياتهن باي مبلغ لتلبية حاجات البيت.

وفيما يتعلق بالسلطة داخل البيت، فالرجل هو السيد المقرر وهذا يتطابق مع ما جاء في الدين الاسلامي "الرجال قوامون على النساء" وعليهن اطاعة ازواجهن مهما كانت اوامرهم (الا فيما يخالف الله). فمثلا قد يطلب الزوج من الزوجة ممارسة الجنس معها فعليها اطاعته حتى لو لم تكن ترغب في ذلك والا تعتبر ناشزا (مغضبة وعاصية لزوجها). كذلك تسأل الزوجات الازواج ماذا يطبخن لهم. وهم الرجال الذين يقررون مع من تقيم الزوجة علاقاتها الاجتماعية، وهو الذي يقرر ما اذا كان مسموحا لها ان تزور اهلها ام لا، ان تزور جيرانها ام لا، وليس من حقها ان تختار لها صديقات او اصدقاء دون موافقته او رضاه.

والرجال يقررون للزوجات ماذا يلبسن فاحيانا رغبات الزوج تخالف ما تعودت عليه في بيت اهلها فعليها اطاعته وان تلبس ما يريد.

وفي تربية الاولاد، فالرجل هو الذي يقرر معاقبة او عدم معاقبة الاولاد على اخطائهم، والمرأة فقط تنفذ سلطة الاب، لا تفكر ولا تناقش ولهذا تتصرف الامهات تجاه اولادهن كوسيط يذكر الاولاد بسلطة الرجل الاب. ولهذا حين يخطىء احد الابناء تهدده بانها ستخبر والده حين يعود من عمله لكي يعاقبه، وفي غالب الاحيان فان حنان الامومة يمنعها عن تنفيذ تهديدها، ومع تكرار الموقف تصبح تهديدات الام امرا تافها ودورها في تربيتهم هامشيا وغير فعال ولا يحسون بقوة شخصيتها بل يدركون ضعفها ولهذا لاحقا، تلام الام وليس الاب على اخفاق اولادها بسبب اخفائها المعلومات عن الاب وتتحمل هي المسؤولية عن فشلهم ويعفى الرجل الذي هو في الاصل قد صغر من دورها في تربيتهم.

وبالطبع فان رياح التغيير قد احدثت بعض التطور على العلاقة بين الزوجين فيما يتعلق بالادوار، فكثير منهن اليوم اصبحن يشاركن في القرارات، خاصة اذا كانت الزوجات متعلمات او يعملن او بسبب غياب الزوج القسري عن البيت كحالات السفر للخارج او السجن او اضطراره للنوم في موقع عمله في اسرائيل مدة اسبوع كامل، واحيانا تبدو مسؤولية الامهات نحو الاسرة أكبر من مسؤولية الرجل.

المرأة والطلاق

تطبق في المجتمع الفلسطيني والعربي بشكل عام القوانين الاسلامية بشأن الطلاق ومن المعروف ان الاسلام اعطى الحق للرجل في تطليق زوجته عندما يرغب في ذلك، او حين يرى بانه لايستطيع التعايش مع زوجته،ومع ان الدين الاسلامي لم يشجع الرجال على الطلاق التعسفي وفضل حدوثه على اسس منطقية حيث جاء في حديث الرسول محمد "ان ابغض الحلال عند الله الطلاق" ولكنه مع ذلك لم يمنعه ولم يحرمه.

ومن جهة اخرى لا يجوز ان تطلق المرأه زوجها الا في حالات معينة مثل:

- ان تكون العصمة بيدها وهذا نادر حدوثة جدا ويكتب هذا كشرط في عقد الزواج.
- اذا كان لدى الزوج ضعف جنسي يمنعه من القيام بواجباته الزوجية.
- اذا اصيب الزوج بمرض عقلي يقرره الطبيب.

Digitized by Birzeit University Library

- ويمكن للمرأة المطالبة بالطلاق خوفا من الغواية أوالفتنة في حال غياب الزوج مدة طويلة كأن يكون مسافرا في الخارج او السجن..

- اذا ضربها الزوج ضربا مبرحا الحق بها ضررا جسمانيا كأن تصاب باعاقة او تشوه، وفي ذلك تجاوز على ما سمح به الدين، اذ اعطى الرجال الحق في ضرب الزوجات ضربا غير مبرح بهدف تأديبهن.

وقد يحدث الطلاق فجأة، حيث يرسل الزوج ورقة الطلاق الصادرة عن المحكمة الشرعية للزوجة، وغالبا ما تسبق الطلاق مشكلات تكون معروفه لدى اسرتي الزوجين، وهذه الحالة هي الاكثر شيوعا وغالبا ما يحدث الطلاق على النحو التالي:

تحدث مشكلة وتثار خلافات بين الزوجين حول قضايا متعددة قد يكون سببها الزوجان نفسيهما، او سببها تدخل اخرين في الاسرة الممتده او الاصدقاء، فيعود الزوجان لممارسة حياتهما الروتينية ثم تعود الخلافات وتنشب من جديد وربما لاسباب سطحية، فاذا لم تحل، قد يلجأ الرجل لضرب زوجته، وهو امر شائع جدا في المجتمع الفلسطيني، والمجتمع يسمح له بذلك كنوع من تربيتها، خاصه اذا تذرع بأنها تعصي اوامره او لا تتجاوب مع رغباته الجنسية، وفي المقابل، الزوجة لا تضرب زوجها ولا تتلفظ بالفاظ تجرح كبريائه، فهذا محظور عليها اجتماعيا ودينيا، والسيدة التي تتلفظ بالفاظ غير مقبولة بحق زوجها ولو من باب المزاح فانها تحتقر من قبل المجتمع.

وجراء ضرب الزوجة ضربا مبرحا واهانتها معنويا تتوجه الى بيت اهلها "حردانه"، او تبقى في بيت زوجها انطلاقا من المعتقدات بان على الزوجة تحمل زوجها، او لمعرفة الزوجة بان طلاقها سيحولها الى امرأه من الدرجة الثالثة، ففي المجتمع الفلسطيني الميزات الاولى في الحقوق للرجال وتليه المرأة، فاذا ما طلقت لاتحظى اجتماعيا بمكانة المرأة المتعارف عليها.

واذا قررت الذهاب "والحرد" عند اهلها او اقاربها فذلك لكي تشكوه لهم ليساعدوها في دفع الزوج لمعاملتها بشكل افضل، وتتوجه الزوجة لاهلها لعدة اسباب:

- كونها انسانة جاءت من اسرة ذات رباط قوي مقيد للانسان ولا يسمح له بحرية التصرف في اموره الشخصية ولأن مردود سلوك الفرد يعود على الجماعة سلبا او ايجابا فيقال في مجتمعنا "مليح الحرمه لجوزها وعاطلها لاهلها".

- لان المرأه تكون مهدده اجتماعيا تعرض للتهجمات والكلام اللاذع والاساءة لسمعتها ان هي عاشت لوحدها بعد انفصالها عن زوجها او الطلاق منه، على اعتبار انها عرضه لمهاجمتها من المجتمع، وينطبق هذا على الاميات والمتعلمات الجامعيات، او اللواتي يعملن بالسياسة يتوجهن جميعهن في حالة الخلافات الزوجية الى اسرهن.

- وايضا لان المرأة عبر سني حياتها حولتها التنشئة الاجتماعية الى اتكالية لا تستطيع العمل والعيش بمفردها، فحتى لو "حردت" او طلقت وهي فوق سن الاربعين، فعليها اجتماعيا التوجه لاهلها الملزمين حسب الاعراف الدينية والتقاليد باستقبالها. ولانها تحتاج من وجهة نظر المجتمع الى من يرشدها ويوجه سلوكها ويحميها من الغواية والانحراف الخلقي.

واذا ما طلق الزوج المرأة،يستطيع الاحتفاظ بالاولاد في سن معينه، ولا تستطيع هي الاحتفاظ بهم، حتى ان اهلها ايضا اذا ما كان لديها اطفال ويحتاجون لرعايتها حسب القانون، فان اهلها

Digitized by Birzeit University Library

كنوع من العقوبة لوالدهم يلزمون ابنتهم بالتخلي عن الاطفال لزيادة معاناته ومحاولة لارغامه على اعادة زوجته والتصالح معها. او يفعل اهل المطلقة ذلك كنوع من تخفيف العبء الاقتصادي عنهم، وربما من اجل اعطاء فرصة لابنتهم المطلقه كي تتزوج مرة ثانية.

وبالعكس اذا ارادت المرأه الحصول على الطلاق وزوجها غير راغب في ذلك فيستطيع استعادتها لبيته رغما عنها بالسلطة الاجتماعية من جهة، وبسلطة القانون من جهه اخرى. وقد يصر الزوج على رفضه بهدف الحصول على تنازلات منها، كالتنازل عن المهر المؤجل وتبعات النفقه التي عادة يدفعها الزوج المطلق لزوجته في الاشهر الثلاثه التي تعقب وقوع الطلاق.

ولكن التجربة، تبين ان الزوجه تتحمل امورا كثيرة للمحافظة على زوجها، ولا تشكو، فهي تتحمل تاخره عن البيت مع اصدقائه، واهماله في واجباته نحوها او نحو بيته او نحو اولاده، وربما تعرف بخيانته لها، ولكنها لا تفكر بالانفصال والطلاق، فالبديل بالنسبة لها اكثر مراره وقساوه، فهي اذا طلقت، تعرف انها لن تستطيع الزواج من اخر بعمرها، وقد يتقدم لها فقط شخص مسن، ماتت زوجته، او لديه اولاد كثيرون، وطالما بقيت في بيت اهلها فهي محرومه من حريات الخروج او اشباع حاجاتها الشخصية ولهذا تقول النساء"ظل راجل ولا ظل حيطه" او يقلن "نار جوزي ولا جنة اهلي".

ويلاحظ اجتماعيا ان المجتمع الفلسطيني اليوم صار يقبل الطلاق كحل للخلافات الزوجية المستعصية، اكثر من السابق خاصه اذا علمنا بان الزواج والطلاق في مجتمعنا هما امران اجتماعيان لا يقومان على اساس الاختيار الشخصي وحديثا فقط صار الناس يتقبلون الطلاق كحل للخلافات الزوجية المستعصية وخاصه اذا لم يكن اطفال لدى الزوجين، لان الاطفال في العادة يشكلون عامل ضغط على الزوجين وبشكل خاص على الام والتي تختار التضحية بسعادتها ومستقبلها من اجل اولادها.

وبالطبع المجتمع عندنا لا يأخذ بعين الاعتبار الاثار النفسية السلبية المترتبه على استمرار حياة زوجيه مشحونه بالخلافات المتكررة على مدى السنين. مع ان العلوم الاجتماعية اليوم تفضل ان يعيش الاولاد مع الاب او الام المنفصلين بحياة مستقره على العيش مع والدين غير منفصلين ولكن متعارضين ومختلفين في حياتهم الزوجيه.

المرأة والميراث

الميراث هو احد الجوانب التي تظهر الظلم الذي تتعرض له المرأه الفلسطينية. فمن جهه، فان الدين الاسلامي الذي تطبق قوانينه في محاكمنا الشرعية بخصوص الميراث وغيره، قد اعطى للرجل ضعف ما اعطى للمرأه. وينطبق هذا على جميع انواع الميراث اموال او عقارات او غير ذلك.

وبالرغم من انصاف الدين للرجال على حساب المرأه في قضية الميراث، فايضا، يحرمها المجتمع بعاداته وتقاليده حتى مما اعطاه اياها الدين، فالعادات والتقاليد الاجتماعية تعيب على المرأه حصولها على ميراثها او مطالبتها به. ذلك لان الأسرة تعتبر البنت غير اصيلة في انتمائها للاسرة، لانها في النهاية سوف تتزوج رجلا غريبا وتنضم الى اسرته في حين يبقى الولد في الاسرة يشكل احد عوامل قوتها. ولهذا يقال في امثلتنا الشعبية. "الاب الذي ينجب بنات فقط لا يعتبر اجتماعيا منجبا لانه لم يترك وراءه من يحفظ استمرارية اسمه وملكيته!.

Digitized by Birzeit University Library

ان التقاليد الاجتماعية ترفض ادخال الغرباء في المشاركة بالملكية الخاصه بالاسرة والمرأه التي تطالب بميراثها تتهم بتفتيت ملكية اهلها.

لي صديقات عديدات بينهن صديقه من قرية زراعية متزوجة لديها ١٢ ولدا، وزوجها يحصل على دخل متواضع، وهي في امس الحاجة لحصتها في الميراث الا ان اهلها لم يعطوها اي شيء من تركة والدها (محلات تجارية، وأراضي مزروعه بالزيتون). كذلك لم تطلب هي حصتها من الميراث، وحين شكت لي وضعها، سألتها لماذا لم تطلبي حصتك من الميراث؟ فقالت: اخجل ان افعل ذلك، لقد اوصى والدي ان تظل الارض مجتمعه.

ان الاخوه الرجال لا يحبذون اعطاء اخواتهم حصتهن من الميراث لان الارض والمال يمنحانهم القوة والنفوذ الاجتماعي، ويوفران لهم مكانه اعتبارية في المجتمع، ويعوضون البنات عن الميراث بتقديم الهدايا السنوية لهن في الاعياد والمناسبات، او يقدمون لهن بعض المساعدات المالية اذا احتجن او في مناسبات معينة، واحيانا يرسلون للاخوات المتزوجات اشياء رمزية من انتاج الارض. فالذين يملكون زيتونا يرسلون في نهاية الموسم لاختهم حاجتها من الزيت والزيتون. والذين يزرعون الخضروات يرسلون لهن بعض الخضروات الموسمية، ويعتبرون اعطاءهن هذه الاشياء حقوقا لهن بدل الميراث.

ويمكن القول ان وضع المرأة في المدينة يختلف الى حد ما، اذ يمكن اعتبارها افضل قليلا، فكثير منهن يحصلن على حصتهن او بعض حصصهن من الميراث حسب القوانين الاسلامية، خاصه اذا كان الميراث مالا. وتعتبر النساء اللواتي يملكن شخصيات قوية من الوحيدات اللواتي قد يستطعن الحصول على معظم حصتهن من الميراث او بعضه سواء في القرية ام المدينة.

المرأة في الانتفاضة

لم تكن مشاركة المرأة الفلسطينية في النضال من اجل التحرر مقصورة على مشاركتها في الانتفاضة، فقد شاركت المرأه الرجل في النضال السياسي في عهد الانتداب البريطاني وعهد النظام الاردني، واستمرت مشاركتها في النضال خلال الاحتلال الاسرائيلي منذ عام ١٩٦٧، ولكن بدرجات متفاوته من حيث الحجم والنوعية.

ويمكنني القول: اتخذ نضال المرأة في سنوات الاحتلال الاسرائيلي اشكالا جديدة ومتميزه عما كان عليه الحال في السابق ففي السنوات العشر الاخيرة تشكلت اطر نسائية متعددة لتعبئة المرأة وتجنيدها في النضال ضد الاحتلال الى جانب الاطر التقليدية مثل الاتحادات النسائية والجمعيات النسائية فتم اشراكهن في قضايا العمل النقابي، وتثقيفهن الصحي والاجتماعي والسياسي، او تعليمهن مهارات مهنية، كالخياطه، والنسيج وغير ذلك، وبالطبع كان بين هذه الاطر من يركز اكثر من الاخر على الجانب السياسي.

وبالرغم من ان هذه الاطر ما زالت تخضع هيئاتها المركزية العليا لقرارات الذكور في التنظيمات والاحزاب السياسية الفلسطينية، مما افقدها استقلاليتها في قراراتها، وخاصة تلك المتعلقه بالجوانب النسوية، وجعلها منبرا سياسيا لهذا التنظيم او ذاك الحزب في الوسط النسائي، وبالرغم من ان هذه الاطر، دون استثناء، لم تتبن القضايا الجذرية للمرأة الفلسطينية

Digitized by Birzeit University Library

وتجنبتها هاربة من مواجهتها، مثل التصدي لقضايا المرأة كالطلاق، معاملة الزوج، الظلم الاجتماعي،التمييز الواقع عليها في قوانين الاحوال الشخصية، العادات والتقاليد التي تحط من قيمة المرأة ودورها، الا اننا وبموضوعية نستطيع القول بان هذه الاطر النسوية قد لعبت دورا كبيرا في تنظيم النساء ودفعهن للمشاركة في النضال السياسي ضد الاحتلال وساهمت في رفد الانتفاضة لاحقا بجيش نسوي كبير خاصه في المدينة والمخيم.

وخلال الانتفاضة شاركت المرأة الفلسطينية بادوار لا يمكن حصرها وبكامل طاقتها متجاوزة كل القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد، لدرجة استطيع الحكم بانه يمكن كسر العادات والتقاليد حين يكون الهدف عظيما وجماعيا.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، شاركت المرأة بتحمل مسؤولية البيت بسبب غياب الزوج في السجن، او مطارد، او جريح، او شهيد، فكان عليها ان تكون مسؤولة عن اقتصاد البيت، توفير الامن، تلبية الحاجات اليومية، الدفاع عن الاولاد، بالاضافة الى مسؤوليات التربية والتوجيه والتوعية السياسية لاولادها ومسؤولياتها التقليدية في البيت.

وفي الشارع، شاركت النساء باعداد مذهله في المخيمات والقرى والمدن في المصادمات مع قوات الجيش الاسرائيلي، تسعف الجرحى، تنقلهم، ترشق الحجارة وتجمعها للشباب،وتشارك في الحراسة، وعامل اتصال، والاشتباك بالايدي مع الجنود من اجل تخليص الشبان من الاعتقال، وتهريب المطاردين باخفائهم وارشادهم الى الطرق الامنه،وتقديم الطعام او الملابس للشبان، ونجم عن كل ذلك ان جرحت، او اصيبت باعاقات جسمية، وبامراض نفسية متعددة وبمعاناة مضاعفه، وساهمت في الاعتصامات امام المعتقلات وفي مكاتب الصليب الاحمر ومقرات هيئة الامم المتحدة.

ان هذا التغير في دور المرأة جعلها تشعر بثقه اكبر في نفسها، وخلق لديها الحافز لكي تبحث عن وضع ومكانه افضل في المجتمع. ولهذا يمكن القول ان المرأة لا تواجه الان صراعا ضد الاحتلال الاسرائيلي وحسب، بل وتواجه صراعا مع المجتمع نفسه، مع قيمه وعاداته، وتقاليده التي تحد من حريتها وحركتها وتحط من مكانتها، مثلما تواجه صراعا مع نفسها، مع القيم التي تعلمتها، ومع النساء الاخريات اللواتي اما سبقنها في تطورهن، او متخلفات عنها، ويرغبن في شدها، ويدافعن عن بقاء المرأة في البيت فقط، ويدافعن عن قوانين وعادات المجتمع الدينية التي تحد من تطوير المرأة وحريتها.

وقد لاحظت في سياق الانتفاضة تغيرا في الادوار فيما يتعلق بقيادة العمل النسوي، فقبل الانتفاضة كان ملحوظا ان معظم، ان لم يكن كل، قائدات العمل النسوي بنات عزباوات وعاملات لديهن امكانية الحركة ونوع من الاستقلالية، بينما خلال الانتفاضة فقد برزت قائدات نسائيات متزوجات وغير متزوجات وحتى ان معظم المشاركات نساء متزوجات خاصه في المخيمات والقرى بينما في المدينة معظمهن من البنات غير المتزوجات.

وفي الانتفاضة ايضا تغيرت امور كثيرة شملت الوضع النفسي للمرأة والرجل، وانماط الحياه، ومختلف جوانب حياة الشعب، ولكن بالنسبة لموقف الرجل من المرأة ونظام القيم الاجتماعي الفلسطيني والعادات والتقاليد، فلئن كان كثيرون يجتهدون في ان الانتفاضة قد احدثت تغيرات ايجابية على جميع جوانب الحياه بما في ذلك العادات المتصله بالمرأة كالزواج او عادات التعامل

Digitized by Birzeit University Library

مع المرأة فان لي رأيا مخالفا، اذ اعتقد ان العادات والتقاليد ونظام القيم الاجتماعية وبرغم الدور الكبير الذي تقوم به المرأة الفلسطينية فانها لم تتغير، والذي تغير فقط هو اننا نشهد داخل الموقف من هذه التقاليد والعادات صراعا داخليا لم يحسم بعد، بل ونشهد تراجعا للوراء في كثير من المواقع.

فمثلا يزعم كثيرون ان عادات الزوج قد تغيرت. والواقع ان المتخصص يرى بان الذي تغير هو المظاهر المرافقه للزواج كطقوس الاحتفال. فالزواج حتى الان يتم بالطريقة التقليدية بل واكثر تقليدية مما كان عليه قبل الانتفاضة، وخاصه بسبب عدم توفر الاجواء المناسبة لالتقاء الشبان بالفتيات. ولا اعتقد ان الغاء الفرح او التخفيف من مصاريف الزواج، تغيرا جذريا ايجابيا، وانما هو تعبير عن الحزن العام للشعب الفلسطيني الذي ينكر على نفسه حق الفرح في ظروف الانتفاضة حيث تسود المعاناه والالم بشكل يومي ويشمل جميع قطاعات الشعب دون استثناء.

ان مجتمعنا الفلسطيني حاول خلال الانتفاضة حماية نفسه والمحافظة على بقائه والتأقلم مع ظروف القمع اليومي التي تهدد وجوده، بالعودة الى نظام القيم القديم الذي كان سائدا ومتوارثا من عقود وقرون مضت، ليأخذ منه ما يساعده على الاستمرارية، وبالطبع اخذ المجتمع من هذا النظام ما هو ايجابي وما هو سلبي بدون ادراك او غربله، والمرأة كانت الضحية الاكبر في هذه العودة لنظام القيم، فالتعليم اصبح من الكماليات خلال الانتفاضة وخاصه التعليم الثانوي او الجامعي جراء اغلاق المحتل للمدارس والجامعات، والناس في بلادنا يقولون يصعب على الاولاد التعليم فكيف تحصل عليه البنات؟ والحل عندهم ان يزوجوا البنات وهن في سن مبكره حيث ازدادت ظاهرة الزواج المبكر كما كان الحال في الاربعينات والخمسينات من هذا القرن، وحرمان البنت من التعليم وتزويجها في سن مبكره امران خطيران على مكانتها الاجتماعية وخطيران على الدور الذي تؤديه المرأة الفلسطينية في الانتفاضة اذ يهدد ذلك المكاسب التي حصلت عليها المرأة خلال مشاركتها في النضال السياسي ويهدد مستقبل الشعب الفلسطيني لان جيلا كاملا من النساء قد حكم عليه بالجهل وبالتالي سيقود لاحقا الى تأثيرات سلبية على الابناء من الجيل المقبل.

واحد دلائل عودة المجتمع لنظام القيم القديم هو انتشار ظاهرة اللباس الديني الاسلامي بين القطاعات النسوية في اغلب مناطق دولة فلسطين وحتى في المركز مثل مناطق رام الله القدس وبيت لحم.

من المعروف ان مجتمعنا الفلسطيني كغيره من المجتمعات العربية، مجتمع تدين غالبيته بالدين الاسلامي الذي يدعو المرأة الى ارتداء الملابس على الطريقه الاسلامية، ولكن مع ذلك، فلم تكن الحركات الدينية قوية ومقبولة في المجتمع، ولم يكن لها اي تأثير، وفقط بدأنا بملاحظة نشاط القوى الاصولية الدينية بعد عام ١٩٨٢،اي بعد خروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت، وبعد الانقسام والخلافات بين الفصائل الفلسطينية، ومع ذلك ظلت الجماعات الدينية ما بين ١٩٨٢ - والانتفاضة ذات تأثير محدود وبشكل خاص في قطاع غزة وجامعة النجاح في نابلس والخليل والى حد معين في جامعة بير زيت، وقد استفادت هذه الجماعات الدينية الاصولية من ضعف برامج المنظمات الفلسطينية وانقسامها. فطرحت نفسها بديلا عن هذه المنظمات، وحاولت تقديم بديل روحي بالعودة الى الدين، وفي الانتفاضة استفادت الجماعات الدينية

Digitized by Birzeit University Library

الاصولية من عودة المجتمع لنظام القيم القديم، خاصه، وان المنظمات الفلسطينية العلمانية التي لها وجود فعلي في فلسطين المحتله لم تعالج القضايا الاجتماعية الاساسية ولم تنتبه لها ولم تولها الاهتمام، وايضا، لم تعالج المشاكل الاجتماعية التي نجمت عن الانتفاضة مثل البطالة، اغلاق لمؤسسات التعليم، الخلافات الاجتماعية مثلما لم تهتم ايضا بالقضايا المتعلقه بالمرأة. وللاسف فحتى ما نشر من كتابات صادرة عن القيادات النسوية العلمانية اقتصر على تعداد مبالغ فيه عن دور المرأة وتضحياتها واستخلصن ان تغيرا كبيرا قد طرأ على مكانتها لمجرد التطور على دورها.

وبسبب ما ذكر اعلاه، فان الجماعات الاصولية الدينية وحدها التي تطرقت للقضايا الاجتماعية ومن بينها قضايا المرأة. ورفعت هذه الجماعات شعار ضرورة اصلاح المجتمع بالعودة للدين من اجل مناهضة الاحتلال. وبالنتيجة لوحظ ميل متزايد لدى البنات والنساء باتجاه ارتداء اللباس الديني الاسلامي.

ولكن من الخطأ التسرع في الاستنتاج والاعتقاد بان المرأة الفلسطينية تميل الى لبس اللباس الديني الاسلامي لمجرد ملاحظة الظاهرة في الشارع.

اني اعتقد ان اللباس المنتشر حاليا بين البنات ليس هو نفسه اللباس الديني الاسلامي.

ففي حين يشترط اللباس الديني الاسلامي ان يكون فضفاضا، لا يبين تقاطع جسد المرأة ومفاتنها، او يشف ما تحته، نجد اللباس المنتشر حاليا بين البنات على انه لباس ديني، يمكن ملاحظة، انه يبين تقاطع الجسد، ويبرز المفاتن، والبعض منه يشف ما تحته، وقد تلبس البنات البنطال والحزام بدلا من الثوب الطويل، وكثير من الثياب مزركشه ومفصله على احدث موديلات الازياء.

والمشترك الوحيد ان هناك غطاء للشعر في كلا الشكلين من اللباس.

اني اعتقد ان عدم مراعاة البنات للاصول المتعارف عليها في شكل الثوب هو احد مظاهر المقارنه والرفض وعدم القناعه باللباس. واعتقد بان سبب ارتداء البنات لهذا النوع من اللباس لا يعود لقناعتهن به بل لعدة امور منها:

- التهديدات التي وجهت بواسطة البيانات الصادرة عن بعض الجماعات الدينيه او بيانات نسبت باسم هذه الجماعات، واعمال التنكيل التي تعرضت لها البنات في مناطق مختلفه مثل الخليل والقدس ونابلس، وبشكل خاص في قطاع غزة حيث تم الاعتداء فعلا على العديد من البنات، وهددوا اهلهن بالويل اذا ما استمرت بناتهم ترتدي اللباس الحديث. والذين بدورهم اصبحوا يرغمون بناتهم على أرتداء اللباس الديني لاعتقادهم انهم بذلك يحمون بناتهم اجتماعيا.

- لجأت البنات لارتداء اللباس الطويل لحماية انفسهن اجتماعيا، ولكي يصبحن مقبولات اجتماعيا، خاصه في المناطق التي تتواجد فيها الجماعات الاصولية اقوى بالمقارنه مع التنظيمات العلمانية ويحدث العكس في المناطق التي تكون فيها التنظيمات العلمانيه قوية بالمقارنه مع الجماعات الاصولية او في المواقع التي لا يوجد بها جماعات اصوليه. واعرف صديقات تقدميات وعلمانيات من قطاع غزة او الخليل اضطررن لارتداء اللباس الديني، وحين يأتين الى القدس او رام الله او بيت لحم، يغيرن ملابسهن.

Digitized by Birzeit University Library

ان عدم التزام البنت والمرأة في الدعوات الموجهة لهن بالبقاء في البيت، هو احد المؤشرات على عدم تقبل المرأة الفلسطينية للتراجع الحاصل على مكاسبها في الانتفاضة وفي اعتقادي ان ظاهرة تزايد اللباس الاسلامي ليست ثابته ولا اعتقد بانها ستستمر فالموقف من اللباس الديني هو جزء من عمليه صراع مستمرة بين القديم والجديد بين ما هو صالح اجتماعيا لخدمة الانتفاضة وما هو غير صالح في اطار بحث المجتمع عما يلزمه للاستمرار والانتصار واعتقد ان الصراع سيحسم في النهاية لصالح المرأة.

خاتمة

نستطيع الاستخلاص مما سبق عن مسيرة حياة المرأة الفلسطينية، انها تعيش تحت ضغط ظروف نفسية واجتماعية مجحفه لها،وفي ظروف، التميز فيها واضحا لصالح الرجل، ظروف تحرم فيها من حقوقها من الطرفين، المحتل الاسرائيلي، ومن جانب الاسرة والمجتمع ايضا.

ان الشعب الفلسطيني قد ازداد وعيه بحقوقه وادرك السبيل لنيل هذه الحقوق، وعرف طريقه لتحرره، والمرأه التي هي جزء هام في المجتمع ازداد وعيها ايضا، ليس فقط، بحقوق شعبها، بل وبحقوقها، وادركت الدور الملقى على عاتقها في النضال من اجل حرية شعبها ومن اجل تحقيق مكانه افضل لها في المجتمع.

ان من الخطأ الاعتقاد بان الانتفاضة ستحرر المرأة، فليست الانتفاضة قوة سحرية لحل مشاكلها بدون ان تشارك المرأة بجهد، ونضال مضاعف من اجل تحرير نفسها اولا.

ان من الهام ادراك ان هناك عوامل كثيرة تشد المرأة للوراء وتفقدها مكتسباتها، مثلما توجد هناك عوامل لشدها نحو الامام، لذلك عليها مواصلة الصمود والنضال والوقوف امام مظاهر الظلم الاجتماعي لها. ولما كانت المنظمات العلمانية قد تجاهلت قضايا المرأة الخاصة فان ذلك يلزمها بأن تناضل من اجل تركيز اهتمام هذه المنظمات بان تحررها جزء لا يتجزأ من عملية التحرر الوطني عموما، ومن أجل دفع المنظمات العلمانية لتضع على سلم اهتماماتها قضايا المرأة الفلسطينية لان الاعمال والادوار التي تقوم بها المرأة، والالام التي تتحملها لم تستطع ولم تغير من تبعيتها للرجل فما زال هو المقرر لمصيرها.

تهنئة وتحية للمرأة في الثامن من آذار

تتقدم أسرة تحرير مجلة الكاتب بأحر التهاني إلى المرأة الفلسطينية والعربية والعالمية، بمناسبة الثامن من آذار عيد المرأة العالمي.

واذ نتوجه بالتحية للمرأة الفلسطينية في كافة أماكن تواجدها، نأمل أن يحل العيد القادم، وقد حقق شعبنا كل ما يصبو إليه في التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي، وعم السلام العالم أجمع.

أسرة تحرير مجلة الكاتب

Digitized by Birzeit University Library

البيريسترويكا و التفكير الجديد وقوانين الديالكتيك

- صالح رابي -

فيما يلي عرض لبعض القوانين والمقولات الماركسية ومحاولة استشفاف كيفية تطبيقها على المجتمعات الاشتراكية في أوروبا، أو لنقل المجتمعات التي حكمتها أحزاب شيوعية منذ عشرات السنين. هذه المجتمعات التي شهدت مؤخرا حركات شعبية وتغييرات جذرية فرضتها شعوب تلك الدول وحركتها تحت شعارات الديمقراطية السياسية وحقوق الانسان.

وقبل الدخول في فحوى القوانين واستعراض مطابقتها بالاوضاع التي كانت سائدة في تلك البلدان، نعرض الى البيريسترويكا نفسها .

البيريسترويكا كثورة

تقر الماركسية - اللينينية ان المجتمع الاشتراكي هو مجتمع متحرك ومتطور وحي، وليس جامدا عديم الحياة، وكون الاشتراكية (الشيوعية) هي آخر مرحلة اجتماعية - اقتصادية، فان هذا لا يعني أنها مرحلة غير قابلة للتطوير والتجديد.

ان اعتبار الشيوعيين انهم بناة المجتمع الاشتراكي ينبع من كونهم الأكثر فهما للماركسية - اللينينية، النظرية العلمية القابلة للتجديد والتطوير باستمرار، والتي وضعت التصور الدقيق لتطور المراحل الاجتماعية - الاقتصادية من المشاعية البدائية الى الشيوعية المتطورة. وتعود الاخفاقات في المجتمعات الاشتراكية الحالية بسبب جهل لهذه النظرية أو عدم فهمها، أو سوء تطبيقها بشكل خلاق على الواقع الملموس لكل بلد، بناءا على ظروفه الخاصة به، أو أن هناك من يحاول "قص" هذه النظرية وتفصيلها قميصا يلائم أفكاره ونزواته ليس الا.

واستدعى كل هذا، بالضرورة، ظهور البيريسترويكا، كثورة في الاتحاد السوفياتي تبعها التغيير في بقية الدول الاشتراكية الأوروبية، وفي العديد من جوانب الحياة في العالم، ثورة تجدد

Digitized by Birzeit University Library

الحياة الاشتراكية وتعيد لها شبابها، ثورة في جميع مناحي الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والروحية والسياسية.

ويجري الحديث الآن عند كثيرين ان التغييرات في المجتمعات الاشتراكية موجهة نحو "رسملة" هذه الدول، واعلان فشل الشيوعية، وهناك كثيرون بمن فيهم قسم من مواطني تلك الدول ينادون بترسيخ ديمقراطية الغرب وغيرها من مظاهر الحياة في العالم الرأسمالي.

ان من المفروض ان المجتمع الذي سيظهر بعد الثورة، وفي ظل التفكير الجديد، هو بالتأكيد مجتمع أكثر تطورا وانسانية من المجتمع الذي سبقه والذي تنخره البيروقراطية والمحسوبية، مجتمع يُرسخ مُثُلُ الاشتراكية بصفتيها الانسانية والديمقراطية، ويخلو من الفساد.

ان مناداة مواطني الدول الاشتراكية بنشر الديمقراطية في بلادهم هو دليل على افتقارهم لها، رغم كل ادعاءات الأحزاب الحاكمة بعكس ذلك، ورغبتهم في تحقيق الديمقراطية الى جانب العدالة الاجتماعية.

من هنا فان المجتمع الذي تتمخض به الدول الاشتراكية هو بلا شك مجتمع أكثر تطورا، وستأخذ انظمتها الحسن والمبدع مما صنعته البشرية، من صناعة وعلوم وقيم اجتماعية وفنون وثقافة وتراث.

قانون وحدة وصراع الأضداد

يعتبر قانون وحدة وصراع الأضداد من أهم قوانين المادية الديالكتيكية، وقد أشار لينين الى ذلك بقوله "يمكن تعريف الديالكتيك بأنه مذهب وحدة صراع الأضداد" ص١٧١ (في المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية / دار التقدم - موسكو ١٩٧٥) ويؤكد هذا القانون "ان مصدر حركة أي شيء هو التفاعل، الصراع بين الأضداد الملازمة لهذا الشيء داخليا (المصدر السابق) والحركة المقصودة في هذا القانون والناتجة عن الصراع "التفاعل" بين القطبين المتضاربين هي "الحياة"، استمرار حياة هذه الظاهرة ووجودها وتطورها.

ويفعل هذا القانون فعله في الطبيعة وظواهرها والمجتمع البشري والكائنات الحية، ومن الأمثلة التي توضح القانون ظاهرة تضاد ووحدة القطبين السالب والموجب في المغناطيس، حيث يختفي المغناطيس (الظاهرة) بمجرد اختفاء أحد القطبين، حيث لا يوجد في الطبيعة مغناطيس بقطب واحد، وعملية الهضم والافراز في جسم الانسان (الايض) - التي بدونها تنعدم الحياة.

واذا كان وجود (وحدة) الضدين داخل الظاهرة الواحدة كالمغناطيس مثلا، فان هذا الصراع (التفاعل) بين الضدين في المجتمع هو الكفيل باستمرار تطور المجتمعات عبر التاريخ، من المشاعية البدائية، ثم الاقطاع والرأسمالية. فلكل تركيبة اجتماعية اقتصادية من التركيبات السابقة تناقضا (اساسيا) هو التناقض بين علاقات الانتاج والقوى المنتجة، بحيث لا تستطيع القوى المنتجة ان تبقى تعمل تحت نفس علاقات الانتاج الاستغلالية مما يفرض موضوعيا ايجاد حل، تحسمه القوى المنتجة لصالح تطوير المجتمع، ووضع أساس جديد لعلاقات اجتماعية جديدة، وبالتالي الى مجتمع طبقي جديد، يعتبر ثوريا بالنسبة لسابقه.

لكن هذه المجتمعات الوليدة لا تلبث ومع التطور الا أن تقع تحت ضغط تناقض تناحري جديد

Digitized by Birzeit University Library

يهدد بتقويض هذا المجتمع. وهكذا ترى كلاسيكيات الماركسية الكيفية التي تمت بها عملية الانتقال من المجتمع المشاعي البدائي حتى المجتمع الاشتراكي الحالي، وعلى الأصح، المجتمع الذي تحكمه أحزاب شيوعية.

وتشير الماركسية الى أن العامل الأساسي والحاسم في عملية التغيير الجذري هو العامل الداخلي، اي التفاعل (الصراع بين الضدين الرئيسيين في اطار الظاهرة الواحدة، مع عدم اهمال الدور المؤثر للعامل الخارجي (ص ١٧٠ المصدر السابق).

ان هذا الصراع (التفاعل) بين الضدين يعطي الظاهرة، حركتها المستمرة الصاعدة الى أعلى، باتجاه الأحسن الذي هو مرحلة متقدمة بالنسبة للحسن الذي سبقه. ان الحركة هنا هي الحياة المتطورة تطورا ينسجم مع فعل قانون وحدة وصراع الأضداد.

ويلاحظ أن الأدبيات الماركسية الموجودة بين أيدينا والصادرة عن دور النشر السوفيتية، لا تشير اشارة صريحة الى امكانيات فعل هذا القانون في المجتمعات التي تحكمها الأحزاب الشيوعية، حيث يرى بوضوح في هذه الكتب ان الانتقال من تركيبة اجتماعية - اقتصادية الى أخرى هو نتيجة لتناقض بين علاقات الانتاج والقوى المنتجة، في كافة التركيبات التي تسبق الاشتراكية، في حين تخلو هذه الكتب من الاشارة الى أي تناقض تناحري من أي نوع في هذه المجتمعات، في الوقت نفسه فان تلك الأدبيات تلغي كل امكانيات حدوث مثل هذه التناقضات التناحرية في المجتمعات التي تحكمها احزاب شيوعية، وتشير فقط الى التناقضات الغير تناحرية.

واذا آمنت هذه الكلاسيكيات بان التناقضات التناحرية هي سبب التطور، فان هذا تسليم بان المجتمع الاشتراكي، تحت حكم الأحزاب الشيوعية هو مجتمع غير متطور تطورا ثوريا. وهذا يتناقض مع اعتبار عدد من برامج الأحزاب الشيوعية الحاكمة مثل الاتحاد السوفياتي والمانيا الديمقراطية بان المرحلة التي تمر بها هاتان الدولتان هي "الاشتراكية المتطورة". كما انه من غير المنطقي اغلاق أبواب المجتمعات امام فعل قوانين الديالكتيك بمجرد وصول حزب شيوعي للسلطة، ومن قبل من؟ من قبل من يقدسون الماركسية ويعتبرونها شبه ديني، ويحكمون على أساسها.

لقد جاءت البيريسترويكا، لتشير بوضوح الى ان هناك تناقضات تناحرية في المجتمعات الاشتراكية، لا بد من حسمها لصالح عمليه التطور. كما أن هناك حاجة ماسة الى قراءة جديدة للفلسفة الماركسية. وقبل كل شيء فقد جاءت البيريسترويكا لتضع سؤالا كبيرا: هل الاشتراكية التي سادت حتى الآن هي الاشتراكية التي بحث عنها الكادحون؟

وتجدر الاشارة الى أن قانون وحدة وصراع الأضداد يفعل فعله داخل الحزب الماركسي اللينيني نفسه، من خلال الصراع (التفاعل) والوحدة داخل الحزب، بصفته ظاهرة، مما يعطيه الحيوية ويؤدي وظيفته المطلوبة، كقائد للمجتمع الاشتراكي. لكن ما حصل في دول اوروبا الشرقية التي حكمتها مثل هذه الأحزاب، هو أنها اصبحت مجموعات دكتاتورية "ملكية" احيانا، وأصبح الانضمام اليها، مساهمة في التصفيق وتنفيذ سياسة قيادة هذه الحزب، وضمان الوصول الى مركز اجتماعي مرموق.

وقد أدى هذا الوضع الى القضاء تماما على التفاعل (الصراع)، وحلول الرأي ذي الوجه الواحد،

Digitized by Birzeit University Library

وكأنه "وحدة ديالكتيكية"، فظهر الاجماع في اتخاذ القرارات وانتخاب الأمين العام واللجنة المركزية، والاعلان عن مرحلة تطور جديدة في المجتمع.

ان الوحدة والصراع في الحزب تعني طرح مختلف الآراء لتطوير موضوع البحث واغنائه وفتح القاعة لنقاش حر وديمقراطي جوهره الصراع بين الحسن والأحسن، بغض النظر عن صاحب الرأي الأحسن، أكان امينا عاما للحزب أم لم يكن. وان فرض "الحسن" و "قمع" الأحسن وطمسه هي محاولة مؤقتة لوقف عمل قوانين الديالكتيك. وقد انعكس هذا على جهاز الدولة نفسه الذي بات في احشاء الحزب الحاكم.

قانون تحول التغيرات الكمية الى تغيرات نوعية

ومن حياتنا نستقريء مثلا للتسهيل في فهم هذا القانون، فالشعرة الواحدة على وجه فتى لا تسمى نقنا، ولا شعرتان ولا عشرين، .. لكن عدة آلاف تسمى بالتأكيد نقنا، ويقال حينها ان صاحب النقن أصبح رجلا وقبلها كان طفلا، ومر بين المرحلتين الفتوة. ومن كتب الماركسية نستقي مثلا آخر "ومن المعروف ان المجتمع يظل رأسماليا استغلاليا منذ لحظة سيطرة علاقات الانتاج البرجوازية، حتى لحظة الاطاحة بها ثوريا، وتجري في ذلك المجتمع تغييرات مستمرة وهامة للغاية، تنمو القوى المنتجة وتشتد وتشتد، عملية تركز الرأسمال .. الخ وليس غير انقطاع التدرج أي الانقلاب الثوري الذي يطيح بالسيطرة السياسية للبرجوازية ويحرمها من ملكية أهم وسائل الانتاج" (ص ١٥٠ المصدر السابق).

والذي يقرأ كتاب البيريسترويكا لميخائيل جورباتشوف يرى بوضوح تلك التراكمات (التغيرات) الكمية، التي سببتها القيادة الحزبية عبر فترات طويلة، وكانت تؤثر سلبا كافة حقب الحياة، يقول الزعيم السوفييتي مختصرا تلك التراكمات "وظهر في بعض المستويات الادارية عدم احترام القانون، وتشجيع للكلام المضلل، والرشوة مع الخنوع والتهجير، وكانت الجماهير ساخطة بحق على سلوك الاشخاص الذين يحظون بالثقة والمسؤولية ومع ذلك يسيئون استخدام السلطة ويقمعون النقد، ويجمعون الثروات والذين تحولوا حتى الى شركاء في اعمال اجرامية، ان لم يكونوا المنظمين لها، وساد مناخ ان كل شيء على ما يرام، وبدأ الفساد يسري في الاخلاقيات العامة والضعف يعرف طريقه الى الشعور العظيم بالتضامن بين المواطنين" (ص١٩ البيريسترويكا لنا وللعالم أجمع - ميخائيل غورباتشوف).

ان استمرار هذه التراكمات كان سيفضي بالتأكيد الى نتاج جديد، نتاج كيفي نوعي، ظهر بعد وصول التراكمات الصغيرة والسلبيات الصغيرة والصغيرة جدا والكبيرة والمتوسطة، الى وضع تصبح أية زيادة على هذا الكم سببا مباشرا في هذا التغيير، الذي يمس الجوهر ويؤثر فيه بشكل واضح. ان هذه اللحظة التي تصبح فيها اضافة اي تراكم ولو كان صغيرا يؤدي الى "انفجار" أو "طفرة" تسمى اللحظة الحاسمة.

ولقد أشار الزعيم السوفياتي الى خطورة الوضع حينما تحدث عن امكانيات حصول أزمات اجتماعية واقتصادية وحتى سياسية لو لم تتم المبادرة الى البيريسترويكا. ولقد لعب العامل الذاتي في الاتحاد السوفياتي وقيادة الحزب الشيوعي الحاكم الدور المؤثر والحاسم في اجراء

Digitized by Birzeit University Library

عملية التغيير، عبر الثورة في جميع مجالات الفكر والحياة، لصالح التطور نحو بناء مجتمع اشتراكي انساني، أي الانتقال الى الأحسن من الحسن.

ولو لم يقم العامل الذاتي بدوره هذا في التطوير نحو الأحسن لكان من الممكن ظهور ما قد يسمى عامل ذاتي "مضاد" يستغل وصول التراكمات الى اللحظة الحاسمة لتغيير المجتمع لغير صالح التطور، أو على الأقل لاعاقة التطور وعرقلته لفترة من الزمن قد تطول أو تقصر حسب قوة هذا العامل المضاد، والاستجابة لطروحاته. ولعل أوضح مثال لدور العامل الذاتي وتحركه لاستغلال اللحظة الحاسمة، هو تحرك لينين والبلاشفة لاعلان ثورة اكتوبر "الآن" وليس غدا لأنه سيكون متأخرا، وليس "أمس" لأنه سيكون مبكرا.

ويعتبر مثال بولندا وظهور "التضامن" كقوة في "الوقت المناسب"، وقت وصول التراكمات الى درجات عليا، مثالا ساطعا "للعامل الذاتي المضاد"، حول استغلال الظروف.

ان عدم وجود العامل الذاتي القوي والمجهز قد يؤدي الى فشل التجربة، ووقف التطور نحو الأفضل، يحسم الصراع لصالح الظاهرة الأحسن، فالتناقضات المستفحلة في العالم الرأسمالي وعلى رأسها التناقض الرئيسي، والتناقضات في المجتمعات الاقطاعية وقبلها في المشاعية البدائية لا يمكن ان تحسم بدون وجود العامل الذاتي، الذي هو في العالم الرأسمالي حزب الطبقة العاملة.

وقد أكد كلاسيكيو الماركسية هذه الحقيقة حين أشاروا الى أن أحد أسباب تحطيم كومونة باريس وعدم استمرارها في الحكم هو عدم وجود حزب للطبقة العاملة الباريسية.

ولقد كان العامل الذاتي في الاتحاد السوفياتي هو الحزب الشيوعي السوفييتي، ممثلا بقيادته، وعلى رأسها غورباتشوف، والذين كونواجميعا "ترسانة كاملة من المعلومات" (ص ١٥ البيريسترويكا) بفضل دراساتهم ومناقشاتهم وآرائهم حول الوضع المتردي من كافة الجوانب. وبكلمات أخرى فان العامل الذاتي قد تنبه الى التراكمات التي تتكدس وقام بتمويلها لصالحه، بواسطة "ثورة من أعلى ومن أسفل" حسب تعبير غورباتشوف، حسمت الصراع لصالح الشعب والاشتراكية والحفاظ على الخط المتصاعد وتقويمه وتسريعه قبل ظهور عامل مضاد يفيره لغير صالح الاشتراكية، أي ثورة مضادة.

ظهور البيريسترويكا والحتمية

ان أي تغيير يفرضه أحد قوانين الماركسية الثلاثة هو تغيير ثوري، جوهري، وهو انتقال من ظاهرة الى ظاهرة جديدة تختلف عنها في الجوهر، والظاهرة الجديدة في تطور طبيعي للظاهرة القديمة، وقد جاءت الاكتشافات العلمية، اكتشاف قوانين الجاذبية والكهرباء الساكنة، وظهور السنبلة على انقاض حبة القمح، والمجتمع الاشتراكي على حساب المجتمع الرأسمالي.

وترى الماركسية -اللينينية، ان فعل هذه القوانين في الظواهر الاجتماعية والطبيعية هو حتمي، تفرضه الضرورة ويأتي صدفة، بالضبط كما جاء اكتشاف نيوتون لقانون الجاذبية عندما شجت انفه حبة التفاح الساقطة، أو كما اكتشف العالم الايطالي فرادي قانون الكهرباء الساكنة - اثناء قيامه بتجربة بيولوجية.

Digitized by Birzeit University Library

ولعل مجيء البيريسترويكا كثورة في كافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية في الاتحاد السوفياتي، وفي العالم أجمع، يخضع ايضا لمقولة الضرورة والصدفة. من مقولات المادية الديالكتيكية.

فظهورها كان ضرورة ملحة تفرضها الظروف الموضوعية التي يعيشها الاتحاد السوفياتي، وبقية الدول الاشتراكية الأوروبية، والظروف الموضوعية هنا هي التراكمات وهي الأخطاء الصغيرة والكبيرة والمتوسطة وأعمال الرشوة والبيروقراطية والجريمة وأشكال الفساد الأخرى. كما أن مجيء هذه الثورة على يد ميخائيل سيرجيفتش غورباتشوف هو صدفة، احدثها اقتراح تقدم به أحد أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي لترشيح غورباتشوف لمنصب الأمين العام لهذاالحزب، وبالتالي وصوله الى سدة الحكم.

ولو تم ترشيح أحد المحافظين من أعضاء المكتب السياسي لادى هذا الى تأخير حلول ثورة البيريسترويكا، في نفس الوقت فانه لو انتخب شخص آخر من حاملي افكار غورباتشوف لهذا المنصب لحصلت البيريسترويكا ولارتبطت هذه الثورة بشخص آخر غير القائد السوفييتي الحالي الذي ترتبط به. أي أن مجيء البيريسترويكا حتميا لكن ارتباطها بغورباتشوف هو صدفة.

خلاصة

صحيح ان المجتمعات التي نسميها حتى الآن اشتراكية جاءت ارقى من المجتمعات التي سبقتها، فحكم البلاشفة قدم لشعوب الاتحاد السوفياتي اكثر من القيصرية وكذلك الشيوعيين في تشيكوسلوفاكيا والمانيا وغيرها. لكن هذه النماذج الاشتراكية لم تكن بالنسبة للانسان ارقى من النموذج الرأسمالي. فهناك نماذج رأسمالية يتمتع فيها الانسان بالحرية وبكثير من العدالة الاجتماعية أكثر من مواطن رومانيا وبولندا ودول اشتراكية أخرى، كما في السويد مثلا وهي بلد رأسمالي صناعي.

وبعد أن تشكل النظام الاشتراكي ودخل في منافسة اقتصادية اجتماعية مع الرأسمال، نرى ان الأخير تفوق ولا يزال يتفوق على منافسه في كثير من الحقول زراعة، صناعة، حريات وبالذات في التكنولوجيا والصناعات الخفيفة، والحريات.

لهذا يمكن القول أن المجتمعات التي وصلت فيها أحزاب شيوعية للسلطة، لم تنف المجتمعات التي سبقتها نفيا ديالكتيكيا، نفيا يلد الأرقى في السلم الاجتماعي، وأحلت نموذجا سليما لتركيبة اجتماعية اقتصادية أرقى هي الاشتراكية مكان مجتمع بائد، لا بد من انتهائه هو المجتمع الرأسمالي في هذا البلد بكافة سيئاته الاقتصادية والاجتماعية والانسانية المعروفة، بل قضت على جوانب دون أخرى، ولم تكمل رسالتها ببناء مجتمع اشتراكي قابل للتطور الديالكتيكي وهذا ينسحب بسطوع على رومانيا وبولندا. وعلى بقية الدول الشرقية الأخرى.

ان قانون نفي النفي يتحدث عن خلق جديد ومتطور من احشاء القديم الذي يتفسخ وينتهي لصالح الجديد، مع الاحتفاظ بالخصائص الأصيلة، بالضبط مثل حبة القمح التي تنبت سنبلة تعطي الكثير من القمح ذي النوعية الجيدة التي بذرها الفلاح في أرضه، ولكن ان يعطي البذار سنابل ضعيفة وحبوبها ضعيفة وقليلة فهذا لا يريح الفلاح بكل تأكيد.

Digitized by Birzeit University Library

ان المجتمع الذي يجب أن يلد بعد البيريسترويكا (ولا أقصد بكلمة بعد، بعد انتهاء البيريسترويكا، فهي ثورة وجدت لتبقى مستمرة من وجهة نظر جدلية)، هو مجتمع سينفي المجتمع القديم بفساده وبيروقراطيته وبديمقراطيته المبتورة، لينشأ مجتمع يكون مثالا للمجتمعات الرأسمالية المعاصرة وهي مجتمعات متطورة، مجتمع يحظى برضى الشعب في كل وقت، الشعب غير المكبوت، بل الشعب المبدع الذي يساهم بايجابية في صناعة الثورات واستمرارها، وبالتالي يساهم في الاسراع في أن تأخذ قوانين الديالكتيك مجراها ويسقط كل من يحاول منعها. ولماذا مثلا لا يحتفظ هذا المجتمع بما في المجتمع الرأسمالي الحالي من ايجابيات، اضافة الى ايجابيات الاشتراكية السابقة.

في اطار الحرب مع اطفال الحجارة..

الاحتلال يضاعف خمس مرات الغرامات على الاهالي ويخترع راجمة حصى اخرى

حيفا - مكتب "الاتحاد" - لجأت سلطات الاحتلال، في اطار حربها المعلنة ضد "اطفال الحجارة" ومحاولتها قمع الانتفاضة الى زيادة مبلغ الكفالة التي يدفعها ذوو المتهمين بقذف قوات الاحتلال بالحجارة لقاء اطلاق سراحهم من المعتقلات، من (١٥٠٠) شيكل الى (٥) الاف شيكل.

واعلن قائد المنطقة الوسطى، الجنرال يتسحاق مردخاي، ان هذه الخطوة تأتي في اطار "الحلول القانونية" التي تعتمدها سلطات الاحتلال لظاهرة قذف الحجارة. واضاف ان السياسة التي ستعتمد تستهدف افهام سكان الضفة الغربية المحتلة ان قوات الاحتلال لن تسمح بقذف الحجارة على قوات الاحتلال وعلى المستوطنين!

راجمة حجارة صغيرة

من ناحية ثانية، اعلن في اوائل شهر شباط الماضي، عن ان قوات الاحتلال ادخلت الى وحداتها العاملة في قمع الانتفاضة "سلاحا" جديدا مطورا وهو راجمة صغيرة للحجارة سهلة الاستخدام.

وتستطيع هذه الراجمة قذف الحصى الى بعد ٧٠ مترا، ويمكن اطلاق الحصى منفردة او صليات حسب رغبة مشغلها! وبالامكان ان تثبت على جناح السيارات العسكرية او على فوهة مدفع رشاش!

ويذكر ان قوات الاحتلال كانت استخدمت راجمات حصى كبيرة الحجم الا انها لم تساعدها في مواجهة الانتفاضة فاودعت هذه الراجمات في مخازن الجيش بدون استخدام!

Digitized by Birzeit University Library

الصحافة السرية
للحزب الشيوعي العراقي
منذ نشوئها - وحتى العام ١٩٥٨

سعد عباس عبيد

فيما يلي فصول من رسالة الماجستير للاستاذ سعد عباس محمد عبيد، وهي بعنوان "الصحافة السرية للحزب الشيوعي العراقي منذ نشوئها وحتى العام ١٩٥٨"، ونظرا لأهمية الموضوع، سنقوم بنشر موضوعاتها على حلقات، هادفين بذلك، الى اطلاع قرائنا على جوانب هامة، من تجارب الحزب الشيوعي العراقي الغنية.

(٤)

الحزب الشيوعي العراقي والقضية القومية

جاء في البند العاشر من الميثاق الوطني الذي أقره كونفرس الحزب عام ١٩٤٤ وصادق عليه بعد تعديله المؤتمر الوطني الاول عام ١٩٤٥ " نناضل في سبيل ايجاد مساواة حقيقية في الحقوق للاقلية القومية الكردية مع مراعاة حقوق الجماعات القومية والدينية الصغيرة كالتركمان والارمن واليزيدية ".

ومنذ تأسيس حزبنا الشيوعي العراقي حدد موقفه المبدئي من القضية الكردية على أساس المبدأ الماركسي - اللينيني الذي يقر لجميع الامم صغيرها وكبيرها بحق تقرير مصيرها بنفسها والتحرر من نير الاضطهاد القومي (١٤٧).

Digitized by Birzeit University Library

جريدة " آزادي " الحرية.

عام ١٩٤٤ أصدر الحزب في كردستان جريدة " آزادي " باللغة الكردية وقد كتبت في عددها الاول. دعت جميع الاكراد الى النضال من أجل احزاب وجمعيات ديمقراطية لتنظيم الشعب الكردي وتهيئته وتمكينه من استعمال حقه في تقرير المصير ولكي يكون اتحاده مع العرب في العراق اتحادا اختياريا مبنيا على المساواة في جميع الحقوق ". واصبحت آزادي بعد تأسيس الفرع الكردي للحزب عام ١٩٤٥ لسان حال الفرع وهي صحيفة سياسية سرية كردية.

وقد كتب الرفيق فهد في تشرين الثاني ١٩٤٥ مقالا حول المسألة القومية في العراق ووحدة نضال الشعب العراقي ضد العدو المشترك الاستعمار جاء فيه " في العراق قوميتان كبيرتان رئيسيتان هي العرب والاكراد يتحكم بهاتين القوميتين على السواء الاستعمار ويساعد الاستعمار في تحكمه الاقطاعيون والملاكون الكبار وباقي عملاء الاستعمار بين العرب والاكراد .. واذا كان لجماهير العرب والاكراد عدو واحد .. فما هو واجب الوطنيين العراقيين العرب والاكراد اذن؟" لاشك انه واجب النضال ضد هذا العدو .. هذا هو جوهر المسألة "(١٤٨) وفند الرفيق فهد شعار الانفصال واوضح خطأه بل وخطره على قضية الشعبين الكردي والعربي قائلا " ان شعار انفصال الاكراد عن الدولة العراقية .. ما هو الا شعار خاطيء لافائدة منه على الاطلاق لجماهير الشعب الكردي الساحقة. ولكن ما هو موقفنا من حقوق الاكراد القومية؟..

وفي جوابه يضع الحل الصحيح للمشكلة الكردية فيقول:" أنا نناضل من أجل حرية الجميع من أجل حق التنظيم، من أجل الحياة الديمقراطية، من أجل نظام حكم وجهاز حكم ديمقراطي. نناضل في سبيل نشر الثقافة للجميع بأختصار نناضل من أجل سعادة الاكراد والعرب والجماهير الكادحة. من أجل منظمات ديمقراطية تمكنها من تبيان رأيها في البقاء الاختياري أو الانفصال على ضوء مصلحة الشعب الكردي ومصلحة جماهيره الكادحة .. "(١٤٩).

صحافة الحزب وقضية المرأة

دعا الحزب الشيوعي العراقي منذ تأسيسه الى تحرير المرأة العراقية من أجل حقوقها كمواطنة اسوة بأخيها الرجل وكتبت " الشرارة " وبعدها " القاعدة " عدة مقالات تعالج اوضاع المرأة العراقية مبرهنة على أن العلاقات الانتاجية الاقطاعية والتخلف الاقتصادي والاجتماعي هو الاساس الذي يرتكز عليه استعباد المرأة.

جاء في جريدة " القاعدة " مقال بقلم الرفيق " فهد " تحت عنوان يوم النساء العالمي ٨ آذار جاء فيه " هذا يومك ايتها المرأة العراقية، كما هو يوم بنات جنسك في العالم بأسره هذا هو اليوم الذي تجمعن فيه الصفوف، اليوم ترفض فيه الشعارات المعبرة عن مطاليبك، اليوم الذي تستعرضين فيه انجازات السنة والسنين الماضية وترسمين واجباتك لعامك الجديد، هذا هو اليوم الذي تعلنين فيه تضامنك واشتراكك الفعلي في النضال مع جميع القوى المناضلة ضد جميع أشكال العبوديات المزمنة والمستحدثة، في سبيل أوطان أرقي وحياة أسعد وعيش أرغد عالم أسمى وأرفع هذا هو يوم ٨ آذار اليوم العالمي للنساء. وبعد أن يشرح وضع المرأة العراقية والعبودية المزدوجة التي تنوء بثقلها يخلص بالسؤال عن مصدر هذه العبوديات فيقول " تكمن العلة

Digitized by Birzeit University Library

الاصلية في فقدان بلادنا السيادة الوطنية اذ أن الاستعمار لكي يثبت مركزه في وطننا، يسند الرجعيين ويقوي العادات الرجعية، علاوة لما في العادات من قوة على البشر فعلى المرأة اذن أن تناضل في ميدان، تناضل من أجل قضاياها الخاصة وتناضل في الميدان الوطني.

وبعد أن يوضح للنساء طريقهن الى النضال من ابسط اشكاله حتى ارقاها ينتهي الى نداء الى كافة المواطنين قائلا: " وعلى المواطنين الواعين المخلصين الذين يهمهم حرية وطنهم واسعاد شعبهم أن ينظروا الى حركة تحرير المرأة العراقية كجزء مرتبط بحركة القطر العامة والحركة التقدمية فعليهم واجب تشجيعها ومساعدتها اجماعيا وفرديا، وعلى كل مواطن مخلص أن يساعد القريبات اليه بمدهن بالادبيات والارشادات وبكل ما تستطيعه من خدمة "(١٥٠)

×تأسست " اللجنة النسائية " الحزبية المخلصة في الحزب الشيوعي العراقي للمرة الاولى عام ١٩٤٦ باشراف مباشر من الرفيق فهد الذي حضر اجتماعاتها كافه، لحين اعتقاله عام ١٩٤٧ (١٥١)

قال الرفيق فهد لنا " فلتكونوا على علم اذن أن كل انواع الحرمان والالام تنتظر مسيرتكن المجيدة، سيتعين عليكن بالذات " اقناع لا زوجة أو ابنة العامل والفلاح حسب بالانتظام في صفوف الحركة النسائية بل زوجة وابنة " السيد " والمحافظ أيضا وفي سبيل ذلك ستواجهن المصاعب والرجم وتحاربكن الرجعية بشراسة ووحشية.

منذ بداية عملنا في اللجنة النسائية، طالبنا الرفيق (فهد) بخوض تجربة الكتابة وتعلم اوليات الصحافة لم يترك لنا الخيار واعتبر الامر تكليفا ملزما وشرطا في عملنا القيادي. لاننا أصبحنا نمثل صوت النساء الذي ينبغي أن يبلغ اسماع صحافة الحزب والصحف الوطنية الاخرى.(١٥٢)

صحافة الحزب وقضية الوحدة العربية والاتحاد العربي

كتب الرفيق فهد مقالا عن الوحدة العربية والاتحاد العربي في " القاعدة " لسان حال الحزب جاء فيه " لم يكن الشيوعيين أقل حماسا ورغبة صادقة لفكرة التقارب والتعاون فيما بين الاقطار العربية أما شعور الشعوب العربية تجاه مبدأ تقارب وتعاون العرب، فان موقفها في كل المناسبات كان خير برهان على الاخذ بهذا المبدأ.

ويتجلى شعورها الطيب تجاه بعضها البعض عطفا على قضية فلسطين وموقفها النبيل في جميع المناسبات ولو كان للشعوب العربية حقوق ديمقراطية لامكنها من تنظيم احزاب شعبية جماهيرية ولاستطاعت أن تعبر عن شعورها القومي الوطني تعبيرا عمليا ولاستطاعت أن تؤثر بنضالها على السلطات الحاكمة في بلادها للتدخل في شؤون قطرهم الشقيق فلسطين وحل مشكلته وانقاذ الشعب العربي هناك من الورطه التي اوقعه فيها الاستعمار. لكن فقدان التنظيمات الديمقراطية وحبس الشعور العام داخل كل قطر من الاقطار العربية كان السبب في اضعاف الحركة التحريرية العربية وتفككها ..

كما عدد المقال شروط الاتحاد العربي الذي تنشده الشعوب العربية تحت عنوان " الاتحاد العربي الذي تنشده الشعوب العربية ".

Digitized by Birzeit University Library

١- أن يكون الاتحاد العربي اتحادا اختياريا للشعوب العربية لا أتحاد ملوك العرب وامرائهم والطبقة الحاكمة.

٢- ان يستمد هذا الاتحاد قوته من مصدرها الحقيقي من الشعب العربي بكافة طبقاته، من الحركة الديمقراطية العالمية.

٣- ان يضم الاقطار العربية ذات السيادة الوطنية والكيان الدولي المعترف به من كبريات دول الامم المحبة للحرية كالاتحاد السوفيتي والصين.

٤- أن يضم الاقطار العربية التي تمارس النظام الديمقراطي بالفعل لا بالادعاء.

٥- ان لا يكون الاتحاد العربي موجها ضد أمة من الامم المنضمة الى جبهة الامم المتحدة اي لا يكون "سعد آباد عربي" وان لايكون اداة بايدي دولة او دول استعمارية وان لا يستهدف نوايا توسعيه وطنية (شوفينيه اعتدائية).

٦- ان يفرض على حكومات الاقطار العربية المنضمة الى الاتحاد العربي السير على سياسة عملية وسريعه لرفع مستوى الشعب والبلاد الاقتصادي والاجتماعي والصحي.

٧- ان يضمن كل قطر يرغب في الانضمام الى الاتحاد العربي الحقوق المتساوية التامة للاقليات القومية في ذلك القطر ومساعدة تلك القومية في تنمية ثقافتها القومية، والثقافة العامة والمحافظة على تأريخها القومي ولغتها وآثارها التاريخية ...الخ. (١٥٣)

النهوض الشعبي وتحول الحزب الى حزب جماهيري

لقد اقترن النهوض الشعبي في العراق بتحول الحزب الشيوعي الى حزب جماهيري وبروز دوره ودور الطبقة العاملة العراقية في هذا النهوض وتجلت قيادته للنضال من اجل أهداف حركتنا الوطنية الديمقراطية في بلورته وصياغته لها في ميثاقه الوطني، والسير في طليعة القوى الوطنية من اجل تحقيقها.

كان الحزب قد رفع مذكرة الى رئيس الدولة العراقية ومجلس الامة ووجة نسخا منها الى رؤساء الدول الكبرى، بريطانيا العظمى، الولايات المتحدة، اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتيه بواسطة سفرائها ووزرائها المفوضين في بغداد وكذلك رؤساء الدول العربية، مصر ، سوريا، لبنان بواسطة ممثليها في بغداد. احتج فيها بشدة ضد الحكومة العراقية وضد حليفتها بريطانيا العظمى لسلوكهما المخالف والبعيد كل البعد عن القواعد والمبادىء الديمقراطيه واوضحت المذكرة "ان هذه الحكومة قد شذت عن النظام الديمقراطي الذي اقره دستور البلاد والذي ناضلت وتناضل شعوب العالم وأمتنا العربية من أجل تثبيته، وضربت الدستور العراقي عرض الحائط فسمحت لنفسها ان تتصرف في الحكم تصرفا كيفيا وتطوح باستقلال العراق. وتختتم مذكرة الحزب بالمطالبة:

١- الغاء القوانين الاستثنائية والرجعية، والمحاكم العرفيه والادارية التي تقيد حرية المواطنين.

٢- اطلاق سراح المعتقلين السياسيين، عسكريين ومدنيين اولئك الذين اتهموا بالشيوعيه او الوطنية بمفهومها الصحيح والذين اعتقلوا بحوادث حركة برزان وغيرها.

Digitized by Birzeit University Library

٣- نظام حكم ديمقراطي (١٥٤).

وتحت ضغط هذا النهوض الثوري العالمي والداخلي اضطر الاستعمار البريطاني الى اجراء بعض التغييرات في اوضاع البلدان التي كانت ترزح تحت انتدابه او احتلاله فاوعز الى عملائه بتخفيف بعض القيود السياسيه فكان خطاب الوصي على العرش في ٢٧ كانون اول/١٩٤٥ الذي دعا فيه الى اصلاح الاوضاع العامة في البلد واشاعة الديمقراطية وفسح المجال امام الشعب لممارسة سلطاته، فاستقالت وزارة الباجه جي وشكلت وزارة السويدي في ١٩٤٦/٢/٢٣ ووضعت برنامجا لنقل البلاد من الوضع الشاذ الذي خلقته الحرب الى الوضع الطبيعي ومن جملة ما جاء في ذلك البرنامج: الغاء الادارة العرفية والاحكام الاستثنائية وفسح المجال لتأسيس الأحزاب السياسية ورفع الرقابة عن الصحافة. (١٥٥)

وعندما استقالت وزارة الباجه جي وشكل السويدي الوزارة اصدر الحزب بيانا اعلن فيه ان مطاليب الشعب الرئيسية لا يمكن تحقيقها من قبل الوزارة الجديده وطالب بالغاء القوانين الاستثنائية والاحكام العرفية واطلاق سراح الموقوفين والمسجونين السياسين والسماح بتأليف الاحزاب السياسية والجمعيات واصدار الصحف واعادة نقابة عمال السكك المعطلة ووضع قانون جديد للانتخابات وغلق مكاتب ودوائر الدعاية الجاسوسية. اما في السياسة الخارجية فطالب بوجوب جلاء الجيوش البريطانيه من العراق وسحب ضباطها ووكلائها السياسيين من الالوية والعاصمة واعادة النظر في المعاهدة العراقية - البريطانية ووضع حد لمناورات بريطانيا الرامية الى ايجاد تكتلات باسم (اتحاد العراق وشرق الاردن) و (سوريا الكبرى) وبعث ميثاق (سعد آباد) (١٥٦).

وهكذا اجازت وزارة الداخلية في ٢ نيسان ١٩٤٦ تاليف الاحزاب السياسيه الخمسه التاليه ولم تجز حزب التحرر الوطني الذي أراده الشيوعيون: حزب الاحرار، حزب الشعب، الحزب الوطني الديمقراطي، حزب الاتحاد الوطني، حزب الاستقلال (١٥٧).

ان النشاط الدعائي والتحريكي للحزب الشيوعي لم يقتصر على النشرات والبيانات السرية، وانما استثمر كل الامكانيات العلنيه والشرعيه في نشاطه الفكري والسياسي. فمن الهيئه المؤسسة لحزب التحرر الذي رفضت السلطة اجازته. كما نشطت "دار الحكمة" في اصدار جملة من الكراريس لتوضيح الماركسية - اللينينيه فنشرت سلسلة كراريس بعنوان رسائل التحرر والعصبه (١٥٨).

كما اصدر الحزب البيانات لتأييد عمال السكك الحديدية واعتبر الحزب اضراب عمال السكك في ٢٨ شباط ١٩٤٦ "معركة وطنية" ضد ادارة بريطانية استعمارية عاتيه تسيطر على أهم مشروع وطني عراقي وتسخر الجهاز الحكومي وخصوصا الشرطة لضرب حركة العمال والحركة الوطنية (١٥٩) ودعا بيان آخر الشعب العراقي الى الوقوف بجانب عمال السكك "المشتبكين في معركة وطنية عمالية" (١٦٠).

ونتيجة لنضال الشيوعيين بين صفوف الطبقة العاملة وقيادتهم لنضالها، توسعت الحركة النقابية والتنظيم النقابي عام ١٩٤٦ حيث بلغ عدد النقابات المجازة (١٦) منظمة نقابية .. وتأسست في صيف تلك السنه هيئة ارتباط بين جميع النقابات ناقشت الوسائل لتأسيس اتحاد عام لنقابات عمال العراق، ولاستحصال اعتراف رسمي بالنقابات غير المجازة واستعادة الاعتراف

Digitized by Birzeit University Library

بالنقابات المغلقة من قبل الحكومة وخاصة نقابة عمال السكك (١٦١) وقوبلت الجهود من أجل تأسيس الاتحاد بتأييد الاحزاب الديمقراطية على اعتباره ضرورة وطنية لا بد من التعاون لتحقيقها ووسيلة من اقوى الوسائل وانجعها لخلق سياسة عامة تمثل وجة نظرنا جميعا (١٦٢).

وقاد الحزب الشيوعي اضرابات العمال في الميناء والسكك والنفط والكهرباء والمطابع والبرق والبريد وغيرها .. وكان اروع نضال نقابي قامت به الطبقة العاملة العراقية بقيادة الحزب الشيوعي هو اضراب عمال النفط في كركوك، أوائل تموز ١٩٤٦ واستمر ١٣ يوما لقد امتاز الاضراب بأروع تنظيم واوسع شمول وبالتفاف الجماهير الشعبية وربطه بين مطاليب العمال الاقتصادية والقضايا السياسية لقد كان مدرسة طبقية ووطنية بحق كما جاء في جريدة اتحاد الشعب في ١٥ تموز ١٩٥٩.فقد قررت قيادة الاضراب الاجتماع بالعمال يوميا في الساعة الرابعة مساء في بستان كاورباغي لاجل تنظيم شؤون الاضراب وبينما كان قادة الاضراب يشرحون نتيجة المفاوضات على العمال وتحيطهم جماهير كركوك والاطفال يتسلقون الاشجار مصفقين حتى سمع صوت صفاره وهدر خمسون رشاشا فوق رؤوس العمال وتقدم الخيالة وانهالوا على النساء بالضرب .. وكان الرماة يتصيدون العمال العزل من كل سلاح سوى ايمانهم بعدالة قضيتهم .. وبقيت الرشاشات تهدر والخيل تدوس بسنابكها الاطفال والنساء ولم ينج الاطفال من رصاص الرماة فقتل اكثر من طفل وسقط (١٦) قتيلا وعشرات الجرحى.

عصبة مكافحة الصهيونية:

يستعرض - عادل مصري - سكرتير العصبة في لقاء اجرته معه مجلة الثقافة الجديدة فكرة تكوين العصبة اللقاء الاول بالرفيق " فهد " تم بعد موافقة قيادة الحزب على مقترح من خليتنا بتأسيس " عصبة مكافحة الصهيونية " التأم اللقاء وكان هدفه التداول في أمر تأسيس " العصبة " وبرنامجها ونظامها الداخلي وتشخيص اعضاء هيئتها المؤسسة وطلب تأسيسها وفي ذلك اللقاء - وفي الاجتماعات العديدة التي اعقبته جرى التأكيد على أن تهتدي العصبة في نضالها ضد الصهيونية بالنظرية الماركسية - اللينينية وبمبدأ كون " الصهيونية والفاشية توأمين لبغي واحد هي الامبريالية، على حد تعبير الرفيق فهد وعلى وجوب الفصل بين الصهيونية كحركة سياسية مرتبطة بالبرجوازية وبالاحتكارات الاستعمارية وبين اليهودية كدين، وضرورة عزل جماهير اليهود عن الحركة الصهيونية، وجرهم الى حركة التحرر الوطني والنضال الطبقي. ولم يكن للعصبة أن تصبح - ولم تصبح - منظمة حزبية - بل كانت منظمة جماهيرية ديمقراطية غير حزبية، مفتوحة لكل من يوافق على برنامجها واهدافها ونظرتها الى الصهيونية والى سبل الكفاح ضدها (١٦٣).

وفي شهر ايلول قدمنا طلب تأسيس العصبة ونشر نصه في معظم الصحف المحلية . لكن الرفيق فهد علمنا أن لا نكتفي بتقديم الطلب وننتظر أن تجيزنا السلطات فكان أن تحركت وفود من الهيئة المؤسسة لملاقاة مختلف الشخصيات السياسية والاجتماعية المعروفة واعضاء البرلمان واخذت منهم تصريحات حول أهمية أجازة تأسيس العصبة، وضرورة الفصل بين الصهيونية واليهودية (١٦٤).

وقد ساعد وجود وزير داخلية وطني (سعد صالح) على أجازة العصبة في يوم ١٦ آذار ١٩٤٦

Digitized by Birzeit University Library

قبل اجازة الاحزاب الوطنية الاخرى بأسبوعين (١٦٥) باشرت الهيئة المؤسسة للعصبة التي اخذت تنشط بصورة علنية مستفيدة من حقها القانوني في التحرك من أجل اجازتها وتوضيح اهدافها وقد تواردت عليها التأييدات من مختلف انحاء البلاد ومن فلسطين وسوريه ولبنان ومصر والسودان ومن الاوساط المعادية للصهونية في أوروبا وأمريكا. وشاركت العصبة في أول اجتماع جماهيري عقدتة الهيئات المؤسسة للاحزاب والمنظمات الوطنية عام (١٩٤٥) بمناسبة ذكرى وعد بلفور المشؤوم وذلك في قاعة الملك فيصل (قاعة الشعب فيما بعد) وفي المناسبة نفسها أصدرت الهيئة المؤسسة للعصبة بيانا وزعته بعشرات الالاف. كما وجهت مذكرات الى الامم المتحدة ومجلس الامن ولجان التحقيق الدولية، عرضت فيها رأيها في حل القضية الفلسطينية. فبينت وجوب انهاء الانتداب البريطاني وأقامة دولة فلسطينية ديمقراطية مستقلة تمثل سكان فلسطين كافه على اختلاف طوائفهم. وهذا ما كانت الاوساط الصهيونية تعارضه، وظلت تحاربه حتى النهاية (١٦٦). أمد فهد جريدة العصبة التي كانت تصدر باشراف مباشر وتوجيه كلي منه (١٦٧) بسلسلة من المقالات منها موضوعه الطويل الذي عرى فيه الجذور الطبقية للصهيونية وعلاقتها بالامبريالية بعنوان نحن نكافح من أجل من؟. وضد من! الذي صار فيما بعد مصدرا هاما في تحليل ظاهرة الصهيونية العالمية.

منهاج حزب التحرير الوطني:

شهد الحزب نهوضا كبيرا في عهد الوزارة السويدية فقد أجيزت عصبة مكافحة الصهونية وقامت الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني بنشاط سياسي وفكري واسع (١٦٨) وفي هذا النشاط لعب الحزب دورا فعالا في نشر الوعي والتثقيف بأهم المواضيع الحيوية لحركتنا ومرحلة ثورتنا الديمقراطية. ففي منهاج حزب التحرر الوطني الذي تقدمت به هيئة المؤسسة لخصت اهداف مرحلتنا الوطنية فقد جاء تحت باب الاهداف السياسة:

١ - الاستقلال والسيادة الوطنية.
٢ - المبدأ الديمقراطي.
٣ - الدفاع الوطني.
٤ - الوحدة الوطنية.
٥ - علاقتنا بالشعوب العربية.
٦ - نضالنا ضد الصهيونية.
٧ - علاقتنا مع الشعوب الديمقراطية(١٦٩).

كما جاء في باب الاهداف الاقتصادية دعوة لاستثمار الثروات الطبيعية، النفط المعادن، الغابات والمياه لغرض تصنيع القطر وكذلك الدعوة الى تأسيس مصرف وطني مركزي. وفي باب الاهداف الاجتماعية نادى الحزب بالنهوض بمستوى الفلاح السياسي والاقتصادي والثقافي والصحي والدفاع عن حقه في حيازة أرض يزرعها وحقها في التنظيم السياسي والنقابي وفي تأليف جمعياتها وفرقها الثقافية والرياضية والمهنية.

ولم يكتف الحزب الشيوعي العراقي بنشر برنامج حزب التحرر والدعاية له بل نشر عدة كراسات لتوضح الاهداف الانية لمرحلتنا الوطنية وردت فيه(١٧٠).

Digitized by Birzeit University Library

لم يكن الحزب الشيوعي مجرد صانع لأصوب الشعارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية واكثرها جرأة لوحده وتعبئة قوى الشعب ولم يكن مجرد جهاز دعاية وتحريك لبث هذه الشعارات بين الجماهير بل أصبح القائد الفعلي لنضالات الجماهير الثورية من اجل تحقيق هذه الشعارات .. ففي النشاط العملي جاهد الشيوعيون لتكوين المنظمات الجماهيرية كنقابات العمال، جمعية اصدقاء الفلاح، اتحاد الطلبة والجمعيات المهنية(١٧١).

الهوامش

١٤٧ - كراس (٤٥) عاما من النضال في سبيل وطن حر وشعب سعيد.

١٤٨ - جريدة أزاري/اتحاد الشعب/ ١٩٥٩/٦/١٩.

١٤٩ - نفس المصدر.

١٥٠ - جريدة القاعده/عدد أذار/ ١٩٤٤.

١٥١ - الرفيقه عميده المصري/ ش.ج أذار ١٣٩.

١٥٢ - نفس المصدر.

١٥٣ - جريدة القاعده العدد/ ٨ أيلول ١٩٤٣.

١٥٤ - فهد/ سكرتير عام الحزب الشيوعي العراقي بغداد ١٩٤٥/١١/٢١.

١٥٥ - تاريخ الوزارات / مصدر سابق ص٢٢.

١٥٦ - القاعده عدد ٧ سنة ٤ أذار ١٩٤٦.

١٥٧ - تاريخ الوزارات/ مصدر سابق مجلد ٧ ص٢.

١٥٨ - د. سعاد خيري / مصدر سابق ص١٢٦.

١٥٩ - بيان الحزب الشيوعي العراقي الى عمال السكك العراقي.

١٦٠ - نفس المصدر السابق.

١٦١ - طالب عبد الجبار. ربع قرن من الحركة النقابية.

١٦٢ - جريدة الوطن عدد ١٥٧ حزيران ١٩٤٦. الرأي العام عدد ١٥٤٤ حزيران ١٩٤٦..

١٦٣ - عادل مصري. ش. ج ١٣٢ تموز ١٩٨١.

١٦٤ - نفس المصدر.

١٦٥ - عبد الرزاق الصافي.كفاحنا ضد الصهيونية.

١٦٦ - عادل مصري / مصدر سابق.

١٦٧ - زكي خيري / طريق الشعب ٩ كانون ثاني ١٩٧٧.

١٦٨ - جعفر عباس حمدي / مصدر سابق.

١٦٩ - راجع منهاج حزب التحرر الوطني صادر ١٩٤٦.

١٧٠ - د. سعاد خيري / مصدر سابق ص١٣٠.

١٧١ - نفس المصدر ص١٤٢،١٤٤.

جانب من مسيرة في منطقة المكبر في القدس جرت في ٢/١٧-عن "الجروزاليم بوست" ١٩٩٠/٢/١٨

Digitized by Birzeit University Library

من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة

- د. محمد شحادة -

"ان أول ما يكتبة الانسان، أو ما يجب أن يكتبه، هو عن حياته الخاصة، عن تجربته ..."

حنا مينه

(١)

مقدمة:

شعرت وأنا أقوم بهذه الدراسة، بالغبطة المصحوبة بالقلق والتوتر، لماذا؟. أولا: تفتقر هذه الدراسة الى عنصر هام وأساسي، يتوقف عليه جزء كبير من نجاح البحث، ألا وهو، وفرة المصادر في الموضوع الذي نحن بصدده. فالمراجع والمصادر شحيحة ونادرة في موضوع الأدب الفلسطيني، وخاصة تلك الدراسات منها، التي تقدم لموضوع الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) وظواهره عامة، وظواهره الجديدة خاصة. فما زالت المكتبة الفلسطينية والعربية، تكاد تخلو من مثل هذه المراجع الوافية والمتكاملة. ثانيا: فانه اذا كان الأدب، هو شكل من أشكال الفن، فان الشعر الفلسطيني بشكل خاص، والشعر بصفة عامة، كواحد من الأجناس الأدبية، الأكثر تلقائية للرد على الأحداث، والأسرع انتشارا وانتقالا من لسان الى لسان، نقول الشعر الفلسطيني وهذه صفاته، تراكم منه في أرضنا المحتلة، في العقدين الماضيين، كم كبير، حفرته مئات الأيادي الشاعرة على جدران المدن والقرى الفلسطينية، وعلى جذوع الزيتون، وعلى جدران الوطن المكافح شعبه في سبيل التحرر والاستقلال الوطني، تراكم منه كم الى نقطة تصعب عندها المراجعة الشاملة، لكل ما صدر من مجموعات شعرية، ولكل ما نشر في الصحف المحلية من أشعار، في فترة

Digitized by Birzeit University Library

تصل الى أكثر من عشرين عاما. ثالثا: ان حقيقة كوننا نقف كما أسلفنا، أمام عشرات من المجموعات الشعرية المنشورة، وأمام مئات النماذج الشعرية المتناثرة في الصحف المتعددة، الى درجة تكاثرت فيها الأيدي الشاعرة، بحيث تكاد لكثرتها، تحجب عين الشمس، والى درجة أن الشاعر الفلسطيني، علي الخليلي، يقول: "لعل شعبنا الفلسطيني هو أكثر الشعوب العربية انتاجا للشعر، في هذا القرن بالذات، مستجيبا بذلك لتمايز واقعه المعاصر، من جهة، وللتراث العربي الشعري الضخم، من جهة ثانية."(١)، فانه تبعا لهذه السيولة الشعرية وانبيائها، تتعدد وتتزاحم الظواهر الجديدة في شعرنا الفلسطيني في الضفة والقطاع، وفوق ذلك، تتوافر الكثرة من هذه الظواهر في القصيدة الواحدة، عند الشاعر الواحد، كما تنوجد في الوقت نفسه، الظواهر المتعددة، عند معظم الشعراء (دون أن ينفي ذلك، كون تستطيع العثور على شاعر واحد يختص بظاهرة معينة دون غيره من الشعراء، كما سيبدو ذلك جليا في صلب هذه الدراسة)، مما يفرض على الباحث، أن يختار نماذج من هنا وهناك، وأن لا يقتصر في استخلاصه للظواهر على ايراد نموذج واحد للظاهرة الواحدة، بما يحدثه هذا الزخم للنماذج من عملية تكثيف تنعكس على الدراسة ذاتها. ورابعا وأخيرا: فان الرمز المكثف في القصيدة الفلسطينية، والذي هو موجود في الغالبية الساحقة من المجموعات والنماذج الشعرية، التي أتاح لنا الوقت مراجعتها، ذلك الرمز الذي وصل الى حد الأحجية واللغز، والى درجة الابهام والغموض والاستعصاء شبه التام على الفهم(٢)، قد عرقل العمل في هذه الدراسة، وفرض عملية اعادة القراءة مرة وغيرها، للوصول بجهد غير قليل، الى تفسير الرمز واستخلاص الظاهرة، من ناحية أولى، ولعل الرمز المكثف، فرض من ناحية ثانية، عدم الاختيارالموفق، لأفضل النماذج الشعرية، لهذه الظاهرة أو تلك، وترك هذا بالتالي أخيرا، أثرا سلبيا على الصورة والبنية النوعية النهائية لدراستنا هذه.

وما من شك، في أن العلمية والموضوعية في البحث، قد فرضت علينا، رغم أننا سجلنا، لأكثر من ثلاثين ظاهرة جديدة، في الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة، أن نبتعد، حتى لا نقع في الخطأ، عن الشمولية والتعميم في ايراد الظواهر الجديدة، لاعتقادنا الراسخ، في أننا لن نستطيع في هذه العجالة، الوقوف على كافة الظواهر، انطلاقا من الحوافز والأسباب الموضوعية المطروحة فيما تقدم. وهنا، فاننا نود تأكيد اعتقادنا في أنه، لو تناول باحث آخر، هذا الموضوع، لأمكنه أن يتوقف على ظواهر أخرى جديدة، لم نستطع نحن استخلاصها. وحبذا لو تطرق باحث فلسطيني أو عربي، الى هذه الدراسة، في رسالة بحث علمية (مونوغرافيا)، حول الأدب الفلسطيني في مرحلة زمنية معاصرة، تمتد منذ هزيمة الأنظمة العربية في حزيران من العام ١٩٦٧، وحتى الساعة. ولعل مثل هذا البحث المونوغرافي، كان يستطيع، في فترة أكاديمية معلومة، أن يخرج الى حيز الوجود، وقد حصر فعلا كافة الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني، ذلك الهدف الذي كان موضوعا أصلا، لتنجزه الدراسة قيد البحث. وهكذا، نضع هذه الدراسة المتواضعة، بين يدي الباحثين والدراسين الفلسطينيين والعرب، آملين في ان يقوموا بمتابعة بحثها، واثرائها واغنائها من كافة الجوانب.

ولقد ابتعدنا أثناء البحث أيضا، عن اللجوء الى الانتقاء، في ما وصل الى أيدينا من

Digitized by Birzeit University Library

مجموعات ونماذج شعرية، فقد أخذنا كل ما حصلنا عليه، وحاولنا وفقا للعامل الزمني، الوقوف على جملة الظواهر التي سجلنا لها هنا. فلا يأخذن علينا زملاؤنا الشعراء، ايراد هذا النموذج أو ذلك الأسم، دون غيره، من اسماء ونماذج تضمنتها الدراسة.

وبما أنه لم تتوفر حتى الآن دراسات متكاملة عن الأدب الفلسطيني بذاته، كما لم تتوفر حتى الآن دراسات وافية عن حركة الأدب الفلسطيني في العمق الأدبي العربي، وفي الأدب الانساني. وبما أن المسألة الفلسطينية تستتبع فورا مسألة الأدب الفلسطيني الذي يشكل استجابة واعية لها، واضاءة وتعميقا لتفاصيلها، فانه تتأكد ضرورة هذه الدراسات الجادة(٢). ومن هنا تتأتى أهمية الدراسة التي نحن بصددها، حول الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة، والتي نرجو لها أن تشكل رافدا متواضعا، وأن تساهم، في دراسة حركة الأدب الفلسطيني، في أبعاده الفلسطينية والعربية والعالمية.

ان الهدف الذي يسعى اليه هذا البحث، اضافة الى كل ما تقدم، يتمثل في القاء الأضواء السريعة، على جملة من المراحل الأساسية، من مراحل تطور الحياة الثقافية الفلسطينية في الأرض المحتلة، بدءا بالحركة الأدبية الفلسطينية قبيل هزيمة الخامس من حزيران في العام ١٩٦٧، مرورا بمرحلة الصمت والذهول، التي عاش فيها الأديب والأدب الفلسطيني، نتيجة لهول وقع الهزيمة، وما تلى ذلك من خروج على ذلك الصمت، وتواصل مع الصحف الحيفاوية التقدمية الثورية، فمرحلة انبعاث الحركة الثقافية الفلسطينية المستقلة في بداية السبعينات، وحتى مرحلة انتعاش الحركة الأدبية وأدواتها ومؤسساتها، وما تخلل ذلك الانتعاش، من انتكاسات على الساحة الوطنية الفلسطينية، انسحبت بالضرورة على الفعل الثقافي والأدبي الفلسطيني في الأرض المحتلة، كل ذلك تحت عنوان: "واقع الحركة الأدبية في الأرض المحتلة". كما ستقدم هذه الدراسة أدباء الأرض المحتلة، وهم يتحدثون عن ارهاصات وهموم التجربة. وأخيرا ستحاول الدراسة الوقوف على عدد من الظواهر الجديدة في الشعر الفلسطيني، تلك الظواهر التي تميز بها الشعر في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، بدءا بظاهرة الأرض في القصيدة الفلسطينية، وصولا الى ظاهرة التغني بالانتفاضة الشعبية، التي اندلعت شرارتها الأولى في التاسع من كانون الأول عام ١٩٨٧، وذلك خلال مرحلة تمتد من حرب الأيام الستة، وحتى يومنا هذا، تلك الظواهر، التي جاءت ملازمة بالضرورة، للتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، التي طرأت على البنية الاقتصادية - الاجتماعية للمجتمع الفلسطيني في الأرض المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) طوال الفترة الزمنية، المحددة أعلاه.

واقع الحركة الأدبية في الأرض المحتلة:

كانت الضفة الغربية وقطاع غزة، قبل الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، جزأين منفصلين بعضهما عن بعض، كنتيجة قهرية من مجمل نتائج نكبة العام ١٩٤٨، وبالمقابل كانا يلتقيان بطريقة غير مباشرة، ضمن واقع ثقافي عربي رسمي (نظامي) بكل ما يشمله هذا الواقع من

Digitized by Birzeit University Library

تناقضات رسمتها هزيمة حزيران، ليصعد من خلال هذه الهزيمة واقع جديد تمثل على الصعيد الفلسطيني، في احدى صوره الدرامية، بعودة الجزأين المنفصلين - الضفة والقطاع - الى نسيجهما الواحد، تحت الاحتلال الاسرائيلي. ومنذ ذلك الوقت أخذت الضفة والقطاع، اللتان واجهتا زوال السلطة العربية النظامية التقليدية، تبحث عن عناصر الفعل الثقافي الخاص بعد الهزيمة. وبقدر ما كان واقع ما قبل الهزيمة مغتصبا للفعل الثقافي الفلسطيني، فان واقع ما بعد الهزيمة، أصبح بحثا جوهريا دؤوبا ومثيرا عن هذا الفعل، وهو بحث في الأساس عن عمق الشخصية العربية الفلسطينية، المصادرة والمقموعة الى حد الالغاء(٤).

وما من شك، في أن واقع الحركة الأدبية ما قبل الهزيمة، الذي تمثل اضافة الى ما مر ذكره وبسببه، في عدم نضوج الثقافة الفلسطينية، وبالتالي، غياب المؤسسات الثقافية في الضفة والقطاع، كان له كبير الأثر على تحديد مسار الحركة الأدبية في الأرض المحتلة، الأمر الذي أدى الى فراغ قاتل في غياب سلطة وطنية، وسيطرة احتلال يسعى جاهدا، الى الوقوف في وجه أي تقدم أو نهوض للشخصية الفلسطينية المستقلة، حيث اصاب الذهول الغالبية العظمى من ابناء الشعب الفلسطيني وبضمنهم الكتاب والمثقفين(٥). وهكذا، فبعد الهزيمة مباشرة، كما هو متوقع، خيم الصمت أولا، كأنما هو نتيجة الذهول، ثم انفجر أدب حماسي، وخاصة في ميدان الشعر، كأنه كان يتجاوب مع الضمير الشعبي الذي، اذا صحا من الذهول، لجأ الى عدم التصديق(٦). فبعد هزيمة حزيران، وعلى الصعيد الأدبي الفلطسيني، سقط جيل الهزيمة، ليولد جيل الفداء، بذلك بدأت مرحلة جديدة، هي مرحلة الواقعية الاشتراكية، التي تعني قبل كل شيء، وعيا جديدا في نضالية الأدب الفلسطيني، ضد كل ظروفه الحالية في كل مكان(٧).

لقد بدأت مع حرب حزيران مرحلة جديدة من مراحل الحركة الأدبية والثقافية الفلسطينية، مرحلة تفوق المراحل السابقة أهمية، بتبلورها، والتزامها، وانتمائها(٨). فقد كان الاحتلال الاسرائيلي "صدمة" واكتشاف الشخصية الوطنية الفلسطينية، عبر الأدب المقاوم، المتدفق من الجليل "صدمة"، فالأديب الفلسطيني المذبوح في الضفة والقطاع، لم يكن "يتوقع" كليهما على تناقضهما الحاد، الا أنها صدمة الصراع ضد الاحتلال من جهة، لتكون صدمة الوحدة والتكامل مع أدب المقاومة الفلسطينية من جهة أخرى. وقد كانت الصدمة مؤقتة، كي يتواجد اليقين الواضح، الا أن هذا التواجد ليس مجرد نقلة ميكانيكية. فكان لا بد من الصراع، فاذا كان الذهول قد انقشع قريبا، ليترك من تحته فراغا هائلا: لا كوادر ثقافية متميزة، ولا تواصل مع الحركة الأدبية العربية، لا صحف، لا مجلات، لا مؤسسات وطنية ... الخ، فان الارهاص الثوري كان يبزغ، اضاءة هنا، اضاءة هناك، ليربط، في وعيه السياسي والاجتماعي، بين الهزيمة المؤطره بالرجعية العربية المنكفئة نحو عواصمها المخذولة، وبين الصهيونية والامبريالية، اللتين وجدتا في هذا الاطار - الهزيمة والرجعية - مناخا نادرا لقهر حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية(٩).

لقد ظل الارهاص الثوري غائبا عن الفعل الأدبي والثقافي، بحكم الغياب الكامل لأدوات وأجهزة النشر، حتى كانت السنة الثانية للاحتلال، حين صدرت احدى الصحف المحلية لتنشر وفقا لما سمحت به صفحتها الأدبية من مساحة، أولى البواكير الأدبية. وكان الأديب الفلسطيني الشاب في الأرض المحتلة، جزءا من هذا الواقع. ووجد وعيه الأدبي الجديد، مستجيبا لهذا الواقع. فالأديب الشاب، فقد كل من كانوا حوله، لم يأسف على ثقافة رجعية، كان يفرضها نظام رجعي

Digitized by Birzeit University Library

سابق، ومن هنا وجدناه يتلقف في مطلع السبعينات، ثقافة فلسطينية وطنية جديدة، صارعت الصهيونية حوالي عشرين سنة، حتى اختمرت ونضجت واكتملت بفكر ثوري تقدمي، استطاع أن يبقى ويصمد، عبر ظاهرة أدبية أبرزها الشعر، متميزة به بوضوح كبير(١٠).

اذن، كان لا بد من صحوة بعد مرحلة الذهول القصيرة، صحوة تدفع باتجاه نهوض الفئة المثقفة من ابناء الشعب الفلسطيني، نحو تحمل مسؤولياتها، وتعمق هذا الاحساس، بعد صعود حركة المقاومة، واتساع دورها، حيث كان لهذا النهوض دوره، في بعث الأمل، وراحت تتجدد معالم الشخصية الفلسطينية المستقلة، بشكل اكثر وضوحا، وساعد على ذلك تسارع وتائر هذا النهوض، الى حد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني، ودخولها في تشرين الثاني عام ١٩٧٤، الى أهم محفل دولي، وقبولها عضوا مراقبا في هيئة الأمم المتحدة(١١). ورغم ما رافق هذا النهوض من انتكاسات، كان أهمها مجزرة أيلول في هذه المرحلة، غير أن ذلك لم يؤثر سلبيا على حركة الأدب الفلسطيني ومسارها، بل ساعد على تمسك الأدب الفلسطيني ورموزه الجدد بأهمية الدفاع عن الهوية الفلسطينية المستقلة، والاصرار على ابرازها. وقد شكلت مجزرة أيلول منعطفا جديا في مسار حركة التحرر العربية والفلسطينية. ودفع أيلول الأدب الى النضوج أكثر، وظهرت بعد أيلول موضوعة السلطة الوطنية وشعارها، ثم شعار الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة، التي كان لها تعبير عند شعرائنا(١٢).

وحين بدأ النهوض الأدبي والثقافي لدى بعض كتاب الأرض المحتلة، لم تكن هناك منابر لكتاباتهم، فقد توقفت عن الصدور جريدة القدس، التي كانت تصدر قبيل الاحتلال، وعادت وظهرت كما ذكرنا سابقا، بعيد الهزيمة، اضافة الى أن الصحيفة المذكورة، مدفوعة بأسباب ذاتية وأخرى موضوعية (كونها صحيفة سياسية وترقبا للأحداث) لم تستطع الآن استقطاب النتاج الأدبي. وكان أن تواصل الكتاب في بحثهم عن البديل، مع صحافة الحزب الشيوعي الاسرائيلي، فوجدوا فيها ضالتهم، تلك الصحافة (مجلة الجديد، مجلة الغد، صحيفة الاتحاد وكلها تصدر في حيفا) التي تكون على هذه الصورة، قد احتضنت النماذج الأدبية النضالية الأولى في أول عهدنا بالاحتلال(١٣). وقد نشر هؤلاء الكتاب نتاجهم من قصة وشعر، بأسماء مستعارة في معظم الأحيان، فكان من بين أوائل الذين كتبوا في الجديد والاتحاد مباشرة بعد الهزيمة: فدوى طوقان، محمود شقير، خليل السواحري، عبد اللطيف عقل، محمد عبد السلام، ليلى علوش، محمد شحادة وغيرهم(١٤). ولذا استطاعت صحافة الحزب الشيوعي الاسرائيلي، أن تسد فراغا، كانت الثقافة الوطنية الفلسطينية بحاجة اليه، في غياب الصحافة الفلسطينية الوطنية، وغياب المؤسسات التي تهتم بالأدب والثقافة عموما، ولعل ما قدمته الاتحاد والجديد والغد، لم يقتصر على سد الفراغ المتعلق بالنشر وحسب، بل اتسم بابراز الوجه الوطني للأدب الفلسطيني في تلك المرحلة الهامة، من مراحل انبعاث الشخصية الثقافية والأدبية للشعب الفلسطيني(١٥).

ومع أن السلطات الاسرائيلية منعت الصحافة الشيوعية من الوصول الى الأرض المحتلة، انطلاقا من دراية المحتلين المسبقة بأهمية هذا التواصل، هذا التلاقي والتكامل بين اجزاء ثقافة الشعب الفلسطيني الواحد، الا أن "الاتحاد" و "الغد" و "الجديد" تسربت، كما تتسرب المناشير الثورية، للأرض المحتلة، وحفظت قصائد المجموعات الشعرية المقاتلة القدمة عبر الحواجز، عن ظهر قلب، وكتبت قصائد بخط اليد، ووزعت سرا وخبأت في الجدران "ملفوفة بأكياس النايلون"،

Digitized by Birzeit University Library

خوفا عليها من الضياع والتلف(١٦).

وهكذا قدم احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، للكتاب والمثقفين الفلسطينيين، فرصة التعرف عن قرب، على الأدب الفلسطيني المقاوم، حيث شكل الاطلاع على أدب: اميل حبيبي، محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، سالم جبران، نايف سليم، حنا ابراهيم وغيرهم، منطلقا ومرتكزا لكتاب الأرض المحتلة، ونموذجا للأدب الانساني، الوطني والتقدمي، وصورة حية لما يجب أن يكون عليه الأدب الفلسطيني، بحيث شكل هؤلاء مدرسة ليس لكتاب الأرض المحتلة فحسب، بل ولأدباء مرحلة ما بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧(١٧).

وعليه فان الضفة والقطاع اضافة الى ما تقدم، لم تمتلك خلال عشرين عاما، اي تجربة صحفية متميزة بواقع النكبة، حيث سادت الصحف النظامية، أردنية ومصرية، رغم تفاوت الواقع في بعض تفاصيله بين اوضاع وواقع الضفة والقطاع آنذاك. وبعد هزيمة حزيران، واجهت الضفة والقطاع انقطاعا رهيبا عن الصحف والمجلات، وكان كل شيء خاضعا للذهول، ولكن مرور بضعة شهور، كان كافيا لتمزيق الذهول التلقائي ومواجهة الحدث الهائل بوعي كبير(١٨). وتقول الشاعرة الفلسطينية الكبيرة فدوى طوقان، تصف مرحلة الذهول تلك: "شهر مضى على الاحتلال، لا أستطيع أن أكتب بيت شعر واحد، شهر آخر مضى ولا أكتب شيئا .. صمت .. صمت مستمر، لكنه صمت واع، منتبه وليس غبابا أو فراغا."(١٩)

وهكذا بعد الهزيمة لم يكن قد تبقى تقريبا في الأرض المحتلة اي محور ثقافي، يمكن أن يشكل نواة لنوع جديد من البعث الأدبي، وكان جيل كامل من المثقفين قد غادر أو وجد أصلا في الخارج أو أبعد، وأصبحت الأرض المحتلة محاصرة تقريبا سياسيا واجتماعيا وثقافيا. فقد انقطعت الضفة والقطاع عن مواكبة التيارات الحديثة وتبادل التأثير معها(٢٠).

في جو الحصار الثقافي والأدبي هذا، وأمام قوانين سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي، بمنع التلاقي الأدبي الفلسطيني والعربي، بدأت مبادرة الشبان الجدد الذاتية في خلق أدب محلي جديد يستجيب لذلك الزخم الشعري أولا، ثم للقصة القصيرة التي استطاعت أن تفرض نفسها فيما بعد في الصحف والمجلات ثم الى دور النشر، ثم الرواية فالبحث فالمسرح ... الخ. وفي عام ١٩٦٩، عاودت الظهور صحيفة القدس، لكنها لم تفتح صفحاتها للأدب الفلسطيني. ثم بدأت تتوفر أمام اصرار الشعب الفلسطيني في خلق ادواته الثقافية والأدبية، مجموعة من الصحف والمجلات المحلية، التي أخذت تحتضن حركة النشر الأدبي (الفجر، الشعب، القدس، البيادر، التراث والمجتمع، الفجر الأدبي، الطليعة، الميثاق، الشراع) ثم الكاتب والعودة وغيرها، وقد عكست هذه الصحف والمجلات واقعنا الثقافي في ابعاده المختلفة وأصبحت قادرة على تكريس هذا الواقع(٢١). فقد لعبت صحيفة الفجر على سبيل المثال، حين ترأس تحريرها بشير البرغوثي دورا مركزيا في الحركة الأدبية حيث أفرد فيها للأدب الفلسطيني حيزا ساعد على ابراز أسماء كثيرة، ما زلنا نقرأ لها حتى اليوم(٢٢).

الا أنه سرعان ما بدأت مؤثرات الرقابة العسكرية (التسنزورا) على هذه الحركة المنبعثة من عمق الالغاء والانقطاع. وهنا آثرت بعض الاقلام الصمت، حزينة مقهورة، بسبب الخنق والتضييق، ونافرة من حتمية التزام "الصيغ الرمزية" في الكتابة. فطواها النسيان، لتنطلق الأقلام الشابة العنيدة التي ترفض الصمت وتقارع الرقابة متجددة على الكتابة الأدبية من جهة، وقادرة على

Digitized by Birzeit University Library

التوصيل الجماهيري، من جهة أخرى، فلم تجد سلطة الاحتلال أمامها سوى السجون، والمعتقلات، تدفع اليها بالأدباء الشبان، تحسب أنها بذلك تقهرهم وتكسر اقلامهم وتمزق عيونهم وألسنتهم. ورغم أن كاتبا منهم لم ينج من تجربة السجن، فان الرقابة العسكرية لم تنجح في خنق الأدب الوطني، أو في تفريغه من مضامينه النضالية والتقدمية، أو في عزل الأديب عن شعبه، أو اسكات وكتم حناجر الشعراء(٢٣).

ويكاد الشعر يطغى على كل الابداع الثقافي السائد، فقد حقق الشعر الفلسطيني اهميته وقدرته عربيا وعالميا، وقد استلهم شعراء الضفة والقطاع هذا التراث الضخم الذي توفر لهم مباشرة بعد العام ١٩٦٧، واذا كانت فترة ما بعد العام ١٩٤٨، مكرسة ببكائيات اللجوء والمخيم والموت والتشريد والحنين الى بيارات البرتقال الحزينة، والى ملاعب الصبا والشباب، واذا كانت اتسمت بالرومانسية الحالمة(٢٤)، الا من بعض الرموز الشعرية التي استطاعت أن تمزق هذه البكائيات (ابراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، عبد الخالق مطلق، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى)، معين بسيسو وغيرهم)، حيث امتازت كتابات هؤلاء بالرومانسية الثورية، وقد نددوا بالقيادة القومية التقليدية، وعروا سلوكها المهادن للامبريالية والصهيونية، وتهاونها في النضال الوطني(٢٥)، فان فترة ما بعد الهزيمة والاحتلال، قد كرست تراث المقاومة والتضحية والفداء. انه التراث الشعري الصيروري، ان جيل شعراء الضفة والقطاع، مؤهل لتحقيق ابداع شعري هام، فهو يعيش وضوحا سياسيا كافيا، ليعزز مضامينة الطليعية، ويعيش على نفس الامتداد، تفاؤلا تاريخيا بوجود الانسان الفلسطيني الجديد، الذي حقق على أكثر من صعيد، انتصارات مهمة. ان الشعراء في الضفة والقطاع، هم شعراء المستقبل الفلسطيني، وتقع على عاتقهم مسؤولية الفرح الانساني الذي يجب تأكيده في مستقبلنا العربي الفلسطيني(٢٦).

لقد أضافت المواجهة اليومية الى رصيد ادباء الأرض المحتلة من المعاناة، ما ساعد على أغناء تجربتهم، وانعكس ذلك على كثير من الأعمال الأدبية للعديد من الكتاب، ولئن كانت الظروف السياسية المتعاقبة، والتي واكبت القضية الفلسطينية خلال العشين سنة الماضية، وما رافقها من مد وجزر، قد أثرت على الشعب الفلسطيني وقضيته، فان ذلك انسحب بالضرورة على الحياة الأدبية الفلسطينية كذلك، فانعكست الانتكاسات والتراجعات الوطنية، على مسار الحركة الثقافية والأدبية(٢٧).

لقد شهدت السنوات الأولى من السبعينات، مدا وجزرا وغزارة في النتاج الأدبي، وخاصة في الشعر، الذي تمثل في سيل دواوينه، التي غمرت المكتبات المحلية، بالاضافة الى المجموعات القصصية والأعمال الأدبية الأخرى لعدد غير قليل من الأسماء والرموز، التي ظهرت في عقد السبعينات، عقد انتعاش الحركة الأدبية. ومن الأعمال الأدبية التي تستحق الوقوف عندها والتذكير بها هنا، تلك الأعمال التي شكلت علامة هامة في حياة الأدب الفلسطيني تحت الأحتلال، ما صدر ل: سحر خليفة، علي الخليلي، خليل توما، ابراهيم العلم، غريب تسقلاني، زكي العيلة، أسعد الأسعد، سامي الكيلاني، محمد أيوب، فوزي البكري، جمال بنورة، صالح زقوت، عطاالله قطوش، عمر حمش، فضل الرياوي، محمد شحادة، جميل السلحوت وابراهيم جوهر(٢٨).

ان الأدب الفلسطيني الذي نشأ في ظروف السيطرة الاسرائيلية المباشرة، هو امتداد للأدب الفلسطيني ما قبل ذلك .. (ولعل الثقافة واحدة من أهم ما تأثر بالاحتلال الاسرائيلي). وان كان

Digitized by Birzeit University Library

الأدب الفلسطيني، حمل سمات الطبقات الاجتماعية في مختلف المراحل السابقة، فان هذا الأدب نشأ وترعرع على مرأى من الاحتلال العسكري الاسرائيلي، وتحت بصره وسطوته، كان لا بد من أن يحمل سمات المرحلة الجديدة، وسمات الطبقات الاجتماعية التي سادت في هذه المرحلة، والتي لعب الاحتلال دورا مهما وبارزا في خلقها، وصياغتها الجديدة. وكانت سياسة الاحتلال في الأرض المحتله، تهدف الى فك ارتباط الانسان الفلسطيني بأرضه، ونجح في دفع الكثيرين الى هجرة أراضيهم، والتوجه للعمل في المصانع والمشاغل، وقطاع البناء وما الى ذلك(٢٩).

وعلى الصعيد الوطني، فقد كان الاحتلال بكل ممارساته، يضاعف من معاناة الانسان الفلسطيني بضربات متلاحقة، دون أن يترك له مجالا لالتقاط أنفاسه، والنظر الى وضعه وأحواله. في هذا الجو كان على الأدب الفلسطيني، ان ينمو ويكبر ويتطور، فكان من غير الممكن أن لا يحمل سمات هذه المرحلة، بكل تفاصيلها ومنحنياتها، اذ كان من الصعب على حركة أدبية يافعة، أن تصمد في وجه العواصف العاتية التي هبت على الشعب الفلسطيني، وأنزلت به أشد الضربات(٣٠).

وكان لا بد أن يكون الأدب الفلسطيني في الأرض المحتله، تعبيرا صادقا عن طموحات الجماهير ومعاناتها، وبالتالي لا بد أن تكون الحركة الأدبية الفلسطينية وطنية وتقدمية(٣١). كما كان لا بد لحركة النشر المبكرة، أن تتجاوز نفسها مرحليا، فاتسعت المبادرة، لتشمل نشوء دور نشر وطنية صغيرة، ذات طابع فردي، الا أنها ساعدت على تجاوز النوعية في النشر أيضا، وراحت تنشر الى جانب المجموعات الشعرية، بعض الدراسات والأبحاث الجادة. ففي العام ١٩٧٥، قامت دار صلاح الدين للنشر، مخترقة ظاهرة الفردية والتجارية السائدة من قبل، وقفزت الى تحقيق طموح كبير في نشر الكتاب الوطني التقدمي على أسس علمية واضحة، ثم كانت دور النشر المتواصلة، كالبيادر وأبو عرفه وأبن رشد ثم الكاتب وغيرها، مما ساعد في تطور حركة النشر(٣٢).

لقد كان من أبرز ظواهر نمونا الثقافي في الأرض المحتله، انشاء الكليات الأدبية الجامعية الوطنية، في بيرزيت ونابلس والقدس وغزة والخليل وبيت لحم. فقد شكلت جامعاتنا الوطنية اضافة حضارية، ونقلة متقدمة لمجتمعنا الفلسطيني، أثرها فيما يخص دراستنا، يأتي من مدى اهتمامها بأدبنا المحلي وثقافتنا الوطنية الفلسطينية، اضافة الى النوادي والمؤسسات والجمعيات والنقابات المهنية(٣٣).

لقد أدركت سلطات الاحتلال، خطورة نهوض الحركة الثقافية والأدبية الفلسطينية، فعملت جاهدة على وقف نموها، وعرقلة اتساع دورها، فنجأت الى اغلاق المكتبات، وصادرت الكتب، واعتقلت أصحاب المكتبات، ومنعت تداول آلاف الكتب بموجب أوامر عسكرية، وأغلقت النوادي والجمعيات والمسارح، ومنعت الغناء الوطني، واعتقلت العديد من الكتاب والشعراء والزجالين الشعبيين، وفرضت الاقامة الاجبارية عليهم، وحاولت منع التواصل الأدبي بين الأرض المحتلة والبلدان العربية، ونجحت هذه الأجراءات الى حد معين، في فرض حصار فعلي حول الحركة الأدبية الفلسطينية(٣٤).

وهكذا فنحن نقف أمام حقيقة أن الحركة الأدبية في الأرض المحتلة، نشأت في ظروف متميزة، وانقطاع شبه تام عن الحركة الأدبية الفلسطينية في الشتات، وعن الحركة الأدبية في

Digitized by Birzeit University Library

البلدان العربية، وشهدت انتكاسات على الساحة الوطنية الفلسطينية في السبعينات وفي الثمانينات، ولا سيما بعد الغزو الاسرائيلي على لبنان، وما تبعه من انقسامات واقتتال داخل صفوف منظمة التحرير الفلسطينية، ولذا فهي وليدة هذه المعاناة بكل مردوداتها ونتائجها، وهي أيضا وليدة المعاناة التي تسببها المواجهة اليومية مع الاحتلال وأدواته المختلفة، كما أن غياب المؤسسة الوطنية، التي ترعى شؤون الأدب والأدباء، وغياب الحركة النقدية الجادة، والاهمال الفاضح للأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة، وغياب الرعاية المادية والمعنوية لهذه الحركة، أدت الى عرقلة نمو وتطور هذه الحركة، نموا طبيعيا صحيحا(٣٥).

ان وعي الحركة الأدبية الفلسطينية في الأرض المحتلة، لا يصح الا بكونه وعيا لأيديولوجية انسانية موحدة، ينصهر فيها ذلك العذاب الفني، ليكون الأدب التقدمي، الذي لا تقف جغرافية اللغة أو الهوية الذاتية، اشارة مميزة في طريقه، وانما تشارك فيه كل اللغات، وكل اطراف الأرض، في صياغة عظيمة ومؤثرة، تتمثل بالموقف الانساني الواحد. فالحركة الأدبية المحلية، وهي تستوعب ظرفها الواقعي، لا تتوقف أو تتراجع، أو تضل سبيلها، وانما تستنير بوعيها الواضح والعميق ضد الاحتلال بكل اشكاله، وضد التخلف الاجتماعي والاقتصادي(٣٦).

لقد جمع أدباء الأرض المحتلة بين الاهتمام بقضايا شعبهم القومية وكفاحه الوطني، وبين المشاركة في كفاح الانسانية من أجل التقدم الاجتماعي والسلام. وقد تمكنت الحركة الأدبية الفلسطينية في الأرض المحتلة، على مدى أكثر من عشرين عاما، من أن تجذر وجودها، لا في وعي المثقفين والمتعلمين وأهل الفكر والأدب والفن وحدهم، بل وفي وعي سائر الفئات الاجتماعية، من مختلف طبقات المجتمع الفلسطيني، المعنية بالتحرر من نير الاحتلال الاسرائيلي، وصولا الى اقامة الدولة الوطنية الفلسطينية المستقلة.

هموم التجربة. أدباء الأرض المحتلة يتحدثون:

يكون الأدب طليعيا حقا عندما يعكس الواقع، ويقدم رؤيا رحبة لآفاقه كلها، فيسهم بذلك في دفع حركة تطوره باتجاه تحرر الانسان وتقدمه، وعلى الشاعر ان اراد لشعره أن يكون ناضجا، التفاعل مع حركة الواقع الاجتماعي، والتوصل الى أعلى درجات التلاحم معها. ان الأسماء التي لمعت في تاريخ الأدب العالمي - هي نفسها الأسماء التي لمعت في تاريخ النضال التحرري لشعوبها أمثال (بابلو نيرودا، ناظم حكمت، بول ايلوار، أراغون، مايا كوفسكي، مكسيم غوركي، محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد وغيرهم من شعرائنا وكتابنا.)(٣٧).

لقد شكلت حرب حزيران عام ١٩٦٧ بنتائجها المعروفة، حدا فاصلا في حياة وواقع الشعب الفلسطيني، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وكان أثر حزيران أن برز الشعر المقاوم بعد فترة وجيزة من الذهول كما أسلفنا، لهول صدمة الحرب التي أدت الى الهزيمة العربية. وكانت القصيدة الفلسطينية المقاومة الجديدة، التي تشكل ملحمة كاملة للقضية الفلسطينية من حيث حياتها الداخلية وأبعادها الخارجية. ولئن كانت حرب حزيران نشرت روح الهزيمة في الأدب العربي في البلدان العربية، تلك الروح التي استمرت حتى انتصار العرب في حرب اكتوبر (تشرين الأول)

Digitized by Birzeit University Library

عام ١٩٧٣، وكان الأدب العربي قبلها تغلب عليه السوداوية،حيث صدر مثخنا بجراح الهزيمة، مفعما بكثافة الحزن حتى الاختناق والى درجة اليأس المطبق، فان نفس الحرب، ولدت في الضفة الغربية وقطاع غزة الأدب المقاوم. لقد كان موقف أدباء الأرض المحتلة من حرب حزيران، ينطلق من الأساس الفكري الثوري العلمي، مما ميز الأدباء في الضفة والقطاع في الموقف من الحرب الحزيرانية، كما تميزوا بالموقف الواحد الموحد، من عملية الصراع القومي ضد الاحتلال الاسرائيلي. لقد كانت الطليعة الأدبية في الأرض المحتلة، كأهل الأرض المحتلة، تلتهب بنار القضية، وناسها، هم الذين للقضية زيتها وشعاعها ولهبها وحطبها، وهم برمادهم سيصنعون فجرها القادم، انهم الشعراء الجنود، وأدبهم أدب المسؤولية الكبيرة. ان الشعر الفلسطيني هو شعر الشاعر، وهو شعر الشعب والجماهير، انهم شعراء الشعب، وشعرهم شعر قضية، وهو بذلك يشكل حالة جماعية للشعب الفلسطيني بأكمله(٣٨).

ان شاعرنا هو "جمل المحامل" في الشعر الفلسطيني، فالشعر رفيقه في حياته المليئة بالألم، بالعمل، بالأمل وبالتضحيات الجسام، في تنقله في حقل مملوء بالألغام، وبعيون السلطة، وعلى جلده اثار الجرح والكرباج. أصابعه شموع مضيئة، قلمة مشعل في يده، وعلى جبهته شموع ساطعة، تحمي الأفكار المناضلة، والكلمات المقاتلة، من الغربان التي تطاردها، وتهدف الى تدميرها وسحقها، تماما كما تهدف الى طمس الهوية الوطنية، واقتلاع جذور الانسان الفلسطيني من وطنه، وهي العميقة الضاربة فيها. لقد احتاج شعراؤنا الى فترة ليست قصيرة في عمرالتاريخ، من أجل أن يعيدوا ترتيب صورهم وافكارهم ومشاعرهم واشعارهم، بعد هول الهزيمة في حزيران. وكانت التجربة، التي قلبت كل موازين الكتابة، واسفرت عن ميلاد كتابة جديدة، فهذه التجربة في تاريخ الشعب الفلسطيني، كان لها فعل الزلزال. لقد تعلم شعراؤنا من الشعب والجماهير، كيفية التشبث بالحياة، وكيفية الكتابة الجديدة. وكانت الصورة الفلسطينية: صورة حق وعدل وحرية الأرض التي راح يجثم على صدرها الاحتلال البغيض. وكان عليهم أن يمسكوا بالمعادلة: الحرية أوالموت. وكان الشعر أفضل من أي نوع أدبي آخر، للتعبير عن هذه التجربة(٣٩).

يقول الشاعر خليل توما، الذي يمثل وجه الشعر المقاوم في الضفة والقطاع، وهو يتحدث عن هموم التجربة، وعن الشعر ومراحل تطوره المواكبة لتطور الأحداث التي عصفت بقضية شعبه الوطنية: ان الشعر في المرحلة الأولى كان يحاول النهوض اثر اللكمة القاسية التي سددت الى رأس الوطن، وأخذ يصحو من الأحلام الرومانسية والهروبية التي سكنته طوال سنوات ما بعد النكبة الأولى (١٩٤٨)، وبعد وقت قصير أسقطت شجرته أوراقها القديمة وتبرعمت على جذوعه الخضرة المتجددة "وأطلت السبعينات لتزين الفراغ بأغصان جديدة تشابكت مع الأغصان الباسقة المشرئبة من الجليل"(٤٠). ويضيف خليل توما مبينا أثر الشعر المقاوم المتدفق من الجليل، على صياغة القصيدة المحلية، في الضفة والقطاع: "لك المجد أيتها القبضات المتحدية على صليب الجليل، فحين سقطت بلطمة واحدة أوراق التين التي كانت تستر عري حكامنا وزج بنا نحن أيضا داخل المعتقل الكبير، والتقينا بك بعد غياب، أدركنا بوضوح مدى البطولة الفذة التي تميز بها شعبنا كلي القدرة ذو السبعة أرواح. الجرافات تقتلعه ولكنه يتشبث بالتراب، الكلاب تنهشه ولكنه يصمد كالصخور، الموت يطارده ولكنه يتجدد كل لحظة. وجيل يعلم جيلا فتستمر المواويل والأغنيات، وتتكاثر الأيادي الشاعرة لتحفر الكلمات الشجاعة على جدران البيوت

Digitized by Birzeit University Library

وجذوع الزيتون."(٤١).

ان الأزمات التي تمر بها الحركة الوطنية الفلسطينية تترك نتائجها السلبية وتترك احباطات على الكتابة، ففي الستينات، والحديث لخليل توما، راحت تتبلور حركة المقاومة الفلسطينية، وتمكن الشعر من تغيير النهج الانهزامي والذاتي الذي كان يستولي عليه، وفي السبعينات، اذ حققت الحركة الفلسطينية اتساعا واعترافا عالميا بها، وتمتعت بقسط من التآلف والوحدة، أخصب الشعر وأعطى، ومنذ الثمانينات، وبعد اتفاقيات كامب - ديفيد وغزو لبنان والانقسامات داخل الحركة الوطنية، ترك كل ذلك على الشعر أثره، خاصة نظرا لالتصاق الشعر الشديد أكثر من غيره بالحدث وتفاعله المباشر مع الشاعر(٤٢).

ثم ينتقل الشاعر خليل توما للحديث عن هموم تجربته الخاصة، فيقول: "ان شعري في الواقع هو كبقية الشعر في الأراضي المحتلة، يعبر عن قضايا شعبنا وهمومنا الوطنية، ويصدر عندي من دافعين: الأول وطني حيث أنني وشعبي ووطني نعيش مأساة الاحتلال. والثاني هو الطبقي ويتلخص بالتزامي ... بأهداف الطبقة العاملة." ويضيق قوله: انني في أشعاري اعبر عن مقولة أساسيةوهي "لا حياة ولا مستقبل لنا، الا بالخلاص من الاحتلال"(٤٣).

ويقول الشاعر أسعد الأسعد، رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو يتحدث عن هموم التجربة، وعن الأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة، موضوعه الأساسي واتجاهاته الواقعية والانسانية: "واذا كنا سنكتب، فلا يمكن أن نكتب الا عن الوجع الذي نعيشه كل يوم، ليس من أجل تصوير الوجع، بل أيضا لتجسيده ودفع شعبنا للاحساس به من أجل رفضه ودفعه عن كواهلنا. هذا هو موضوع أدبنا الرئيسي، وهمنا الأساسي،غير أننا ونحن في خضم ذلك لا نكف عن الحب والعشق والاحساس بالجمال وتذوقه ..." ويضيف الأسعد قائلا: "ان أدبا لا يلتزم خطا سياسيا يدافع عنه ومبادىء يناضل من أجل تحقيقها، لا يمكن أن يكون أدبا، فعلى الأدب أن يجسد قضية، وموقفا سياسيا، من القضايا الأساسية التي يعيشها الكاتب ..."(٤٤).

"ان أدبنا الفلسطيني حافظ على نزعته الانسانية، يقول أسعد الأسعد، انه يمتاز بانسانيته وموضوعيته ..." ويضيف قوله: يقول بول ايلوار، لا يكفي أن تصور معاناة الانسان، بل ويجب أن تمتلك القدرة على تجسيد هذه المعاناة، ومن ثم دفع الانسان للاحساس بها، تمهيدا لتحريضه ودفعه للثورة على واقعه وتغييره. "ان أدبا لا يتحدث عن معاناة جماهيره، وعن معاناة البشرية عموما، ليس أدبا، وحسبنا أن أدبنا الفلسطيني مكرس في أساسه لتصوير معاناة الانسانية، من خلال تكريس الواقعية الاشتراكية منهجا، متمثلا في البحث عن معاناة الانسان عموما -والانسان الفلسطيني واحد من أكثر الناس معاناة، ومن ثم تلمس هذه المعاناة وتصويرها وتجسيدها والسعي لدفع الانسان للاحساس بها، تمهيدا للتمرد عليها، وتغييرها، نعم نحن نكتب أدبا نسعى ونطمح من خلاله الى تغيير العالم، وتغليب جانب الخير فيه على جانب الشر ... ان عالمنا الذي نناضل من أجل خلقه، آت لا محالة ..."(٤٥).

أما الشاعر الفلسطيني علي الخليلي، فانه من خلال حديثه عن هموم وارهاصات التجربة الأدبية، يتعرض بمفهومه الخاص للشعر والشاعر وأدواته الفنية وحتمية الشاعر الجيد، ويتعرض أيضا للقصيدة المحلية، التي هي محور الحركة الأدبية المحلية، وسمات الحركة الأدبية في الأرض

Digitized by Birzeit University Library

المحتلة، يقول: لا يكفي أن يكون الشاعر الجيد قادرا على فهم عصره، هو، في هذه الكفاية اذا شاء، يموت مراوحا في كسله. كل كفاية موت، سواء في ذلك الموت صاخبا يكون، أو هادئا مثل صخرة. ان حتمية الشاعر الجيد في قلقه المستمر. في نزفه المستمر. في خلعه كل مرحلة الى مرحلة تاليه. هو ليس المرخلة فحسب، بل القادم دائما. خطوة تحبل بعشرات الطرق البعيدة، وشجاعة فوق كل وصف. ان لغة الشاعر الجيد تفعل كل هذا وتبقى، في نفس الوقت، خاضعة لفعل جديد لم ينشأ بعد. وأمام كل هذا سوف يصطدم الشاعر الجيد بواقعه، الذي هو واقع عصر بأكمله، ولكنه صدام التجاوز وليس الرضوخ تحت الهول. بذلك وحده يصنع التاريخ، الذي هو سلسلة ضخمة من العصور شعراء كبارا يخترقون كل عصر، ويكونون جددا، هم القدماء، الذين صادموا عصورهم أيضا. والشعر التقدمي الجميل اذن، افقي أممي لا يعتقله قرار حاكم فاشي، ولا تقتله رطوبة زنزانة مظلمة. وفي عمق هذا الأفق تتوهج أسماء ووجوه عبر قاراتنا الصغيرة المتراصة مثل قصيدة تعرفها كل اللغات(٤٦).

ويقول الشاعر الخليلي عن القصيدة المحلية: "أما القصيدة فهي، كما نعلم جميعا، محور حركتنا الأدبية المحلية، وأهم ما يميز قصيدتنا في المرحلة الراهنة، هو أزدياد نضوجها وفعالية انتشارها بين الجماهير ..."(٤٧). ويضيف علي الخليلي قائلا: لقد اثبتت القصيدة المحلية قوتها وجدارتها عبر عشرات المجموعات الشعرية المطبوعة بامكانيات فنية قليلة وبمجهودات شبه ذاتية وقدرات نبعت من حيز المواجهة المباشرة في المدينة والقرية والمخيم على حد سواء(٤٨).

وحول ميزات وسمات الحركة الأدبية الفلسطينية في الأرض المحتلة، يقول علي الخليلي: ويمتاز الأدب الفلسطيني في هذا الخصب المنتشر للعطاء الشعري الفلسطيني، ليس على مستوى الأمة العربية فحسب، وانما على مستوى عالمي تقدمي أيضا، حيث يجري تكريم الشعراء والأدباء الفلسطينيين، اضافة الى عشرات الترجمات الأدبية لمعظم لغات العالم. هذه هي الميزة الأولى، يقول علي الخليلي، التي تتوفر مباشرة للناقد أو المؤرخ لأدبنا العربي الفلسطيني. أما الميزة الثانية، فانها وفرة الشعراء الشباب وخصب نتاجهم وتدفقه الصاخب في كل أرض يتواجد فيها الانسان الفلسطيني(٤٩). ومن سمات الحركة الأدبية أيضا، كما يوردها علي الخليلي في حديثه: المواجهة اليومية للاحتلال، فأدبنا، أدب مقاومة بالضرورة، هذا أولا، ثانيا: التفاؤلية المؤكدة بوعي المستقبل الذي يتجاوز الهزائم. وثالثا: كون الحركة الأدبية حركة جماهير مثقفة تحترم طليعتها الأدبية(٥٠).

ويتحدث الناقد الشاب حسين جميل البرغوثي، عن معاناة أبناء شعبه، عن معاناته، عن القمع الذي مارسته وتمارسه سلطات الاحتلال ضد ابناء الشعب العربي الفلسطيني، عن السجون والاضطهاد والحرمان، وعن اتجاهات ثلاثة في الشعر الفلسطيني في الأرض المحتلة، يقول الناقد حسين جميل البرغوثي في هموم التجربة المحلية: لقد ازداد القمع ضد أبناء شعبي الى حد أن ربع مليون، أي ربع سكان الضفة مروا بتجربة السجون بشكل أو بآخر، كما صودرت الأراضي على نطاق واسع .. وقد نتج عن ذلك جيل السبعينات، جيل أقتلع من قراه، وشعر بالحرمان بكل معانيه، فقرر أن يتمرد ليخلق ذاته بيديه. جيل "استيقظ على احتلال ما تبقى له من وطن، جيل استيقظ على هزيمة في ستة أيام، والمذابح في أيلول، اختطاف الطائرات، وايلول الأسود، وموت عبد الناصر، على كتب لينين وماركس وجيفارا وفيتنام ... ولم يكن جبانا بالمرة في وضع يديه على

Digitized by Birzeit University Library

مصيره ... تمرس في المدارس والشوارع والجامعات ..." ويضيف الناقد الشاب قوله: "... كان الشعر من بين الأشياء الأقرب عليه ..."، وعلى المستوى الشعري انشق التيار لثلاثة اتجاهات: اتجاه قومي، اتجاه ماركسي،واتجاه ذاتي. وهذا أعطى للشعر وجها تقدميا بشكل عام يقوم على أساس الوعي بالممكن وليس فقط بالواقع." ويواصل حسين البرغوثي، فيبين اتجاهات الشعر المحلي، فيقول: لقد تبلور الاتجاه القومي حول التأكيد على الشخصية المنفصلة للفلسطينيين، وبرز في مهاجمة الأنظمة العربية، ورفض العرب كرمز للفشل والهزيمة، وفي التمحور حول البندقية والأرض والكينونة الفلسطينية. هذا الاتجاه قلص أبعاد الواقع الاجتماعي الى واقع سياسي، وساعده في ذلك تركز الحركة الوطنية جميعها حول المسألة الفلسطينية متجسدة في الأرض والسياسة والهوية القومية. ولقد تعامل مع السياسة، أي مع هذا الواقع الوحيد، بسطحية. ولكن لم يعد من المشروع توجيه الانتقاد للثورة لأنها ثورة وصار النقد نقدا حذرا، والانسان لم يعد مركز الاهتمام وتحول الى كائن سياسي بدلا من أن يكون الانسان مجموع العلاقات الاجتماعية. وهذا في حد ذاته، والذي استمر، حتى عام ١٩٧٦، كان يعني اهمالا للحقيقة الملموسة وتسطيحا للسياسة. ثم يتحدث البرغوثي عن الاتجاهين الآخرين في الشعر الماركسي والذاتي، ويقول أن الاتجاه الماركسي جمعته بعض الصفات مع الأدب القومي. ثم يتطرق الى تقليد مظفر النواب من جانب الشعراء في الأرض المحتلة، واعتمادهم ظاهرة الشتيمة النوابية، ويقول في الشعر الشعبي، ان حركة هذا الشعر المتمثلة في الزجل الشعبي هي أكثر مجاراة للتطور من الشعر، ولكنها مجاراة لحظية مؤقته، تموت كما يقول، بموت المناسبة في أذهان الناس(٥١). وأخيرا يضع مفهومه للأدب العظيم، فينكر: "ان الأدب الحقيق هو ذاك الذي يرفع مستوى القارىء ويعمق ادراكه وتجربته وأحاسيسه وذوقه، مما يهيئه لاستيعاب أشياء جديدة دائما."(٥٢).

ويقول الناقدان الفلسطينيان محمد البطراوي وصبحي الشحروري في مقالة عنوانها "الأديب المحلي الحقيقي" نشرتها لهما مجلة الكاتب المقدسية، بأن الأدب الحقيقي هو الأدب الواقعي، ويضيفان قولهما بأن الصدامية التي هدفها التغيير الى الأفضل هي محور الأدب، انها ذكاء القلب وجرأته، هي التي تجعل الأدباء براكين مفكرة. ثم يتحدثان عن الجدلية الوظيفية بين الشكل والمضمون والخاص والعام في الصورة الفنية.ويؤكدالناقدان أخيرا على أن الأدب هو شكل من أشكال النضال الطبقي(٥٣). ويضيف الناقد محمد البطراوي في حديثه حول العمل الأدبي في الأرض المحتلة بأن هنالك حقائق كثيرة يتلمسها الانسان في العمل الأدبي في الأراضي المحتلة. وأول هذه الحقائق التزام الأديب بالقضية الوطنية ومحاولة جعل الأدب حافزا جماهيريا للالتقاء بالثورة، والحقيقة الثانية هي ارادة التغيير وصفة التقدمية والانسانية، والحقيقة الثالثة تكمن في المواجهة اليومية لواقع الاحتلال وممارساته(٥٤).

وحول هموم التجربة الأدبية في الأرض المحتلة، يتحدث القاص الشاب، ابراهيم جوهر، فيقول: بأن التجربة الحارة هي التي تخلق شعرا نضاليا. والثقافة والرؤية التقدمية هي التي تخلق أشكالا جديدة وشعرا جديدا، وهذا قول يثبته الشعر المقاوم في الأرض المحتلة، ان على الشاعر الحقيقي أن يصدر عن تجربة صادقة، وأن يترسم الصدق في كل ما يكتب، عليه أن يمتلك أداة التغيير وأن يثق بالمستقبل ويثق بجماهيره وشعبه(٥٥).ويقول ابراهيم جوهر أيضا:لقد راح الكتاب الجدد يجربون أدواتهم الفنية كرد مباشر على قضايا أفرزها وجود الاحتلال ذاته، من

Digitized by Birzeit University Library

ناحية، ولأن الساحة الأدبية شهدت بعد الاحتلال مباشرة، فراغا لم يستطع الجيل السابق من الأدباء والذي أستمر في تلك الفترة من اثبات وجوده المباشر فيه(٥٦).

أما الشاعر سميح فرج، شاعر المخيم والهم الفلسطيني، فيقول في لقاء أجرته معه مجلة الكاتب بأن "الذي يواجه الواقع مواجهة مستمدة من فهم ووعي لهذا الواقع فانه يعمل على تغييره بأساليب كثيرة منها الكتابة، والتي أعتبرها اعدادا أعلى للتغيير."(٥٧).

ولا ينفي صاحب ديوان "صعلوك من القدس القديمة" الشاعر الفقير الحزين حتى العظم بفقره وبؤسه وكدحه، لا ينفي فوزي البكري، استخدامه لمفردة مظفر النواب في الشتيمة، بل يفاخر في استخدامه لها، وفي تقليده لمظفر النواب، ويقول في هموم التجربة وفي الشعر: ان الشعر رسالة وعليه أن يفعل "يعلم" الجماهير ويحدثها عن واقعها وهمومها ومشاكلها ويفهم هذه الحقائق ويضيف باثا همه: "صار الانسان في وطني محملا بالهموم ... وكم أنا مسحوق؟ ... أنا لي همومي .. أنا قلق على قضيتي .. على شعبي .. على أبنائي ..؟(٥٨).

ويعرف الدكتور ابراهيم العلم الشاعر الحق بأنه "هو الذي يثري ذاته الفنية باستمرار ويؤكد انفتاحها وتجديد خلاياها .. ويتابع بانفعال وصدق تشكيل تجربته الشعورية والشعرية ..."(٥٩).

وفي لقاءين منفصلين أجرتهما صحيفة الطليعة المقدسية الأسبوعية مع الشاعرين جبرا حنونه ومحمد شحادة، يتحدثان عن أثر الشعر الفلسطيني المقاوم القادم عبر الحواجز من الجليل على تجربة كل منهما الأدبية. فيقول جبرا حنونه: "لعل الألم والمعاناة والكبت والعذاب تكون سببا رئيسيا في تفجير الطاقات الأدبية". ثم يضيف "وامتلكت أحاسيسي أشعار القاسم والزياد ودرويش."(٦٠) أما محمد شحادة فيقول: "... لقد تأثرت على وجه التحديد بشعراء المقاومة وخاصة توفيق زياد، محمود درويش، سالم جبران وسميح القاسم. وكنت أعيد كتابة دواوينهم بخط يدي وأحفظ أشعارهم عن ظهر قلب."(٦١).

وهذا هو الشاعر الفلسطيني الشاب عبد الناصر صالح، يقول في مقابلة مع "الكاتب": أعتبر أن بدايتي الأدبية الحقيقية كانت في السجن، ففي السجن تكمن المعاناة، وتكمن المأساة، ويكمن الأصل، فالمعاناة والقيود والحصار ومأساة شعبنا ولدت لدي روح الشعر الملتزم بمصير الشعب وقضاياه، فالسجن يمثل الألم والحزن والظلمة والاضطهاد(٦٢).

ونخلص الى القول، الى أن الشاعر الفلسطيني الشاب في الضفة والقطاع، لم يتلقف أثر الهزيمة، بكائية الخيمة. فقد كانت الخيمة والهزيمة والأنظمة الرجعية .. تحترق مباشرة وبعنف واضح يرفض الموت والعبودية، ان الانتشار النوعي للشعر الفلسطيني المقاوم، الذي تمثل في مجموعات محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد، قد حقق ولادة نوعية للقصيدة في الضفة والقطاع(٦٣).

نعم ان شعراءنا وأدباءنا تخطوا العشق والبكاء والانتظار، وطوحوا بالحنين الى الطفولة وبيارات البرتقال، وأحرقوا الخيمة، وثاروا على الواقع من أجل تغييره، وراحوا يشاركون في صنع مستقبلهم ومستقبل شعبهم المضيء.

المراجع:

١ - علي الخليلي. شروط وظواهر في أدب الأرض المحتلة. القدس، ١٩٨٣،ص ٢١١.

Digitized by Birzeit University Library

٢ - انظر: ابراهيم جوهر. قصائد شعرية أم أحاجي وألغاز. انقطاع التواصل بين الشاعر والقارىء خسارة لهما وللأدب. في مجلة الكاتب. القدس. العدد (٩٧) أيار، ١٩٨٨، ص ص ٧٢ -٨٠. وراجع له أيضا: حول الرصف بالكلمات. حوارية مع عامل قارىء تسقط التنظيرات الجوفاء جميعها. - في نفس المصدر. العدد (٩٥) آذار، ١٩٨٨، ص ص ٨١ -٨٤.

٣ - علي الخليلي. هوامش حول الأدب الفلسطيني. - في المصدر السابق. العدد (١) تشرين الثاني، ١٩٧٩، ص ١٣.

٤ - علي الخليلي. الحركة الثقافية في الضفة والقطاع خلال ١١ عاما (١٩٦٧ - ١٩٧٨). - في مجلة البيادر. القدس. العدد (١) أيار، ١٩٧٩، ص ٣٩.

٥ - أسعد الأسعد. اطلالة على الحركة الأدبية الفلسطينية في الأرض المحتلة بعد عشرين عاما من الاحتلال. - في مجلة الكاتب. العدد (٨٦) حزيران، ١٩٨٧، ص ١١٨.

٦ - غسان كنفاني. الأدب الفلسطيني المقاوم (١٩٤٨ - ١٩٦٨). بيروت، ١٩٦٨، ص ١٠.

٧ - الجديد. حيفا. العدد (١) كانون الثاني، ١٩٧٩، ص ٢٠.

٨ - أسعد الأسعد. نظرة على الحركة الثقافية الفلسيطنية. - في مجلة الكاتب. العدد (١٨) آب، ١٩٨١، ص ٤.

٩ - علي الخليلي. شروط وظواهر ...، ص ١١.

١٠- المصدر السابق، ص ص ١١-١٢.

١١- أسعد الأسعد. اطلالة على الحركة الأدبية الفلسطينية ...، ص ١١٨.

١٢- أسعد الأسعد. نظرة على الحركة الثقافية الفلسطينية. - في مجلة الكاتب. العدد (١٧) تموز، ١٩٨١، ص ١٢.

١٣- ابراهيم العلم. الحركة الثقافية في الأراضي المحتلة. - في مجلة الكاتب. العدد (١٩،٢٠) أيلول، تشرين الأول، ١٩٨١، ص ١٩. وانظر أيضا: علي الخليلي. القصيدة الفلسطينية تحت الاحتلال. الواقع والنقيض. - في مجلة الجديد. العدد (١) كانون الثاني، ١٩٧٨، ص ٣٩.

١٤- أسعد الأسعد. اطلالة على الحركة الأدبية الفلسطينية ...، ص ١١٨.

١٥- نفس المصدر السابق.

١٦- علي الخليلي. شروط وظواهر ...، ص ١٣.

١٧- المصدر أعلاه، ص ١١. أسعد الأسعد. اطلالة على الحركة الأدبية الفلسطينية ...، ص ١١٨.

١٨- علي الخليلي. الحركة الثقافية في الضفة والقطاع ...، ص ٤٠.

١٩- فدوى طوقان. رحلة صعبة، رحلة جبلية. عكا، ١٩٨٥، ص ٢٣٧.

٢٠- غسان كنفاني. مصدر سبق ذكره، ص ص ١٢،١١. علي الخليلي. القصيدة الفلسطينية ...، ص ٣٧.

٢١- علي الخليلي. شروط وظواهر ...، ص ١٣. وراجع له أيضا: الحركة الثقافية في الضفة والقطاع ...، ص ٤٠.

٢٢- أسعد الأسعد. نظرة على الحركة الثقافية الفلسطينية. - في مجلة الكاتب. العدد (١٧) تموز، ١٩٨١، ص ١٢.

٢٣- علي الخليلي. شروط وظواهر ...، ص ١٣،٣٨.

٢٤- أمطانيوس ميخائيل. دراسات في الشعر العربي الحديث. الناصرة، ١٩٦٨، ص ص ١٨، ٢٨٩ - ٢٩٨. الكاتب. العدد (١) تشرين الثاني، ١٩٧٩، ص ١٤. أسعد الأسعد. اطلالة على الحركة الأدبية الفلسطينية ...، ص ١١٧. غسان كنفاني. مصدر سبق ذكره، ص ص ٤٥، ٥٠ - ٥١. ابراهيم العلم. مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

٢٥- الكاتب. العدد (٣٠) تشرين الأول، ١٩٨٢، ص ٧١.

٢٦- علي الخليلي. الحركة الثقافية في الضفة والقطاع ...، ص ص ٤١ - ٤٢.

٢٧- أسعد الأسعد. اطلالة على الحركة الأدبية الفلسطينية ...، ص ص ١١٩ - ١٢٠.

٢٨- المصدر السابق، ص ١٢٠.

٢٩- نفس المصدر، ص ص ١٢١، ١٢٢.

Digitized by Birzeit University Library

٣٠- المصدر ذاته، ص ١٢٣.

٣١- أسعد الأسعد. نظرة على الحركة الثقافية الفلسطينية. - في مجلة الكاتب. العدد (١٧) تموز، ١٩٨١، ص ١٢.

٣٢- علي الخليلي. شروط وظواهر ...، ص ١٥. وله أيضا: الحركة الثقافية الفلسطينية في الضفة والقطاع ...، ص ٤١. أسعد الأسعد. اطلالة على الحركة الأدبية الفلسطينية ... ص ١٢٤.

٣٣- علي الخليلي. شروط وظواهر ...، ص ١٥. وله أيضا: الحركة الثقافية الفلسطينية في الضفة والقطاع ...، ص ٣٩.

٣٤- أسعد الأسعد. اطلالة على الحركة الأدبية الفلسطينية ...، ص ١٢٥. علي الخليلي. شروط وظواهر ...، ص ص ١٣ - ١٤.

٣٥- أسعد الأسعد. المصدر أعلاه، ص ١٢٤.

٣٦- علي الخليلي. شروط وظواهر ...، ص ص ٥٨، ٦٢.

٣٧- الكاتب. العدد (٤٥) كانون الثاني، ١٩٨٣، ص ص ٢٠، ٢١.

٣٨- حسين مروة. الموقف الثوري في الأدب. بيروت، ١٩٧٦، ص ص ٤٣ - ٥٣.

٣٩- محمود درويش. مديح الظل العالي. القدس، ١٩٨٣، ص ص ١٠ - ١٦.

٤٠- الكاتب. العدد (٦١) أيار، ١٩٨٥، ص ٩٧.

٤١- محمد شحادة. سوف أبقى. القدس، ١٩٧٩، ص ص ٨ - ٩.

٤٢- الكاتب. العدد (٦١) أيار، ١٩٨٥، ص ٩٨.

٤٣- المصدر السابق. العدد (٥١) تموز، ١٩٨٤، ص ص ٧٩، ٨٠.

٤٤- نفس المصدر. العدد (٦٠) نيسان، ١٩٨٥، ص ٥٣.

٤٥- المصدر ذاته، ص ص ٥٣، ٥٤، ٥٥.

٤٦- علي الخليلي. شروط وظواهر ...، ص ١٠٣.

٤٧- الكاتب. العدد (٤٧) آذار، ١٩٨٤، ص ١٠١.

٤٨- علي الخليلي. شروط وظواهر ...، ص ٧٢.

٤٩- المصدر السابق، ص ٢١١.

٥٠- الكاتب. العدد (٤٧) آذار، ١٩٨٤، ص ١٠٤.

٥١- المصدر السابق. العدد (٤٣) تشرين الثاني، ١٩٨٣، ص ص ١٤٩ - ١٥٤. وانظر: حسين جميل البرغوثي. أزمة الشعر المحلي. القدس، ١٩٧٩، ص ص ٥ - ٦٦.

٥٢- حسين جميل البرغوثي. المصدر المذكور، ص ٤٠.

٥٣- الكاتب. العدد (٥٨) شباط، ١٩٨٥، ص ص ٩٢،٩٣،٩٤.

٥٤- المصدر السابق. العدد (٤٥) كانون الثاني، ١٩٨٣، ص ص ١٠٦، ١٠٧.

٥٥- المصدر ذاته. العدد (٤٤) كانون الأول، ١٩٨٣، ص ٩١.

٥٦- نفس المصدر. العدد (٦٤) آب، ١٩٨٥، ص ١١٤.

٥٧- نفس المصدر. العدد (١٧) تموز، ١٩٨١، ص ٤٧.

٥٨- نفس المصدر. العدد (٣٤) شباط، ١٩٨٣، ص ص ٩٧، ٩٨.

٥٩- ابراهيم العلم. الشعر الفلسطيني داخل الوطن. القدس، ١٩٨٤، ص ٢٠.

٦٠- الطليعة. القدس. العدد (٢٧) ١٦ تشرين الثاني، ١٩٧٨، ص ٧.

٦١- المصدر السابق. العدد (٣٦) ٩ تشرين الثاني، ١٩٧٨، ص ٧.

٦٢- الكاتب. العدد (١١) تشرين الثاني، ١٩٨٠، ص ٥٩.

٦٣- الجديد. نفس المصدر المذكور سابقا.

Digitized by Birzeit University Library

حول المعمار الفني لرواية

"عينان على الكرمل"

د. محمود العطشان
دائرة اللغة العربية وآدابها
- جامعة بير زيت

يشكل الواقع الفلسطيني الممتد عبر عقود عديدة رصيدا ثريا لكل أديب او فنان قادر على استلهامه وهضمه هضما جيدا ثم اعادة تشكيله في قوالب فنية مبدعة. وقد كان للرواية دورها المتميز في ترجمة هذا الواقع. ولا يغيب عن الاذهان - على سبيل المثال لا الحصر - ما استطاع ان يبدعه قلم روائي فلسطيني ترك بصمات واضحة لا على فننا بل حتى على واقعنا، اعني غسان كنفاني، الذي لم يقف في رواياته او في اعماله الفنية الاخرى عند حدود الوصف الخارجي للانسان الفلسطيني او المكان الفلسطيني او المعاناة الفلسطينية، وانما استطاع ان يجعل كل من يقرأ هذه التجربة الفلسطينية يخترق واقعها بطريقة لا ارادية ويتمثلها ايما تمثل.

اما رواية "عينان على الكرمل" للدكتور ابراهيم العلم، فقد وقفت ايضا امام هذا الواقع الفني والتقطت بعض جوانبه وحاولت ان ترسمها، ونجحت في ذلك الى حد ما، ولكنها لم تستطع ان تنفذ الى اعماق هذا الواقع بحيث تستطيع ان تعيد رسمه ثانية كواقع بالغ التعقيد عميق الاغوار قادر على ان يأسر القارىء ويملك عليه لبه ووجدانه. انها - بتعبير آخر تقف عند حدود هذا العالم دون ان تتغلغل فيه. هي رواية تحاول ان تصف شخصياته واحداثه وان تلتقط جوانب من معاناته، ولكنها لاتستطيع ان تسبر غوره وتعكس حركته الموارة وان تستخلص لاكىء محاراته.

"عينان على الكرمل" هي باكورة اعمال الدكتور العلم الروائية، لذلك فان معمارها الفني يعاني من بعض المشكلات التي تصاحب عادة التجارب الاولى لمثل هذا الفن. ومقالتنا هذه تتناول بعضا من هذه المشكلات التي تتعلق ببعض مكونات المعمار الفني لا كلها.

يصدر الكاتب روايته بمدخل، يوضح فيه انها تسجل احداثا تالية لنكبة عام ١٩٤٨. ثم تتبع

Digitized by Birzeit University Library

تلمس الفلسطينيين الحل معتمدين على انفسهم. فالرواية اذن بحث عن هذا الطريق.

وحين يقرأ القارىء هذا المدخل، يذكر على الفور عنوان الرواية، الذي يوحي كذلك بأن الفلسطينيين في تلمسهم للحل صاروا يطلون على الكرمل. لكن الكاتب يقيد هذه الاطلالة بعينين.

والرواية تبعا لذلك هي رحلة بحث في عالمين، أولهما عالم الذات، اذ أن بطلها "زهدي" قد نهج نهجا كفاحيا بعد نكبة عام ١٩٤٨ مع نفر من رفاقة استشهد معظمهم، ونجا هو من الموت باعجوبة، ثم دخل السجن في الاردن فقضى فيه خمسة اعوام خرج بعدها يحمل رؤية جديدة، متمثلة في اسلوب قومي للحل فتحقق عنده الاستقرار هنا على مستوى الذات. والعالم الثاني هو عالم الموضوع، ان جازت هذه التسمية، اذ تعرض الرواية نماذج بشرية مختلفة، لكنها في معظمها فلسطينية تتشابه في معاناتها وتتشعب افكارها.

معظم هذه الشخصيات المحورية عاشت في المخيمات الفلسطينية، واسهمت اول الأمر في الكفاح ضد المحتل مثل عارف ويوسف وجهاد، فسقط منها من سقط شهيدا على ثرى فلسطين، وتأزم منها من تأزم، ففقد عقله وقضى بقية عمره معتوها، ومنهم من يأس من ماضيه ومن مرارة حاضره، وضيق ذات اليد في المخيم، فهاجر الى الكويت ليحقق ذاته على هذا النحو دون ان يظل رهين عالم الحلم، ومنهم كذلك من تنوعت اساليب نضاله ضد المحتلين، وضد الانظمة التي تصادر الحريات، فتشرد في المنافي وانخرط في سلك التنظيمات الجماعية، لكنه لم يطق هذه الحياة القاسية، فقرر الهجرة الى الكويت، ذلك هو جمال الذي عاش مع زهدي في السجن وهرب معه في اعقاب مظاهرات التنديد بحلف بغداد، وعاش واياه في سوريا ثم لبنان رغم ما كان بينهما من اختلافات في الفكر والانتماء.

كل هذه الشخصيات ضاعت او انحرفت اراديا عن طريق العمل الثوري الجماعي، ولم يبق الا زهدي الذي كان يحلم دائما باسرته ووطنه. وكأني بالكاتب يبشر بنهج بطله زهدي كطريق افضل للحل.

لقد كان زهدي ثوريا، وكان شخصية ايجابية على مختلف المستويات، لولا بعض الوهن الذي فرضته ريشة الكاتب، حين اوقع بطله في تناقضات لا تنسجم مع ثوريته وايجابيته. فقد كان زهدي راغبا في الزواج من جارته سعاد التي كانت تقيم في المخيم نفسه الذي اقام فيه هو واسرته، لكنها تزوجت بعد اعتقاله اذ كان الجميع يظنون ان مدة هذا الاعتقال ستدوم طويلا. وها هو البطل نفسه يتحدث من خلال العودة بشريط ذكرياته الى الماضي عن سعاد فيقول "كانت سعاد شمسا ساطعة في حياتي منذ ان تفتحت في قلبي براعم الشباب وطالما تمنيت ان احتويها بين ذراعي، وان الثم كل جزء في جسدها الابيض الرقيق، وربما هممت بذلك حين كنت اخلو اليها الا انني ما اسرع ما كنت اشعر بانني كمن يخون الامانة".الروايه ص٨١. فهذا الكلام يؤكد ايجابية تلك الشخصية وانسجام فكرها مع سلوكها، لكن الكاتب نسي ذلك حين التقى بطله مصادفة في الباص بعيد خروجه من السجن، مع سعاد التي كانت حاملا والى جانبها طفل في الثانية من عمره فيدور بينهما هذا الحوار:

"- لم اكن اتوقع زواجك .. كنت ارسم في مخيلتي لقاء آخر غير هذا اللقاء البارد.

فأجابت وهي تغض من بصرها:

- لم اكن اعلم انك ستغادر السجن بهذه السرعة، لقد قالوا لي ان سجنك سيطول لأن الذي يرسل الى الجفر لا يخرج سريعا.

Digitized by Birzeit University Library

فأجاب في حزم:

- لقد انتهى أوان اللوم، ولكنني ارغب في رؤيتك فاشاحت بوجهها نحو الشارع.

وبدا لها انها تعالج صراعا يضطرب في داخلها ثم قالت بصوت هامس:

- أرجو الا تحرجني الآن فلم يعد للقاء جدوى، يكفي ان اسمع اخبارك من بعيد، أما انت فلن تعجز ان تجد لك زوجة تستطيع ان تسعدك.... فأنت جدير بأن تسعد في ظل فتاة طيبة". الروايه ص٨١:٨٢.

فلماذا يطلب زهدي صاحب المبادىء من سعاد مقابلته بعد أن انتهى كل شيء. ليس هناك ما يبرر هذا المطلب من جهة. ومن جهة ثانية يبدو أن الكاتب قد نسي او تناسى العادات والتقاليد التي كانت سائدة في منتصف الخمسينات من هذا القرن.

وليس هذا هو الموضوع الوحيد الذي اختلطت فيه على الكاتب الاجواء. فعندما يتحدث عن خروج زهدي من السجن ووصوله الى بيت شقيقته في مخيم الوحدات واحتفاء اسرتها بهذه المناسبة يقول "فهي تعد الطعام في سرعة ولهفة كقابلة تنتظر مولودا، ولم تغضب على زوجها وهو جالس على كرسي القش الصغير دون مبالاة باعانتها". الروايه ص ٦٠.

ففي ظننا ان هذا الكلام لا ينم عن وعي الكاتب بطبيعة المرحلة وطبيعة العلاقات الاجتماعية فيها، كأنه لايعلم ان مساعدة الرجل للمرأة في تلك الفترة، وفي مثل هذا الوسط الاجتماعي لم تكن واردة، بل ربما كانت نقيصة في حق الرجل لاترتضيها له زوجته.

واذا ما تدرجنا مع كاتبنا في روايته الفينا فيها مغالطات كتلك التي اشرنا اليها، ان لم تكن اكثر مجافاة للواقع. وذروة هذه المغالطات تكمن في حديث كاتبنا عن سميرة زوجة زهدى حين ذهبت مع امها لمساعدة زوجة الضابط في اعداد وليمة للقنصل الامريكي، وكثيرة هي المزالق التي وقع فيها كاتبنا في حديثه عن ذلك اليوم، اولها ان القنصل لم يكن يتصرف كضيف في بيت الضابط، وانما كصاحب منزل يتجول حيث يشاء، ويدخل الى المطبخ ويرقب كل حركة. فهل ينسجم هذا مع تلك الاجواء التي اقتضت من الضابط استدعاء سميرة وامها واقامة الدنيا من أجل تلك الوليمة سيما وان تلك الاستعدادات قد اوحت لنا برسمية العلاقة بين القنصل واسرة الضابط. ثم هل كان القنصل يعلم بأنه سيقابل الفتاة البدوية فأعد لها الهدية المغلفة؟ ثم كيف تطلب منها زوجة الضابط ان تفتح الهدية حتى لايشعر القنصل بجهلها الأصول، مع أن الحقيقة تدل على انها كانت بعيدة كل البعد عن معرفة تلك الاصول.

وحين يطلب الضابط من سميرة وامها مرافقة القنصل الى منزله للتعرف الى زوجته، تندهش ام مزاع (زوجة الضابط) دون ان تبدي اى رد فعل لذلك المطلب اذ انها كانت تعلم ان زوجة القنصل من امريكا. فهل كان سكوتها منطقيا؟ انني على يقين ان الأمر ليس كذلك، بل اجزم ان كاتبنا قد نسي ان الأمور لم تكن قد وصلت هذا القدر من التحرر والانفتاح في مجتمع بدوي محافظ في الاردن.

ان تناسي هذه الحقيقة ومثيلاتها قد اوقع الكاتب في تناقضات مشابهة في رسم بعض شخصياته، وفي جعلها تتناقض مع انفسها او مع عاداتها وتقاليدها. فعندما تسربت الريبة في امر القنصل الى نفس الحاجة ام سميرة، توعدت بالانتقام منه والهجوم عليه وايساعه ضربا، لكنها وبعد دقائق تتحول وتتغير تغيرا غريبا حين هم القنصل بالاعتداء على ابنتها، ففي حين اقدمت سميرة على لطم القنصل واوسعته شتما وقالت لامها "يظن شرفنا مباحا"، نرى الأم تسائله قائلة "ماذا فعلت يا ابنى".الروايه

Digitized by Birzeit University Library

ص٦٠. اهذه هي الطبيعة البدوية؟! كلا ان هذه الطبيعة اذا ما وضعت بين خيارين .. العرض والشرف او خيار الرزق ولقمة العيش، تؤثر ولا ريب الخيار الأول.

وبعد فهنالك مغالطة اكبر، اذ صور كاتبنا القنصل الامريكي وكأنه مستشرق يجيد العربية ويتحدث بطلاقة مع سميرة او امها، مما يؤكد أنه كان يدرك طبيعة المجتمع الاردني. فكيف يقدم بعد هذا على محاولته الاعتداء على شرف الفتاة؟ قد يقول قائل ان هذه الحادثة - اعني حادثة القنصل - كلها انما هي حادثة موظفة فكريا لتأكيد حقيقة التعاون بين بعض الانظمة أو بعض السماسرة وسادتهم. وقد لا يكون في هذا شطط كبير بيد ان كاتبنا لم يستطع ابراز هذه الفكرة ضمن معمار فني محكم، فجاءت الحادثة كلها زائدة على جسم الرواية خلخلت معمارها وسربت اليها الضعف الفني.

واذا ما وقفنا امام لغة الرواية، وامام المستوى الفكري للشخوص امكننا ان نقرر في البداية ان السرد الذي جاء على لسان الراوي كان من الناحية اللغوية البحتة محكما في معظم الاحيان. أما عندما كان المؤلف يترك شخصياته تتحدث، فقد استطاع احيانا ان ينطقها بلغة تتناسب مع مستوياتها، لكنه في احيان اخرى لم يفعل كذلك. فهناك شخصيات تنتمي الى شريحة اجتماعية واحدة والى مستوى فكري واحد لكنها تتباين في لغتها. فبعضها يتحدث بالعامية، وبعضها الآخر يتحدث بالفصحى البسيطة وفريق ثالث يتحدث او يفكر بطريقة متميزة في فصاحتها ورزانتها. فما هي احدى نساء المخيم (أم فتحي) تتحدث عن زوجها الراحل فتقول " كان يملأ عليّ الدنيا.... وين كان مخبالي هذا الهم".الروايه ص٢٣

وفي المحاورة نفسها نسمع صوت ام محمود وهي تتحدث بلغة قريبة من الفصحى "لا والله.. كنت تلبسين اجمل الثياب.. نحن نعلم بحالك ايام (البلاد) يا جارتنا ولكن كل شيء مصيره ان يتغير والبركه بالولدين بكره يكبران ويساعدانك.. وعلينا أن نصبر على المكتوب يا اختي".الروايه ص ٢٤.

وتمضي الرواية ويمضي كاتبنا معها، وينسى كيف تحدثت نساء المخيم في البداية حين يجعل ام زهدي تتحدث على هذا النحو الراقي لغة واسلوبا وهي تخاطب ابنها "زهدي" بعد خروجه من السجن "كأنك لم تغادر المخيم، لولا هذه السنوات التي تركت اثارها في وجهك وملامحك، ولولا أن اصدقاءك قد تفرقت تهم السبل..". الروايه ص٦٨

أما الحدث المحوري الذي يقوم عليه معمار الرواية فهو المتمثل في تجربة زهدي الممتدة والمتشعبة. ويبدو أن الكاتب لم يقتنع بهذه التجربة فراح في الفصول الأولى من روايته يحدثنا عن المخيم وساكنيه فعرفنا الى نسائه واحاديثهن وعاداتهن، وعرض علينا صورا مختلفة من العلاقات الاجتماعية، ثم أشار الى بعض التحولات السياسية والاجتماعية والوطنية ووضع الانسان الفلسطيني في مواجهة واحتكاك مباشر مع العدو الصهيوني حينا ومع رموز النظام الاردني احيانا اخرى فجاءت الفصول الاولى او قل القسم الأول زاخرا بالشخصيات والاحداث والمحاورات. ولكن هذه الشخصيات كانت محددة في ادوارها وفي اثارها على معمار الرواية، اذ كانت باهتة ظهرت واختفت من على مسرح الحدث دون ان يكون لهذا الظهور او ذلك الاختفاء اثر يذكر، فبدت كلها او معظمها زائدة على جسم العمل.

ان كاتب هذه الرواية - وكما نلاحظ - من خلال توظيفه لعناصرها الفنية ملم بنظرياتها، لكنه يظل قلقا ومتخوفا من أن القارىء لن يفهم كل ما يريد، لذلك تراه لا يكاد يورد ايماءة فنية

Digitized by Birzeit University Library

أو يستعير صورة أو منظرا ذا دلالة رمزية، الا ويفسره في سطور لاحقة. ان هذا التفسير هو تبسيط لامبرر له لتلك الرموز التي ينبغي أن يستنبطها قارىء الرواية بنفسه اذا ما جاءت ضمن سياق فني موح. فحين كان زهدي خارجا من مقهى الحاج حلمي "حانت منه نظرة الى صحيفة صدئه امتلأت ترابا ونمت فيها شجرة سرو صغيرة فبادره احساس بأن الناس في المخيم كهذه الشجرة لا يعروهم الاصفرار ابدا" الروايه ص٨٠. وحين كان يستقل السيارة العسكرية في طريقه الى الشام بصحبة صديقه جمال التقيا عربة عسكرية كان فيها ضابط يربت بيديه على ظهر قط، وبعد أن اطمأن الى انهما من ضباط الجمارك كما زعم سائق سيارتهما نسمعه يقول لهما في مرح وهو يشير الى القط "اذا احتجتم الى (عنتر) فقد يساعدكم". الروايه ص٢١. ولا يلبث الكاتب بعد سطور ان يقول على لسان بطله زهدي "حتى "عنتره" مسخوه قطا". ص١٢١.الم يكن من الاجدر بكاتبنا الكريم أن يترك القارىء يتبين بنفسه ما يحمله وجود الشجرة وظهور القط من دلالات، خاصة وان المواقف التي سيقت فيها كانت دالة، دونما حاجة الى ذلك التفسير التقريري؟

وهناك موقف آخر لا نستطيع أن نمر به مر الكرام، ذلك هو اقدام الضابط صاحب البياره على الطلب من الحاج مثقال أن يزوج ابنته لزهدي، في الوقت نفسه الذي هيمنت فيه فكرة هذا الزواج على وجدان زهدي ولكنه كان متخوفا من رفض الحاج مثقال لطلبه لكونه لاجئا. وادرك كاتبنا أن هذه محض مصادفة وحتى لا تكون موضع غمز في فنية الرواية نراه يستدرك مسرعا على لسان الراوي "كان حديث الضابط مصادفة جميله سر لها وكأنه قد جاء ليحل المشكلة التي بدت تؤرقه". الروايه ص٩٤.

كل هذه الملحوظات تجعلني اقول ان كاتبنا قد دخل عالم الرواية متهيبا مترددا، فجاءت عناصر العمل الفني عنده مؤكدة هذا التهيب. فالمقدمة التي صدر بها روايته هي توضيح لاضرورة له الا ان يكون الكاتب متخوفا من عجز معمار روايته عن النهوض بمضمونها.

اما على مستوى المكان فقد ترجم تردد كاتبنا في ذكره تارة اماكن حقيقية مثل عمان والوحدات وطورا آخر اماكن وهمية مثل دير سعيد ودير عدوان ناهيك عما وضحناه من تردد كاتبنا وقلقه على مستوى اللغة والايماءات كالشجرة والقط.

واعود وأوكد مرة أخرى أن الدكتور ابراهيم العلم يعرف حق المعرفة كيف يوظف العناصر المختلفه لتأكيد فكرة محددة. فقد استطاع أن يقدم لنا بطله انسانا من لحم ودم ونموذجا لقطاع عريض من مجتمعنا، أو لجيل ما زالت الآمال معقودة عليه وجعله - اعني زهدي - يمثل تلك الشريحة ليس في نضاله فحسب، وانما في عمله، حيث كان في الاردن واحدا من العناصر النشطة في بيارة الضابط وكذلك في المطبعة التي عمل فيها، وكأنه الجيل الذي حمل على عاتقه مسؤولية اصلاح الارض والانسان معا أو بعبارة اخرى توفير الزاد المادي والفكري لمجتمعه العربي.

وبعد رحيله الى لبنان ظل يعمل في المطابع وصار يسهم في المساء باعداد جيل من الشبان اعدادا ثوريا، مؤثرا بذلك المصلحة الوطنية على مصلحته الذاتية، لذلك كتب عليه - بعد تشتت رفاقه - أن يظل وحده مطلا بعينيه على الكرمل وكم كنت اتمنى لو أن هذه الاطلالة لم تكن كابوسا رغم احساسي بأن الكابوس في رقعة الحلم يمكن ان يكون رؤيا مستقبلية.

Digitized by Birzeit University Library

في عمليات انتاج النصوص وقراءتها

- مثال تطبيقي حول -

اصدار اتحاد الكتاب الفلسطينيين

"حكاية: في انتظار الحلم " لناهده نزال

- د. الهام أبو غزالة -

I- لأن النص يتشكل في لغة، ولأن اللغة هي أداة منتج النص في ايصال نصه لنا نحن القراء، ما يريد أن يقوله لنا من خلال نصه، نفترض، نحن القراء، أول ما نفترض، عنصر التعاون(١) موقفا يتخذه منتج النص في توجيهه ما يريد أن يقوله لنا من خلال نصه.

ولأن النص يتشكل، في ظاهره(٢) surface structure، من مفردات تتشكل في تبعيات قواعدية(٣) على مستوى العبارة فالجملة فالفقرة فالنص الجزئي(٤) subtextفالنص بأكمله، ولأن ظاهر النص اللغوي هذا يحمل، في كل جزئية من تكوناته، يحمل اشاراته لتشكلات باطن النص(٥) underlying text ، أي شبكات المفاهيم التي تحملها كل من هذه المستويات بمفردها، وبعلاقاتها ببعض، ولأن شبكات المفاهيم الجزئية هذه تشكل، في مجموعها، شبكة المفاهيم الكلية(٦) التي يحملها النص.

ولأن شبكتي العلاقات القواعدية في ظاهر النص، وعلاقات المفاهيم في باطن النص تحملان، بدورهما، البنية الكلية(٧) التي بناها لنا منتج النص، بنية بنية (في أي شكل هندسي اختاره) ليحقق له هدفه من ايصال ما يريد أن يقوله لنا من خلال بنائه لبنية نصه هذه في تشكلاتها المختلفة.

يكون علينا، نحن مستقبلو النص، عندما نتسلم هذا الانتاج، أن نتفحصه(٨) من جميع الزوايا المذكورة أعلاه، أي نفتش عن "الصنعة" في تركيبته، لنرى الى المدى الذي خطط له منتج النص حتى يحول المواد الأولية(٩) التي بحوزته - التاريخي، الاجتماعي، الذاتي .. الخ - الى بنية أدبية - هي النص - يقول لنا، من خلال هذه البنية، ما انتقاه من هذا الكم الهائل من المواد الأولية التي بحوزته - التاريخي، الاجتماعي .. الخ - ليقدمه لنا في الشكل الذي خطط له.

ولأن النص هو افراز لسياقه، أي للمرحلة التاريخية والاجتماعية التي انتج فيها، يكون علينا، نحن القراء، ان نبحث عن معالم السياق في بنية هذا النص (١٠).

Digitized by Birzeit University Library

وحيث أنه يصعب على القارىء الناقد تشريح النص(١١) تشريحا وافيا في مثل هذه المساحة، سوف اتعرض، كعادتي، للهم الأساسي الذي افتش عنه في أي نص لدى قراءتي له، الا وهو هندسته، طرق بنائه، أو البنية الكلية فيه التي شكل منتجه ما اختاره من مواد أولية في الحياة، ليقدمها لنا في الشكل الذي اختاره.

والبحث عن بنية النص لا يعني مطلقا البحث عن الشكلي - من شكل - فيه. البنية هي عملية بناء، وعملية البناء هذه هي العملية الواعية (١٢) في تشكيل الأدب لنصه ونبحث عنها باعتبارها، كما قال لوكاش "هي العنصر الاجتماعي الحقيقي في الأدب" أو كما قال لوسيان جولدمان باعتبارها "تجسد العلاقة الجدلية ما بين النص، رؤيا العالم، والتاريخ" (١٤)، ولأنها، في النهاية، تحمل الايديولوجي (١٥).

II- مراحل انتاج النص: يمر منتج النص، في عملية انتاجه لنصه، يمر بمراحل معينة(١٦) قبل أن يقدم لنا نصه على الشكل الذي يفعل. ويستحيل انتاج النصوص دون المرور بهذه المراحل، والا خرج النص شكلا هلاميا يفتقر الى البنية المحددة له من جهة، كما يفقد، بالتالي، الى الدور الذي أنتج النص من أجل ان يقوم به. وينطبق هذا التخطيط على جميع مراحل انتاج النص. أما بالنسبة لنا، نحن مستقبلو النصوص، فاننا، باستقبالنا للنص، نحاول ان ندخل في العمليات الذهنية لمنتجه لنرى مراحل انتاجه المختلفة، والى أي حد كان امينا على انتاج نصه - وبالتالي متعاونا معنا - والى أي حد قدم لنا المواد الخام التي يملك دون قيامه بالجهد الكافي من أجل اعادة بنائها وترتيبها وانتقاء عناصرها قبل أن يقدمها لنا.

وتتشكل مراحل انتاج النصوص التي يتبعها منتج النص في عملية انتاجه لنصه من المراحل التالية:

١- تحديد الهدف، حيث يقصد المنتج ملاحقة هدف ما من خلال انتاجه لنصه (تقديم معلومات، اقناع، ..الخ)، ومن ثم يبدأ بالمراحل اللاحقة:

٢- اختيار نوع النص (مقالة في جريدة، دراسة في مجلة علمية، شعر، قصة، .. الخ).

٣- التخطيط للنص، وهذا يعني

أ- اختيار البنية الكلية الاساسية للنص.

ب- اختيار شبكة علاقات المفاهيم للبنى الصغرى والكبرى للنص.

ج- اختيار شبكة علاقات لغة النص (الشبكة القواعدية في باطن النص).

د- اختيار شبكة العلاقات اللغوية (بما فيها اختيار المفردات) في ظاهر النص.

ولدى قراءتنا للنص، نقوم، نحن مستقبلوه، نقوم بمحاولة قراءة المراحل المذكورة اعلاه التي اتبعها منتج النص، بقدر يكثر أو يقل بناء على وعينا بهذه المراحل، ومن ثم يتدخل مبدأ التعاون (أنظر اعلاه) الذي يحكم علاقتنا بالنص، يتدخل في قبولنا للنص أو وفضنا له.

ما سوف احاوله في الصفحات التالية هو تتبع هذه العمليات في انتاج النص من خلال نص أصدره اتحاد الكتاب الفلسطينيين في القدس حديثا (١٩٨٩/١٠) وهو "حكاية: في انتظار الحلم" لناهدة نزال، لنرى الى العمليات المختلفة الجارية في انتاجه، ولنقرر الى الحد الذي تعاون فيه منتجه معنا من أجل ايصال ما يريده لنا منه.

Digitized by Birzeit University Library

III- مثال تطبيقي: سوف أقوم هنا بمحاولة تطبيق ما جاء أعلاه من مراحل انتاج النصوص على أحد منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين الجديدة، وهو نص "حكاية: في انتظار الحلم" لناهدة نزال (تشرين أول ١٩٨٩)، سوف احاول تتبع المراحل التي قامت بمنتجة النص، في سبيل رؤية مدى التعاون الذي يقوم، في النهاية، بين هذا النص وبيننا، نحن قراؤه ولسوف اتتبعها مرحلة مرحلة كما ذكرت أعلاه.

١- تحديد الهدف: في العادة نقرأ الهدف لأي نص من مصدرين له: العنوان (١٧) الذي يقرره له منتجه، والنص بأكمله بما يحويه من محتوى وبنية لهذا المحتوى. - كما نقرأه من قائمة المراجع في آخر الكتاب اذا كان النص علميا - ولسوف أبدأ هنا بأول ما تقع عليه أعيننا، أي عنوان النص، تاركة نقاش الموضوع الثاني حتى نهاية الدراسة.

عنوان النص: يشكل عنوان أي نص، ليس فقط اشارة للهدف الذي يريده منتج النص من انتاجه لنصه، ولكنه أيضا يحدد لنا، نحن القراء، يحدد الاطار الذهني الذي يريد منتجه لنا أن ندخل النص من خلاله، بما يعنيه ذلك من تشكيل لتوقعاتنا منه (١٨)، (ويتشكل العالم حولنا من "عناوين" تشكل اطرا لمضامين تحملها هذه العناوين، تشكل لنا توقعاتنا منها، سواء كان الاطار بمضمونه جغرافيا - فلسطين، امريكا، الصين، .. الخ -، أو زمانيا (١٩٤٨/٥/١٥، ١٩٦٧/٦/٥، .. الخ - أو علميا (كتاب مساق الكيمياء الحيوية، القواعد الأساسية، الفلسفة الديالكتيكية، .. الخ) وهكذا. وبالتقاء أعيننا أو التقاط آذاننا عنوانا ما، تتشكل لدينا مباشرة في أغلب الأحيان صورة الاطار الذي يحمله هذا العنوان، باحتمالات المضامين والأهداف المحمولة داخله.

على غلافه، يخبرنا عنوان النص تحت الدراسة بأمور عده - ولن أتطرق للالغوي في الغلاف -. نقرأ على الغلاف:

أ- منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين

ب- حكاية

ج- في انتظار الحلم

د- ناهده نزال

ولسوف اناقش الاطار الذهني لتوقعاتنا من محتويات الغلاف اللغوية، كل على حده.

أ- منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين: تضعنا هذه المعلومة في اطار اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وهذا يتركنا في اطار ذهني يحمل التوقعات التالية:

١- ان قرار نشر النص لنا، نحن القراء، لم يكن قرارا فرديا، بل هو قرار مؤسسه

٢- ان المؤسسة التي قررت اخراج الكتاب لنا هي اتحاد للكتاب، وليس اتحاد عمال صناعة الجلود، أو اتحاد عمال البناء أو الهندسة، مثلا، ولكنه قرار اتحاد مهمته الأساسية هي "الكتاب"

٣- ان اتحاد الكتاب الفلسطينيين، وهو جزء من السياق التاريخي الفلسطيني الآني، لن ينفصل في اصداراته عن السياق العام الذي يعيشه من يمثلهم في هذا السياق.

ب- حكاية: نقرأ الاشارة اللغوية التالية على غلاف الكتاب فنرى انها توجهنا باتجاه اطار الحكاية، وتستثار لدينا مباشرة شبكة المفاهيم التي نحملها في معجمنا الذهني حول المفهوم "حكاية" فنجد:(١٩)

١- قصة الحدث

Digitized by Birzeit University Library

٢- يتركز الاهتمام فيها حول مجرى الأحداث

٣- وعلى نتائج هذه الأحداث

ولأن الحدث لا بد له من محدث/ محدثين، أي فاعل/ فاعلين، ولا بد له من أشكال من الفعل يقوم بها هذا الفاعل/ هؤلاء الفاعلون، كما لا بد له من كيانات متأثرة بهذا الحدث، فان توقعاتنا من النص تتشكل في اطار "حكايه" - وليس شعرا - بما يعنيه ذلك من فعل باتجاه التغيير، وفاعلين في هذا التغيير، وشكل/ أشكال الكيان القائمون على تغييره.

ولأن السياق لا بد منه لتحديد اي اطار ذهني للتوقعات، يساهم اسم الناشر (.. الفلسطينيين) وسياق النشر (تشرين أول ١٩٨٩) يساهم في تشكيل اطار توقعاتنا من الحدث / الحكايه في هذا النص.

ج- في انتظار الحلم: بدخولنا الى عنوان الحكايه "في انتظار الحلم"، نبدأ بمركز هذه العبارة(٢٠)، أي صيغة الاسم "الحلم"، محاولين رسم توقعاتنا قبل الدخول في الاطار الذي يقدمها به منتج النص.

نجد انه، لدى وقوع اعيننا على صيغة الاسم هذه، نجد انه تستثار لدينا شبكة المفاهيم(٢١) التالية: "(١) تتابعا من الاحاسيس والصور والافكار .. التي تمر في رأس شخص نائم، (٢) رؤيا خيالية للعقل الواعي، .. (٣) حالة من التجريد والاستغراق في التفكير الحالم تحصل فيها احلام اليقظة، (٤) أمل أو تطلع عزيز، ٥٠) أي شيء جميل جدا ورائع ومؤقت .. يبدو كالحلم"، فندرك ان النص الذي بين ايدينا سيكون حول شيء ما غير حقيقي، اما لأنه يمر في رأس منتجه وهو نائم / شبه نائم (المفاهيم ١، ٢، ٣، ٥ أعلاه) أو لأنه "أمل وتطلع عزيز" (المفهوم ٤ أعلاه). هنا، تتدخل ٣ عوامل في اختيارنا لمفهوم "الحلم" من بين الخمسة مفاهيم أعلاه، العامل الأول لغوي، وهو استعمال منتج النص لأل التعريف في صيغة الأسم، والعامل الثاني، اطار المؤسسة التي نشرت الكتاب "اتحاد الكتاب الفلسطينيين"، والعامل الثالث، سياقي، اي السياق الذي انتج النص من خلاله. وبالنسبة للعامل الأول، فان أل التعريف تساهم في تحديد وتخصيص الأسم المرتبط به(٢٢)، وبالتالي لا يعود "الحلم"، أمامنا أي حلم، بل الحلم الذي نتطلع اليه، وهذا الحلم يحدده لنا العامل الثاني، أي تبني الكتاب من قبل مؤسسة الكتاب للشعب الفلسطيني "اتحاد الكتاب الفلسطينيين"، وكذلك العامل الثالث الآتي أي السياق. ومن هنا تتشكل لدينا (شبه) صورة ذهنية لما تشير اليه صيغة الأسم هذه لنا من توقعات، فنختار المفهوم ٤ أعلاه من المفاهيم الخمس التي تحملها هذه الكلمة في أذهاننا، وهو "أمل وتطلع عزيز"، ولا يصعب علينا، نحن من يتوجه النص اليهم، ضمن العوامل الثلاث اعلاه، لا يصعب علينا رسم صورة "الحلم" ضمن كل هذه العوامل.

وتشكل عبارة "في انتظار" بنية صغرى ضمن البنية الأكبر "في انتظار الحلم". وتتركب هذه العبارة من حرف الجر "في" وصيغة المصدر "انتظار". ويثير حرف الجر هذا لدينا العديد من المفاهيم كذلك(٢٣)، منها "الظرفية (حقيقة) نحو (الماء في الأبريق) أو مجازا ...، أو التعليل .. أو المصاحبة (خرج الأمير في موكبه) أو المقايسة، ...". وتحدد الكلمة التالية في العبارة "انتظار" أي من هذه المفاهيم لحرف الجر نختار. فكلمة "انتظار" تثير لدينا مفهوم "ترقب وتوقع"(٢٤)، ولأنها صيغة مصدر، بما يعنيه ذلك من اعطاء اللفظة صورة ساكنة للشيء المثار في الذهن(٢٥)،

Digitized by Birzeit University Library

وذلك لانعدام الزمن داخل مفاهيم المصادر المستثارة، نجد أن الاطار الذهني الذي يثيره لدينا عنوان النص هو صورة كيان قابع داخل حالة لا زمنية من عدم الفعل، أي الانتظار. هنا، تتضح لدينا الصورة التي تستثيرها البنية الكبرى في عنوان النص، أي "في انتظار الحلم"، وتكون على الشكل التالي:

١- حالة سكونية لا يحددها زمن من انعدام الفعل تشكلها البنية الصغرى "في انتظار".

٢- تتوجه هذه الحالة السكونية اللازمنية من انعدام الفعل تجاه "الحلم" (ال + حلم) بما تثيره صيغة الأسم من "تطلع وأمل عزيز" تحدده ال التعريف وأسم المؤسسة الناشرة، وسياق انتاج الكتاب، (وواقع مستقبليه في حالتنا هذه).

هنا، يتدخل نظام سيبراني(٢٦) لترتيب المفاهيم في أذهاننا، ليدق لنا جرس الانذار، فقد حصل لدينا اضطراب في ملاءمة المفاهيم المستثارة من الاشارات اللغوية على الغلاف (أي المفاتيح اللغوية أ، ب اعلاه) ومن المفهوم المستثار من عنوان النص هذا، و(أي المفتاح ج اعلاه) وباضطراب المفاهيم المستثارة وتناقضها، يكون علينا أن نختار واحدا من طريقين

أ- اما أن نرمي النص جانبا باعتباره لا يتلاءم مع مبدأ "التعاون" الذي لا بد منه لأي نص في علاقته مع قرائه، وذلك باثارته الاضطراب لدينا.

ب- أو أن نأخذ موقف المتسامح فنغض النظر عن ما أحدثه لدينا عنوان النص من اضطراب ونقول انها "زلة قلم" (لكل من الناشر ومنتج النص).

فاذا اخترنا الموقف الثاني، نكون في اختيارنا قد رجحنا، في توقعاتنا، المفاهيم المثارة على غلاف الكتاب الأكثر عددا، وهي أ+ب، رابطين اياها بالمفهوم المستثار لدينا باستمرار، الا وهو السياق. وعليه، تتكون لدينا التوقعات التالية في توجهنا نحو قراءة النص:

١- شكل / أشكال "الحلم" التي تقود اليها "الحكاية"

٢- شكل / أشكال الفعل (الأحداث) التي تقود الى هذا "الحلم"

٣- شكل / أشكال الحالات التي يقوم الفعل وفاعله / فاعلوه بالعمل على طريق استبدالها بـ "الحلم"

٤- شكل / أشكال الفاعل / الفاعلون في عملية / عمليات الفعل هذه على طريق تحقيق "الحلم" (أي الشخصية / الشخصيات، العلاقات التي تحكمها فيما بينها وفيما بين الحالات في ٣، وتطورهم مع تطور الحداث التي يحدثونها في مجرى الفعل لتحقيق "الحلم").

د- ناهدة نزال: أما الاشارة اللغوية الأخيرة التي يقدمها لنا غلاف الكتاب، والتي تساهم في تحديد توقعاتنا من الهدف من النص، فتشير الى منتج النص. وتثير التاء المربوطة في نهاية الأسم مفهوما لأنثى، ولأن انتاج نص أدبي يصعب ان يقوم به الا أنثى ناضجة، نعرف ان منتج النص امرأة. ويتدخل السياق الآني لمنتجة النص، والذي يأخذ بعض اشاراته من تحديد المؤسسة الناشر "اتحاد الكتاب الفلسطينيين" يأخذ دوره في تحديد توقعاتنا، ولأننا نعرف ما تقوم به المرأة(٢٧) في سياقنا هذا في مساهماتها اليومية في تشكيل "الحدث" في اتجاه "الحلم"، يتحدد اطارنا توقعاتنا الذهني من النص أكثر، فنضيف الى توقعاتنا من النص بعدا آخر، أي أن منتجة النص تساهم في الفعل النسوي الآني على طريق "الحلم"، تساهم في تشكيله فنا أدبيا. ولأننا، في اذهاننا، نملك مفهوما للفن باعتباره تسجيلا للآني من أجل المساهمة في دفعه مستقبليا(٢٨)، نرتاح لفهمنا لما رسمته لنا المفاتيح اللغوية على الغلاف، ونقرر قراءة النص.

Digitized by Birzeit University Library

٢- نوع النص: يشكل نوع النص الاختيار الثاني الذي على منتج النص أن يقوم به من أجل ايصال خياره الأول في انتاج نصه، أي هدفه من انتاجه. وتشكل أنواع النصوص أطرا كونية(٢٩) Global paterns تحدد للمنتج مدى الخيارات التي يمكن استعمالها في النص، خيارات من مثل الموسيقي والوزن اذا كان نوع النص شعرا، أو تقديم الحقائق العلمية بلغة تقريرية اذا كان النص يندرج تحت النص العلمي. ويسهل، داخل ثقافة مشتركة، يسهل على مستقبلي النصوص ادراك أنواعها وذلك باستثارتها لما يدعى بالتناص Intertextuality (٣٠).

أما في النص تحت الدراسة، فنجد على غلاف الكتاب مفتاحين لغويين يشيران لنوع النص. المفتاح الأول هو المؤسسة التي تبنت نشر الكتاب، أي "اتحاد الكتاب الفلسطينيين" والمفتاح الثاني لفظة "حكاية". واذا كان المفتاح الأول يثير لدينا توقعا لنوع نص أدبي، فان المفتاح الثاني يحدد لنا نوع النص الأدبي هذا، فهو "حكاية" وليس شعرا أو مجموعة قصص، مثلا. ونفترض أن منتج النص، باختياره للنوع الأدبي "حكاية" يملك، مثلما نملك، مفهوم الحكاية (كما ذكره أعلاه).

٣- التخطيط: بتحديد منتج النص لهدفه ولنوع النص الذي يبتغي ايصال هدفه الينا من خلاله، تكون المرحلة الثالثة لديه هي مرحلة التخطيط. وتتشكل مرحلة التخطيط هذه من اختيار للبنية الأساسية للنص، بما في ذلك بناها الجزئية المكونة لها، ومن اختيار لشبكة علاقات المفاهيم للبنى الصغرى(الجزئية) والكبرى للنص، ومن اختيار لشبكة علاقات اللغة(الشبكة القواعدية) في باطن النص، ومن اختيار لشبكة العلاقات اللغوية(بما فيها اختيار المفردات) في ظاهر النص. (ولا يعني هذا بالضرورة أن تقسيمات مراحل التخطيط هذه تسير، لدى منتج النص، في نفس الطريقة التي نقدمها هنا، بل لا بد لها من أن تتداخل في معظم الوقت(كذلك مع الهدف ونوع النص) ليؤثر خيار ما في اعادة النظر في خيار آخر، بما يقوم به نظام الترتيب السيبراني المذكور سابقا من اعادة تنظيم لحظية للخيارات بعلاقاتها ببعض). وتقسم هذه المراحل كما ذكرت أعلاه فقط من أجل الدراسة.

بناء على ما ذكر حتى الآن من هدف النص(المقروء لدينا) ونوعه، سوف أحاول تتبع مراحل التخطيط التي يقوم بها منتج النص، وذلك بتطبيقها على النص الذي نحن بصدد دراسته: "حكاية: في انتظار الحلم".

أ- تخطيط البنية الأساسية: بناء على ما ذكر في III -١-ج أعلاه، نتوقع في هذا النص بنية لأحداث "حكاية" ضمن سياقها الآني لمنتجها وناشرها(وقرائها؟) مشيدة من قبل احدى ممثلات الفعل النسوي الراهن(امرأه) في سبيل "الحلم". وعليه نتوقع بنية تدلنا على(أ) حالة ما قبل "الحلم"، (ب) شكل "الحلم"، (ج) أشكال الفعل الفاعلة باتجاه الانتقال من الحالة(أ) الى الحالة(ب)، (د) أن تكون معظم الأشكال الفاعلة في هذا التحول شخصيات نسوية. فماذا نجد؟

نرى من قراءتنا للنص ان منتجته قد اختارت له بنية ذات خطين: خط واقعي والآخر نفسي. كما انه من الواضح ان الكاتبة قد اختارت للخط الواقعي تخطيطا زمنيا أفقيا(ذاكرة الأيام والأشهر والسنة)، ينتقل بنا، أفقيا في الزمان، عبر مراحل سبعة هي: (أ) "سيارة نقل المعتقلين"(ص ٢٥) (ب) "المسكوبية"(٢٧)، (ج) "سجن أبو كبير"(٤٩)، (د) "سجن الرملة"(٥٠)،

Digitized by Birzeit University Library

(هـ) "سجن تلموند"(٥١)، (و) الافراج فبلدها "قلقيليه"(٦١)، (ز) الاعتقال الاداري في قلقيلية(٦٤).

كما وأن الكاتبة قد اختارت، في بنائها لنصها، اختارت الخط النفسي ليغلف النص في نهاياته(بدايته ونهايته) (ص ٢٣- ٢٥، ٨٠- ٨٢) من جهة، وليتقاطع مع كل(جزئية) مرحلة من مراحل الخط الواقعي من جهة أخرى. واذا كنا بصدد حكاية أحداث توصلنا الى حدود "الحلم"، فان اختيار منتجة النص لهذين البعدين في بنائها لنصها يمكن أن يحقق لها الهدف الذي وضعت النص من أجله(وقرأناه نحن على الغلاف). ولكن، من أجل أن تفعل، يكون عليها(نتوقع نحن القراء) أن تخطط لبناء في مثل هذه المراحل المتعددة(بمساحة تقل عن ٦٠ صفحة) يكون عليها أن تقدم لنا تراكمات "الحدث" من مرحلة لأخرى في "الحكاية"، في تحوله من الحالة(أ) الى الحالة(ب) (أعلاه)، اي في تحوله من حالة ما قبل "الحلم" الى حدود هذا "الحلم"، وبالتالي، يرينا الخط النفسي المصاحب لتراكمات الخط الواقعي الصاعد في اتجاه "الحلم"، يرينا الانعكاسات النفسية لهذه التحولات أثناء الفعل وفي اتجاه "الحلم"(٣١).

سأناقش أدناه كل من مستويي بنية النص الأساسية التي خططت لها منتجته، وذلك على ضوء ما ذكر أعلاه من الهدف الذي اتبعته في انتاجها للنص.

الخط الواقعي: ان أول ما يلفت نظرنا هو المساحة اللغوية المختلفة التي أعطتها منتجة النص للمراحل المختلفة في الخط الواقعي لبنيتها. فنرى ان المرحلة الأولى تمتد عبر صفحتين، والثانية عبر ٢٢ صفحة،. الثالثة عبر صفحة واحدة، والخامسة عبر صفحة واحدة، والسادسة عبر ١١ صفحة، والسادسة عبر ٣ صفحات، والسابعة عبر ١٦ صفحة. ونحن، اذ لا نتوقع تطابقا في المساحة اللغوية بين كل مرحلة ومرحلة من مراحل البنية، الا ان الاختلاف الكبير بينها، وخصوصا المراحل التي تتعلق بتجارب من نوع واحد(أي السجون)، هذا الاختلاف(يبلغ بين المرحلة الثانية من جهة والثالثة والرابعة من جهة أخرى، يبلغ الاختلاف نسبة ١:٢٢) يتركنا نقرر انه لا بد لمنتجة النص من هدف في تخطيطها للمراحل بهذا الاختلاف في المساحة اللغوية لكل منها. ونبدأ في البحث عن اسباب لقرارها في تخطيطها لهذا الاختلاف في المساحة اللغوية في بنائها لمراحل "الحكاية". وعلى ضوء ما قدمته لنا المنتجة لنصها من انه "حكاية"، بما يعنيه ذلك من أحداث توصل القائمين عليها الى حد تحقيق "الحلم"، يكون بحثنا في هذه المراحل عن دقائق هذه الاحداث في كل مرحلة أولا، وعن الكيفية التي تراكمت فيها هذه الأحداث، في كل مرحلة، وعبر مراحلها السبع، حتى توصلنا الكاتبة الى حدود "الحلم".

ولأن منتجة النص قد حرصت، في تخطيطها لبنيتها الواقعية، ان تكون بنية أفقية زمانيا، نرى أننا، ومن أجل تتبع حركة الفعل الصاعد في اتجاه تحقيق "الحلم"، نرى انه بامكاننا الاكتفاء في هذه المساحة الضيقة، بمقارنة الأحداث/ الفعل في المرحلتين الأولى والأخيره للتجربة من نفس النوع(هنا السجن) حتى نقرر مدى التراكمات الحاصلة في الحدث/ الفعل في البنية الواقعية التي خططت لها الكاتبة.

سجن المسكوبية(ص ٢٧-٤٩): سوف اتتبع الحدث في هذه المرحلة من خلال بناه الصغرى، أي فقراته، وسوف اذكر الموضوعة الاساسية(٣٢) فقط لكل فقرة، أما الفقرات التي لا تحمل بنية الخط الواقعي(ولكن النفسي) فسوف أرمز لها بعلامة X، أي لا خط واقعي.

Digitized by Birzeit University Library

تتشكل موضوعات هذه المرحلة من:

جدران رطبة --» X --» X --» الغرفة --» X --» شعر --» السجان --» السجن --» الغرفة --» نزيلة --» الغرفة --» سجانتان --» نزيلة --» الغرفة --» نزيلات --» الغرفة --» النزيلات --» ليلة السجن --» شعر --»الغرفة --» الأكل --» الغرفة --» الأكل --» الافطار --» الغرفة --» الوقت --» وجبة الغذاء --» الغرفة --» العشاء --» الغذاء --» المكان --» الاتصال --» السجانين --» ذكرى أكل --» اضراب (سطر واحد) --» نضال --» الزمن --» أم فارس (٩ فقرات) --» شعر --» ليلة --» نزيلة --» نزيلات --» نزيلتان --» الراوية + النزيلات --» نزيلة --» أبو كبير --» اعلام بالانتقال --» أم فارس --» وداع --» خروج.

سجن تلموند: (ص ٥١-٦١)

X --» X --» نزيلة --» مجندة --» X --» X --» X --» X --» شعر --» ليلة انتهاء التوقيف --» السجانة --» الفطور --» تمديد التوقيف --» الافراج.

يتضح من العناصر المكونة لكل من المرحله الأولى والاخيره (للسجن) في "الحكاية" ما يلي:

١- انها تدور حول كيانات (صيغ الاسم اعلاه) وليس افعال (الافيماندر)

٢- انه، في حالة ذكر الفعل (الاضراب مثلا) يتم ذكره باختصار شديد، ولا يتم وصفه، أي وصف لدقائقه.

٣- ان الكيانات التي يتم ذكرها في "المكان" يفوق عددها في المرحلة الأولى عنه في المرحلة الأخيرة (ومن هنا السبب في المساحة اللغوية المختلفة في المرحلتين).

٤- ان أي من هذه الكيانات المقدمة في المرحلة الأولى لا تستمر في المرحلة الأخيرة.

٥- ان المرحلة الأخيرة تتميز بكثافة احتوائها على الخط النفسي، وتقليص الخط الواقعي.

٦- ان العامل الوحيد المشترك بين المرحلة الأولى والأخيرة هو المكان (كون كل منهما سجنا) واحتواء كل منهما على الخط النفسي للراوية.

هنا، يسقط أمامنا ما توقعناه من بنية واقعية للحدث "الحكاية"، اذ أننا لا نرى فعلا (وهو العنصر الأساسي في الحدث / الحكاية) وبالتالي لا نرى تراكما لحدث، وبعدم تراكم الحدث تسقط البنية، اذ نجد أن باستطاعتنا، عندئذ، ان "نلعب" في ترتيب المراحل "المختلفة" التي قدمتها لنا الكاتبة، فنضع أي مكان الأخرى دون أن يؤثر ذلك على البنية. وبسقوط البنية يسقط النص(٢٣)، وبسقوط التراكم يسقط الحدث / الحكاية، وبسقوط الحدث يسقط الوصول الى "الحلم".

ولكننا لا نيأس، فنقرر (ضد قناعاتنا) بأننا ربما كنا مخطئين بتوقعاتنا من الخط الواقعي ان يكون البنية الأساسية للنص، وان الكاتبة ربما ارادته خطا ثانويا، وان الخط النفسي، في "حكايتها" هو الخط الأساسي الذي تبنيه وتراكمه في اتجاه "الحلم"، فنقرر قراءة الخط النفسي باعتباره البنية الأساسية.

البنية النفسية: لقد رأينا اعلاه غياب خط "الفعل" في المرحلتين اللتين تم انتقاؤهما للمقارنة، والاكتفاء بذكر كيانات (الغرفة، الطعام، السجانات، النزيلات) مع ما صاحب كل مرور على هذه الكيانات من انعكاس لمشاعر نفسية في ذات الرواية. وقد ذكرنا ايضا عدم تعلق هذه الكيانات المذكورة في المرحلة الأولى مع المرحلة الأخيرة، بل اننا رأينا انحسارا في عدد

Digitized by Birzeit University Library

الكيانات الواقعية المذكورة في المرحلة الأخيرة والاستعاضة عنها بالخط النفسي، فهل تبني لنا الكاتبة "حكايتها" في اتجاه تكشيف الخط النفسي باتجاه "الحلم"؟

في الحقيقة، لا يجد القارىء فارقا نوعيا بين المرحلتين من حيث بنية الخط النفسي في كل منهما، اذ يتشكل معظم الروي في "الحكاية" حول الانعكاسات النفسية للكيانات "المصطدم بها" في المكانين على نفسية الراوية. وحيث أننا أمام "حكاية" توصلنا الى بدايات "الحلم"، نتوقع بنية نفسية في "الحكاية" متراكمة في اتجاه الايجابي، الذي هو طريق هذا "الحلم". ولكننا لا نجد بنية من النوع الذي نتوقع، بل، وهنا ايضا، لا نستطيع تتبع أي خط لبنية نفسية تشيدها الكاتبة، سواء في سلبها أو في ايجابها. ونختار بعضا من الانعكاسات النفسية في المرحلتين للمقارنة بينهما وللتدليل على انتفاء خط البنية النفسي في "الحكاية" ايضا.

الخط النفسي السلبي: ونجده في المرحلة الأولى في الأشكال اللغوية التالية:

"الزنازين الرطبة (ذات البعد الواحد)" (٢٧)، "(لغة القبور)" (٢٨)، "هذا المكان (العبثي)، (موحش)" (٣١)، (تتراكم سحب نرجسية) (رجل غامض عذبني طويلا) (٣٣)، (المقرف) (قبور) (التقيؤ) (٣٥) .. الخ.

اما في المرحلة الأخيرة فنجده على النحو التالي:

(.. الأرض تحولت .. لخنق الحريات) (رتابتها) (زمن طويل) (أسكن داخلي) (فتصمت الجدران) (الجدران الضيقة) (غناؤنا يحوم في دائرة العزلة) (٥١)، (شبه امرأة) (اشراقة ميتة) (٥٢)، (لم أستطع أن أفكر في الغد) (الغد يأتي والجديد يبتعد كثيرا) (التاريخ الضعيف المستكين) (أغنيات فتنت بالسلاسل) (٥٣)، (هذه السلبية) (٥٤)، (امتطي غيمات حزينة) (٥٥)، الجثث الملقاة باهمال فوق قبورها (أي السجينات - الكاتبة)) (٦٠).

الخط النفسي الايجابي: ونجده في المرحلة الأولى على شكل:

(تحسست حريتي وهي تتسلل الى الطرقات تنفث اريجها على الأرض الخصبة) (٢٨)، (الحرية في مكان كهذا .. تعيش فيك) (٣٢)

أما في المرحلة الأخيرة، فنجد:

(ففي ليلنا تتسرب أشعة الشمس .. تصعد برجها العاجي .. تتململ الاجساد الحاضنة أكفانها ..) (٥٢)، (نشعر ان لنا تركيبة مختلفة .. خاصة جدا) (٥٣)، (في الليل كنت امتطي غيمات حزينة) (٥٥)، (رفقة مسلية وطيبة مع تلك الأخوات) (٦٠)

اذا قمنا بمقارنة الانعكاسات النفسية الايجابية والسلبية بين المرحلتين، نجد ما يلي:

١- ان الانعكاسات الايجابية، في كلتا المرحلتين، ضئيلة بالمقارنة مع الانعكاسات السلبية.

٢- ان هناك تكثيفا للانعكاسات السلبية في المرحلة الأخيرة

٣- ان الانعكاسات "الايجابية" في المرحلة الأخيرة تحمل في داخلها نفيا لها (مثل "الشمس .. برجها العاجي" (أي غير حقيقية)، "الأجساد الحاضنة أكفانها" (عن السجينات) .. الخ).

وتدلنا هذه الملاحظات على:

١- عدم وجود بنية نفسية مخطط لها في "الحكاية"

Digitized by Birzeit University Library

٢- ان تكثيف الخط النفسي السلبي في جميع مراحل "الحكاية" يتناقض مع هدفها من توجيهنا نحو "الحلم" (الذي هو ايجابي بضرورة قيامنا بالفعل من أجل الوصول اليه).

وبسقوط خيارنا الآخر، وهو التفتيش عن بنية النص في خطه النفسي، نرى أمامنا سقوطا آخر للنص، وبانحسار "الانعكاسات" النفسية الايجابية - بدل تراكمها - نرى أننا نبتعد أيضا عن "الحلم" الذي وضعتنا الكاتبة في اطاره في عنوانها للنص.

وبسقوط النص - المقدم لنا باعتباره "حكاية" -، وبسقوط الهدف منه - أي الفعل/ الحدث في اتجاه "الحلم" - يكون سؤالنا التالي: هل نستمر في تتبع أشكال التخطيط الأخرى التي نتوقعها من أي نص - وذكرت سابقا - أم أن فشلنا في اكتشاف تخطيط للبنية الأساسية في النص يستتبعه فشل لنا في اكتشاف التخطيط على المستويات الأخرى؟

للحق، لقد ثبت بالممارسة ان الفشل في تخطيط بنية أساسية للنص تحمل هدفه لقرائه يتبعه فشل في التخطيط على المستويات الأخرى (وقد قمت بالمحاولة لهذا النص بنفسي، ولن اضعها هنا بسبب ضيق المساحة، ولكني أدعو القراء للمحاولة ايضا).

الهدف (عودة): بعد ان فشلت قراءتنا للنص في الملاءمة ما بينه وما بين توقعات الهدف التي رسمناها في ذهننا من قراءة اللغوي على غلافه، نقف الآن لنتساءل: ماذا كان هدف منتجة النص من انتاجه؟

في الحقيقة، تخبرنا الكاتبة هدفها من انتاج كتابها - بشكل أو بآخر - عبر صفحات النص المختلفة فنجد مثلا في (ص ٦٠) "وبذلك تتكون ثروة اضافية لتجربتي الصحفية اذ ليس من المناسب أن أعيش زمن الاحتلال دون أن أتذوق مرارة اجراءاته .."، وتخبرنا (ص ٢٣) ".. لكنها الطريقة الوحيدة التي تتيح لي الانفراد بذاتي .. أسرد عليها خواطري .. نهيم معا .. تتراكم سحب نرجسية .."، وتخبرنا (ص ٤٦) "لم أكن لأبحث .. عن فتاة تفهمني استطيع محادثتها .. كنت احاول تحقيق الحد الأدنى من اثبات الذات الاجتماعي حتى أتأكد أني موجودة" وتخبرنا في آخر سطر لها (ص ٨٢) ".. لعلي أجد نفسي أكثر وأكثر".

يتضح هدف الكاتبة من هذه المقتطفات أنه:

١- الانفراد بذاتها لتسرد عليها خواطرها (أي أنها خواطر ذاتية)
٢- التفتيش عن الذات داخل الذات (وليس عبر الآخرين)
٣- عدم الاهتمام بفهم الآخرين لها
٤- محاولة تحقيق الحد الأدنى من اثبات الذات الاجتماعي
٥- تراكم تجارب صحفية

فاذا اتفقنا ان هذه هي الأهداف التي حملتها الكاتبة في ذهنها لدى اتخاذها قرارها بانتاج النص، نتساءل نحن القراء: هل مؤسسة اتحاد الكتاب الفلسطينيين هي المكان المناسب لاخراجه؟ ومن هنا أرى الحاجة لنقاش التقديم المطول الذي صاغه اتحاد الكتاب الفلسطينيين (على لسان رئيسه) لهذا النص.

تقديم اتحاد الكتاب الفلسطينيين للنص: يقدم لنا اتحاد الكتاب لهذا النص في ست

Digitized by Birzeit University Library

عشرة صفحة، تساهم، هي أيضا، في وضعنا في اطر ذهنية لتوقعاتنا من هذا النص. واذ لن أناقش كل ما جاء في هذه المقدمة المطولة، سوف اناقش بعضا منها، لأشير الى الاضطراب الذي ممكن أن يحدث من الفارق ما بين توقعاتنا التي تشكلها لنا قراءتنا للمقدمة، وما نجده في النص من تناقض صارخ مع هذه التوقعات.

يقول اتحاد الكتاب في المقدمة ما يلي (سأختار بعض النقاط، كما ذكرت، وليس كلها):

١- ان أي انتاج أدبي هو وسيلة من وسائل الانتفاضة / المقاومة (ص ٥)

٢- ان الانتفاضة قلبت معايير الكتابة ليس من حيث الشكل فحسب وانما ما يجب ان يقال في زمن الانتفاضة الريان (ص ٥).

٣- .. وعليه، فالمرأة الفلسطينية قد كسرت الحاجز الاجتماعي المتخلف وخرجت وشاركت الرجل في الفعل النضالي اليومي .. ولعل القليل من النساء قد كسرن الحاجز الثالث وهو حاجز الخوف من الكتابة .. وبهذه الحكاية "في انتظار الحلم" تكون الأخت ناهدة نزال قد كسرت ثلاثةحواجز هي الحاجز الاجتماعي والسياسي والابداعي.

ولسوف اناقش كل من المقولات أعلاه التي قدم لنا اتحاد الكتاب بها النص، مما يعني مساهمته في رسم الأطر الذهنية لتوقعاتنا من قراءة النص، محاولة القاء الضوء على ما تحققه من هذه التوقعات وما لم يتحقق، محاولة نقاش كل من النقاط أعلاه بالتتالي.

١- تقول مقدمة اتحاد الكتاب ان "أي انتاج أدبي هو وسيلة من وسائل الانتفاضة / المقاومة". والسؤال هو: هل صحيح ان "أي" انتاج أدبي هو وسيلة من وسائل الانتفاضة؟ وماذا نعني عندما نقول بكونه "وسيلة من وسائل الانتفاضة".

ويتحدد جواب السؤال الأول بالاجابة على السؤال الثاني، ويحدد السؤال الثاني سياق هذا الأدب، والسياق هنا هو الانتفاضة، واذا كنا نعرف ملامح هذا السياق/ الانتفاضة، نعرف ان أحد أهم ملامحها هو الفعل، الفعل في اتجاه تراكمات التغيير، على جميع الأصعدة، من أجل "الحلم" القادم. وعليه، فان مقولة اتحاد الكتاب هذه تضعنا في توقعات الفعل المساهم في الانتفاضة، فهل جاء النص أمينا لتوقعاتنا من هذه المقولة؟ أي هل جاء النص فعلا مساهمة في الفعل، فعل الانتفاضة؟.

صحيح، ان تنتج امرأة نصا هو فعل ربما تميزت به الانتفاضة - فالنساء طويلا أبقين أصواتهن داخل رءوسهن ولم يسجلنها على الورق للعلأ - ولكن، هل جاء النص "فعلا" أي تعبيرا عن "فعل" من أفعال الانتفاضة أم أنه بقي خارجها؟ أي، هل يمكن لنا أن نضع هذا النص خارج اطار الانتفاضة، في الواقع الزمني منذ ١٩٦٧ أو ١٩٤٨، أو ١٩٢١ أو حتى اثناء الحكم التركي ونقرؤه بنفس الطريقة؟ وهل ممكن ان يكون سياقه الأردن أو مصر أو أي من بلدان العالم دون أن تتأثر قراءتنا للنص؟

في رأيي ان قراءتنا للنص لن تتغير لو أنه كتب في أي من السياقات المذكورة أعلاه (وليحاول القراء ذلك معي)، مما يعني ان هذا النص مفصول عن سياقه - أي الانتفاضة - وهنا نسقط أول مقولة حول النص لاتحاد الكتاب في تقديمه للكتاب

٢- يشير اتحاد الكتاب، في مقدمته للنص، حول انقلاب معايير الكتابة "ليس من حيث الشكل وحسب، وانما ما يجب ان يقال في زمن الانتفاضة الريان"، باجابتنا على المقولة الأولى

Digitized by Birzeit University Library

أعلاه، نكون قد أجبنا على الشق الثاني من المقولة الثانية، وهي علاقة النص تحت الدراسة ب "زمن الانتفاضة الريان" وذلك عندما أبرزنا امكانية فصله عن سياقه. وتشير المقدمة الى انقلاب في معايير " الشكل"، ونحن لا نفهم "الشكل" كاطار جامد، ولكننا نفهمه من حيث هو عملية بناء البنية داخل النص والتي تحمل الهدف من النص في عملية بنائها، وقد أثبتنا في دراستنا للنص انعدام البنية فيه بتعلقها بالسياق - أي الانتفاضة/ "الحلم" - وهنا، نجد أن التوقعات التي يثيرها لدينا اتحاد الكتاب في المقدمة لا تجد لها اثباتا لدى قراءتنا للنص، فتسقط المقولة الثانية، أي مقولة "انقلاب معايير .. الشكل"

٣- ونصل الى مقولة أخرى متعلقة بمنتجة النص هذه المرة، التي يصفها اتحاد الكتاب في مقدمته بانها كسرت الحواجز الثلاث: الاجتماعي والسياسي والكتابة. ولنأخذ كل منها لوحده، مستعينين بالنص، لنرى الى أي حد كان اتحاد الكتاب أمينا في رسم توقعاتنا لها حول هذه القضية.

كسر الحاجز الاجتماعي: وتثير لدينا هذه المقولة مفاهيم حول قدرة الانسان على الامتداد تجاه الآخرين دون خوف أو تردد. وقد كان من أبرز سمات السياق الآني للشعب الفلسطيني كسر الحواجز الاجتماعية بين الناس في هذا السياق، أي امتداد الناس كل تجاه الآخر/ ين، فهل يثير النص لدينا صورة لامرأة كسرت الحاجز الاجتماعي؟

للأسف، ما نراه في هذا النص يري النقيض المطلق لمقولة كسر الحاجز الاجتماعي التي تذكرها المقدمة لدى الكاتبة، بل ان ابرز ما في شخصية الرواية هو الغربة المطلقة التي نراها تعيشها من خلال النص الذي انتجته. ونجد ملامح هذه الغربة في:

١- التطابق الكامل ما بين الكاتبة والراوية(٣٤) من جهة - فالكاتبة تستعمل، عبر "الحكاية" ضمير المتكلم في الاشارة الى الراوية -، والانفصال الكبير ما بين الرواية والكيانات الانسانية التي تلتقي بها في السجون، فهي ليست معنية بالامتداد اليهن واقامة علاقات معهن(ص ٤٦)، وتجدهن لا أكثر من "رفقة مسلية"(٦٠) وتشير اليهن ،وهي معهن داخل السجن باسم الاشارة الدال على البعد "تلك الأخوات"(٦٠).

٢- عدم نمو شخصية الراوية/ الكاتبة من خلال تجربتها المقدمة في النص، والانسان لا ينمو الا بالفعل وبعلاقاته مع الآخرين، فنراها في عزلتها في الصفحة الأولى "أنا أجلس في انتظار .. "(٢٣) ونراها في عزلتها في آخر النص "تتبعثر خواطري عند بحر بلا روح"(٨٢).

٣- احساس الراوية/ الكاتبة بعزلتها الاجتماعية وانغلاقها على ذاتها، والأمثلة على ذلك تملأ النص: "التقي فيها مع ذاتي"(٣١)، "الانفراد بذاتي"(٣٢)، "مراقب صامت .. أصمت .. أصمت .."(٤٥)، "أسكن داخلي"(٥١)، "بقيت أياما ساكنة ظلي"(٦٤)، "أبحث عن ذاتي"(٦٥)، "سلاسل عزلتي"(٦٩)، "الجسد السجين"(٧٨) .. الخ. وتصل هذه العزلة الاجتماعية في لحظات الى حد النرجسية: "الانفراد بذاتي .. أسرد عليها خواطري .. نهيم معا .. تتراكم سحب نرجسية"(٣٣).

كسر الحاجز السياسي: اذا كان النص هو مصدرنا للتقييم - وهو كذلك - فان هذه المقولة المعطاة لنا في المقدمة حول الكاتبة أيضا لا نجد لها اثباتا في النص. فنحن:

١- لا نجد في النص أية اشارة، ولو من بعيد - للسبب الذي اعتقلت الراوية من أجله.

Digitized by Birzeit University Library

٢- لا يقدم لنا النص الراوية/ الكاتبة انسانه داخل الفعل - والعمل السياسي هو، قبل كل شيء، فعل من أجل التغيير على المستوى العام، فجميع صيغ الأفعال المستعملة هي صيغ فعل اما للحاضر اللازمني أو للماضي الساكن، ولا يعبر أي منها على الفعل، أي على شكل لكيان سياسي فاعل.

٣- لا تقدم لنا الكاتبة ملا مح الصراع مع الجهة التي اعتقلتها، وفي الاشارة لهم، نراها تستعمل ضمير الغائب غير المحدد: "رايتهم يلتفون حولي أقزاما .. تحركهم .. يشعرون .. يستطيعون"(٢٥) .. الخ. وحتى عندما تذكر حالة صراعية/ كفاحية واحدة (الاضراب) نراها تذكرها في سطر واحد(٣٩) معبرة بذلك عن هامشيتها.

٤- كما ذكرنا أعلاه، لا نرى الراوية/ الكاتبة قادرة على الامتداد للآخرين، والسياسة هي الفعل الجماعي من أجل التغيير.

كسر حاجز الكتابة: أود هنا التفريق بين الكتابة والنشر. اذ لا أظن أن المرأة لا تكتب، فهي تكتب لأن لديها الكثير ليقال. ولكن المرأة لا تنشر كتاباتها، باعتبار النشر هو وضع الذات في الاجتماعي/ السياسي، وهذا ما لم تملك المرأة، حتى الآن، تاريخا له، ويبدو أن السياق الآني للشعب الفلسطيني - ووجود مؤسسة تشجع هذه الكتابات وتنشرها - يبدو ان هذان العاملان قد ساهما في كسر حاجز النشر لدى المرأة/ الكاتبة. وبقدر ما نرى ايجابية في هذا الفعل، بقدر ما نأمل أن تتجه الكتابات - التي سوف تنشر - لارتباط أكثر بأهداف المؤسسة الناشرة، هذه الأهداف التي هي جزء من السياق الآني/ الانتفاضة، وان يكون لهذه المؤسسة دورها في دفع الكتابات هذه تجاه أهدافها، في مراحل ما قبل تبنيها اياها للنشر.

IV الخلاصة: لقد بينا في الدراسة أعلاه العلاقة ما بين انتاج النصوص واستقبالها باعتبارها عمليات بناء لحظية يقوم بها منتج النص كما يقوم بها مستقبلو النص، ويكون النص هو وسيط عملية البناء ما بينهم هذه. كما بينا أهمية بنية النص في التعبير عن سياقه، وفي العلاقة ما بين الراوي، ونصه ومستقبل نصه، ورأينا كيف أنه، عندما لا تعبر بنية النص عن هذه العلاقة، فان النص بأكمله يتضعضع، وربما ينهار.

كذلك بينا العلاقة بين كل ما هو لغوي في الكتاب: غلافه ومقدمته ونصه، ورأينا ماذا يحدث عندما يقدم الكتاب مقولة ما، يرسم بها توقعاتنا ثم لا نجد لهذه التوقعات مكانا في النص، أو نجد نقيضها، وقد أشرت في ذلك الى أهم مباديء الفعل الحواري اللغوي وهو التعاون. وبدا واضحا ان مبدأ التعاون ما بين منتج النص وناشره من جهة، وقراءه - أو قارئه المتفحص - من جهة أخرى، لم يتحقق.

آملة أن تساهم دراستي المتواضعة هذه في العمل على مزيد من التعاون ما بين منتجي النصوص والناشر (اتحاد الكتاب، هنا) من جهة، وما بين مستقبليه من جهة أخرى، في المستقبل المرئي.

الهوامش

Digitized by Birzeit University Library

1 - Grice, H.P. Logic & Conversation in syntax & Semantics, vol. 3. Academic Press. 1979

2 - Petofi, J.S. A Formal Semiotic Text Theory as an Integrated Theory of Natural Language. in Wolfgang Dressler. Current Trends in Textlinguistics. Walter de Gruyter. 1978.

3 - Rumelhart, D. Introduction to Human Information Processing. New York: Wiley. 1977.

٤ - ويشار اليها أيضا ب Macro Studies، انظر

4 - Van Dijk, T.A. Text & Context: Explorations in the Semantics & Pragmatics of Discourse. Longman 1980. pp.130 ff.

5 - de Beagrande R. & W. Dressler. Introduction to Text Linguistics. Longman. 1986. pp.98 ff.

٦ - المرجع ٤ أعلاه

6 - Jameson, F. Marxism & Form. Princeton University Press. 1974. pp.409.

انظر أيضا لوسيان جولدمان/ المرجع رقم(١٠).

٨ - يمنى العيد. الراوي: الموقع والشكل. مؤسسة الأبحاث العربية. ١٩٨٦. ص ١٣-٢٠.

٩ - المرجع رقم ٧، ص ٤٠٣.

10- Goldman, L. The Hidden God. London. 1964.

١١- العبارة مأخوذة من عنوان كتاب د. عبد الله الغذامي: تشريح النص. دار الطليعة ١٩٨٧.

12- Fox, Ralph. The Novel & the People. 1937.

13- Lukacs, G. The Evolution of the Modern Drama. 1909. in Terry Iagleton: Marxism & Literory Criticism. Univ. of California Press. 1976. p.21.

14- Gallas, Helga. George Lucasc & the Leagune of Revolutionary Proletarian Writers. Working Papers in Cultural Studies. in Eagleton. p. 33-34.

15- Eagleton, T. Marxism & Literary Criticism. Univ. of California Press. 1976. p.26ff.

١٦- المصدر رقم(٥) أعلاه، ص ٣٩.

17- Tannen, Deborah. Whats in a Frame? Surface Evidence for Underlying Expectations. in New Directions in Discourse Processing. Vol.II: Advances in Discourse Processing. Roy O. Freedle(ed). Ablex. 1979. pp. 137 ff.

١٨- المصدر أعلاه.

19- Abrams.m.H. Glossary of Literary Terms. 4th ed. Rinehart & Winston. 1981. p.176.

٢٠- المرجع رقم(٥)، ص ٥١.

21- Websters New World Dictionary. 1978. p.426.

٢٢- السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية. دار الكتب العلمية ١٣٥٤ هـ ص.٧٧.

Digitized by Birzeit University Library

٢٣- المرجع السابق ص ٢٦٨-٢٦٩.

٢٤- المعجم الوسيط القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٦٠، ص٩٤٠.

25- Chafe, W.L. Language and Memory. In Language 49. 1973. pp. 261 ff.

٢٦- المصدر رقم(٥) ص٣٦.

٢٧- راجع منشورات الأطر النسوية المختلفة.

٢٨- مروه، حسين، الموقف الثوري في الأدب، منشورات الفكر العربي.

٢٩- المصدر رقم(٥) ص١٤٧،٢٠٢.

٣٠- د. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٥.

٣١- انظر هذه البنية في مجموعة مدن الملح لعبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٥.

٣٢- المصدر رقم(٥) ص٥١.

٣٣- المصدر رقم(١٥) ص٣٥.

٣٤- انظر العلاقة ما بين الراوي والنص لدى يمنى العيد، الراوي: الموقع والشكل.

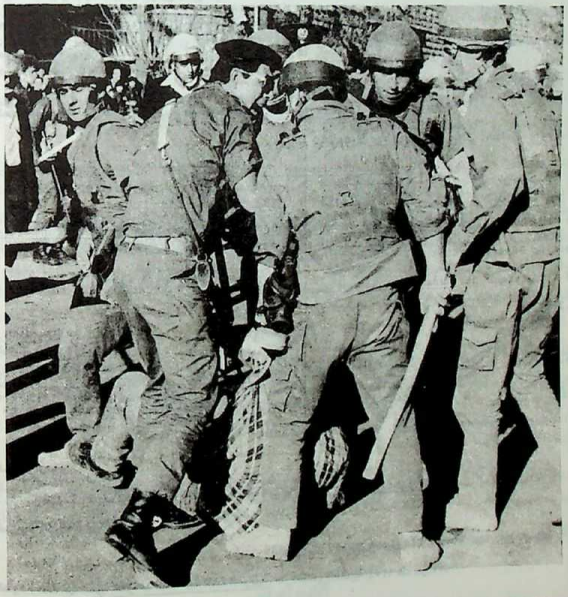

Digitized by Birzeit University Library

تكريم المبدعين

من كتاب المناطق المحتلة

بحضور عدد كبير من الكتاب والمثقفين والمهتمين، أقام إتحاد الكتاب الفلسطينيين يوم الاربعاء ٢١/٢/١٩٩٠، مهرجانا إحتفاليا، أعلن فيه عن نتائج المسابقة الأدبية، التي كان نظمها، على إسم شهداء الثقافة الفلسطينية غسان كنفاني، عبد الرحيم محمود، ماجد أبو شرار، في الرواية، والشعر، والقصة القصيرة.

افتتح المهرجان، بكلمة رئيس الهيئة الادارية الشاعر المتوكل طه، الذي نوه بأهمية إنعقاد هذا المهرجان، في ظل الانتفاضة، ودعا الى التمسك بالثقافة الوطنية وتعزيز وحدة الحركة الأدبية.

ثم تلاه الشاعر علي الخليلي، مندوبا عن لجنة الشعر - المؤلفة من الدكتور عبد اللطيف البرغوثي، والدكتور سمير شحادة بالاضافة الى الشاعر الخليلي، حيث أعلن نتائج مسابقة الشعر، والتي فاز فيها بالجائزة الأولى مناصفة كل من الشاعرين المتوكل طه وعبد الناصر صالح، وبالجائزة الثانية مناصفة أيضا كل من الشاعرين وسيم الكردي وعيسى بشاره، وبالجائزة الثالثة الشاعر المعتقل محمود الغرباوي.

كما أعلن الدكتور محمود العطشان مندوبا عن لجنة الرواية المؤلفة من إبراهيم جوهر وصبحي الشحروري، بالاضافة إلى الدكتور العطشان، نتائج مسابقة الرواية، حيث فاز بالمرتبة الثانية مناصفة كل من صافي صافي، وأسعد الأسعد، بالمرتبة الثالثة، جمال بنورة، وكانت لجنة الرواية، حجبت الجائزة الأولى، لعدم استحقاق أي من الروايات المتقدمة لنيلها، حسبما ارتأى أعضاء اللجنة.

كما قام محمد البطراوي مندوبا عن لجنة القصة القصيرة المؤلفة من الدكتور ابراهيم العلم، والدكتور عادل أبو عمشة بالاضافة الى البطراوي، بالاعلان عن نتائج مسابقة القصة، حيث فاز بالجائزة الأولى مناصفة، كل من زكي العيلة، وغريب عسقلاني، وبالثانية مناصفة أيضا كل من سامي الكيلاني وعزت الغزاوي، وبالثالثة محمد أيوب، وعمر حمش.

وبعد أن قام مندوبو لجان التحكيم، بتسليم الجوائز لمستحقيها، قدمت فرقة "سنابل" سكتشا تضمن نقدا لاذعا للشعراء. ومن ثم قام الأمين العام للاتحاد أسعد الأسعد، بتقديم كتب

Digitized by Birzeit University Library

الشكر والدروع للمبدعين بجوائز المسابقة والتي كانت على النحو التالي:

- جمعية الدراسات العربية	٥٠٠ دينار
- موسسة البيادر الصحفية	٥٠٠ دينار
- مؤسسة النورس (مجلة عبير)	٥٠٠ دينار
- المكتب الفلسطيني للصحافة	٥٠٠ دينار
- المحامي جميل الطريفي	٥٠٠ دينار
- المحامي علي غزلان	٣٠٠ دينار
- مكتب العرب للصحافة	٢٠٠ دينار
- جمعية الهلال الاحمر	٢٠٠ دينار
- السيد موسى فرعون	١٠٠ دينار

كما قام رئيس الاتحاد العام للكتاب العرب الشاعر سميح القاسم بتسليم عدد كبير لمن أصدروا كتبا ثقافية خلال العامين المنصرمين، دروع التكريم، بعد أن ألقى كلمة ثمن فيها عاليا دور الثقافة في حياة الشعب الفلسطيني

وقد ألقى الشعراء سميح فرج، وابراهيم قراعين، وجمال سلسع قصائد وطنية ، كما قدم الفنان أحمد ابو سلعوم وصلة غنائية.

جدير بالذكر أن الكاتب ابراهيم جوهر، كان عريف المهرجان.

من ناحية ثانية، قرر الاتحاد تكريس هذه المسابقة سنويا، مع الأخذ بعين الاعتبار جملة الملاحظات والمنزلقات التي واكبت المسابقة، سواء في تنظيمها، أو في مسألة التحكيم ، على أن يتم تشكيل هذه اللجان في وقت مبكر، حيث من المقرر إقرارها في إجتماع الهيئة الادارية يوم الثاني من آذار الجاري، وتوسيع دائرة المسابقة، لتشمل أدب الأطفال، والكتابة المسرحية، والنقد الأدبي.

هذا وقدمت الهيئة الادارية، درع الاتحاد، لرئيس الاتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين الشاعر سميح القاسم، تقديرا لجهودهم ودورهم في السعي لتوحيد الحركة الأدبية في المناطق المحتلة.

Digitized by Birzeit University Library

قدماً نحو دفع حركتنا المسرحية الى الامام

وليد عبد السلام

تعاني الحركة المسرحية الفلسطينية في الاراضي المحتلة الكثير من الاشكالات التي تحول دون تطورها وتقدمها. ومن ضمن هذه الاشكالات غياب النقد العلمي والموضوعي المواكب لمسيرة الحركة المسرحية، والذي يعمل على تقييمها وتوجيهها، بهدف دفع سقف الابداع الفني وتعميق المضامين الفكرية التقدمية في الاعمال المسرحية المقدمة.

وفي ظل هذا الغياب تنبري بعض الاقلام، التي يعتقد أصحابها، أنهم يعون مهمة النقد، ويمتلكون ادواته ومفاهيمه، ظانين أن النقد الادبي بشكل عام، مهنة مقدور عليها، فيتعرضون للاعمال المسرحية " بالنقد " الذي غالبا ما يكون بعيدا عن الموضوعية والعلمية، وتعبيرا عن مزاج ذاتي وانطباعات شخصية. أحيانا يهدف التمجيد بالعمل او ذاك الفنان،بغض النظر عما يقدمون شكلا ومضمونا، ناهيك عن القرار المسبق المتخذ ضمنا، من قبل هؤلاء بعدم بذل أي جهد مهما كان بسيطا، بحثا عن الحقيقة، بدافع الكسل أحيانا، والاستخفاف بالقارىء احيانا أخرى، أو بدافع الاحساس بأنهم " أبو العرّيف " ليسوا بحاجة لاكتساب معارف جديدة، والامثلة على ذلك كثيرة، ولكنني سأكتفي بذكر بعض منها:-

× كتب الاخ محمد صبيح ذات يوم، وعلى صفحات صحيفة النهار، مقالا نقديا تحليليا لمسرحية " موتى بلا قبور ". ودون الخوض في هذا النقد واستيعاب الزميل للمسرحية، ارغب في التعقيب على ما ورد في موقع منها ، حيث اشار الى أن المسرحية، قد قدمت وجوها جديدة على خشبة المسرح الفلسطيني المحلي، وهي:- خلف أمير طه ووليد عبد السلام. علما بأن خلف أمير طه مسرحي قديم، قدم اعمالا من خلال مجموعة البيرة الاولى وسرية رام الله الاولى، بالاضافة الى كونه عضوا اساسيا في فرقة صندوق العجب. أما وليد عبد السلام، فقد مارس العمل المسرحي منذالعام ١٩٧٠ وحتى هذه اللحظة، وتوج موهبته بحصوله على شهادة البكالوريوس في

Digitized by Birzeit University Library

التمثيل والاخراج المسرحي، بالاضافة الى مشاركته في أكثر من خمسين عملا فنيا، تمثيلا، وكتابة واخراجا وموسيقى، سواء في اطار المسرح الفلسطيني أو العربي او في الاذاعات ومحطات التلفاز العربي.

× سعدي يونس، هو اسم مستعار لأحد المعاصرين للحركة الادبية والفنية. وقد كتب مقالا نقديا لمسرحية موتى بلا قبور، فانه عند " تحليل " شخصيات المسرحية الوقوف عند أهم الشخصيات المحورية في المسرحية وهي شخصية " هنري ". والسؤال الذي يفرض نفسه هنا " كيف يمكن أن تتولد القناعة لدى القارىء بأن الزميل سعدي قد وضع مخططا علميا للخوض في عملية النقد والتحليل، وقام بدراسته بشكل جيد في البحث عن مصادر تعينه على انجاز هذا العمل؟".

على العموم، يمكنني اعتبار ما اشرت اليه أعلاه، اساءات او مغالطات غير مقصودة. أما ما لا يمكن القبول به أو تبريره، فهو تلك المغالطات التاريخية المقصودة، التي تكتب بوعي ولاغراض ما في نفس كاتبها. ولعل خير دليل على ذلك، مقالة الزميل احمد ابو سلعوم، التي نشرت على صفحات مجلة الهدف الفلسطينية، واعادت مجلة " الكاتب " المقدسية نشرها. اذ انه كما يقولون - غلطة الشاطر بعشرة، فأحمد أبو سلعوم أحد المعاصرين للحركة المسرحية، فما قولكم لو ارتكب هذا الشاطر جملة من الاغلاط دفعة واحدة. لقد استفزتني مقالته، وبدأت معها افكر في الطريقة التي أصيح بها بصوت عالي .. اذ أن الكثير الكثير مما ورد فيها ليس صحيحا على الاطلاق .. ثم جاءت مبادرة الزميل خالد بطراوي لفتح ملف للحوار حول المقالة على صفحات الكاتب، وكانت خير وسيلة لأن يقول كل ما لديه، وبصوت عال، تأكيدا على أن المسرح ليس القضية التي لا صاحب لها، وانما هو وليد شرعي لجهد وفكر العشرات من الأباء الحريصين كل الحرص عليه وعلى الذود عنه. وان كان من المفيد أن أكتب لاحقا موضوعا متكاملا حول تاريخ الحركة المسرحية الفلسطينية، لكنني سأكتفي الان بالرد على مقاله أبو سلعوم.

باديء ذي بدء، أرغب في الاشارة الى أن المقالة تفتقد لوجهة نظر مستندة الى منهج واساس علمي. ولا تخرج عن كونها أفكار وآراء مبعثرة هنا وهناك، خالية من أي تسلسل منطقي مقبول. وعليه سأجد نفسي مضطرا لاستخدام أسلوب البعثرة والقفزات ذاته، وسأقوم بوضع ملاحظات على هذه المقالة، على شكل نقاط، راجيا أن تساهم هذه الملاحظات في تلمس الحقيقة:-

أولا:- اتفق والزميل أبو سلعوم على مقدمة الموضوع والتي تناولها على عجالة تحتاج الى مزيد من التفاصيل في مجال أخر، الا انني لم اتمكن من تحديد مقصد الزميل بوابل المسرحيات التي امطرتها بلديه تيدي كوليك، وفي تصوري أن هذا أمر بحاجة الى توضيح اكثر. أما الجملة الاولى التي استوقفتني فهي " وقد تميزت معظم اعمال هذه الفرق المسرحية بالمباشرة والخطابية اذ طرقت الموضوع الوطني بشكل معتمد على الكلمة الحماسية" (ص ٧٣) ثم وفي موضوع آخر يقول:

"في الوقت ذاته برزت مجموعة مسرحية في منطقة رام الله تحمل اسم دبابيس وكأنها باسلوبها الجديد الملتزم بمثابة دبابيس للبلالين الذين أخذت ميول معظمهم لخدمة" الفن فقط " تغلب على طابعهم مما ادى بالتالي الى تفسخها الى "بلالين" و "بلا - لين".

في اعتقادي، فان التحليل والنتيجة هنا لا يجانبان الحقيقة. وكثيرا من الفرق التي ذكرها أبو سلعوم، قد ساهمت في وضع الاسس للمسرح الفلسطيني وبذلت جهودا مضنية من أجل بلورة ملامح هذا المسرح الفلسطيني الأصيل، وقدمت أعمالا ابعد ما تكون عن المباشرة والخطابية،

Digitized by Birzeit University Library

بل وعلى النقيض من ذلك، فهناك اعمالا كثيرة تميزت برمزيتها وعمق مضمونها ومستواها الفني، والتي اعتبرت من الاعمال المتميزة ليس على مستوى الضفة الغربية فحسب وانما على مستوى العالم العربي، وخير دليل على ذلك مسرحيات " العتمة " " قطعة حياة " " نشرة احوال الجو " " تع تخرفك يا صاحبي " " خروف ونص ونص خروف " " الحق عالحق ".

ثم أين الميول لخدمة الفن فقط التي تحدث عنها أبو سلعوم. وهل يقصد بذلك أن تطوير الاسلوب الفني لا يمكن أن يتم الا على حساب المضمون؟ وفي أي عمل من اعمال فرقة بلالين كان الشكل مغيبا للمضمون. بتصوري انه لو عايش الزميل أحمد تلك المرحلة بزخمها الجماهيري والابداعي لترحم على تلك الفترة الذهبية من عمر المسرح الفلسطيني ولكف عن الوقوف متعاليا يشير اليها بسبابته كمن يشير الى موطن للوباء. ولعلم الزميل أبو سلعوم فان مقولة " فرقة دبابيس وجدت لتنفيس فرقة بلالين " فما كان ذلك الا دعابة " مزحة " أطلقها أعضاء فرقة بلالين أنفسهم فهل أضحت هذه الدعابة تاريخا ومسببا لانشاء فرقة دبابيس؟ وأما بالنسبة لتفسخ فرقة بلالين، فقد جاء نتيجة لخلاف فكري عميق، وعلى الرغم من نتائجة الانشقاقية الا أننا نعتبره ظاهرة صحية في تاريخ المسرح الفلسطيني. وبتصوري انه لو عاد الزميل أبو سلعوم الى تفاصيل وحيثيات الواقعة، سيكتب عندها رأيا مغايرا لما كتبه.

ثانيا:- ورد في مقاله أبو سلعوم مادحا فرقته بقوله

" ..... واسسوا المسرح الشعبي " سنابل " وقدموا رائعة الشهيد غسان كنفاني " عائد الى حيفا " في مسرحية بعنوان الانسان قضية والتي أخرجها أحمد أبو سلعوم ولاقت رواجا لم تحظ به مسرحية حتى الان ...." (ص ٧٤، ٧٥).

لست بصدد الحديث حول المستوى الفني للمسرحية المذكورة، ولن اتعرض الى خطابيتها وهتافيتها ولعبها بالعواطف بطريقة خرجت معها عن النص الاصلي وتماسكه، وسافترض أنها كانت عملا جيدا ومتميزا، ولكن، علينا يا أحمد أن لا نغالي في هذه الجودة، ونتعامى عن رؤية أعمال كثيرة أكثر جودة من " الانسان قضية " ولا يحق لك ايها الزميل أبو سلعوم اطلاق احكام مطلقة دون الاستناد الى الاسباب والأدلة الموضوعيه لها.

واذا كان ابو سلعوم يدعى بأن "الانسان قضية" قد حظيت باهتمام لم تحظ به مسرحية حتى الان، فانني أرغب في ايراد وذكر، بعض الاعمال المسرحية التي يعلم بها أبو سلعوم تمام العلم، ويسترجع بنفسه مدى الاهتمام الذي حظيت به، ومن هذه المسرحيات :

- العتمة، نشرة احوال الجو، تع تخرفك يا صاحبي، وجميعها لفرقة بلالين.
- خروف ونص ونص خروف لمسرح الكشكول.
- المغتربان، موتى بلا قبور لفرقة الورشة الفنية.
- الحق عالحق، دائرة الخوف الضبابية لفرقة دبابيس.
- حكاية الصلاة الأخرى، تمثيل الفنان يوسف أبو ورده.
- لما انجنينا لفرقة صندوق العجب وغيرها الكثير الكثير.

ثالثا:- ورد في مقاله أبو سلعوم:-

" في عام ١٩٨٤م عاود المسرحي أحمد أبو سلعوم اتصالاته برفاق دربه مثل حسام أبو عيشه، والذى قام بتحقيق عدة مسرحيات داخل المعتقلات الاسرائيلية حيث قضى ثلاث سنوات ... " (ص ٧٤).

بأعتقادي أن ما ورد أعلاه، ما هو الا استخفاف بالقراء وتتعامل معهم وكأنهم

Digitized by Birzeit University Library

قادمون من كوكب آخر. لقد ذاق عشرات الالاف من ابناء شعبنا مرارة وعذاب السجون، ويعرفون ظروفها جيدا، ولم يتحدث أي منهم عن عروض مسرحية مثلت داخل السجون. ان تاريخ الحركة الاسيرة لم ينتج - حسب علمي - نصا مسرحيا واحدا، كما لم يصلنا أية معلومات حول مسرحيات عرضت داخل السجون، في حين وصلنا العديد من اللوحات الفنية والاشعار والقصص والابحاث والكراسات النظرية.

رابعا:- وتحت عنوان " أين تقف الحركة المسرحية الان " كتب الزميل أبو سلعوم :

"هناك مدرستان في المسرح الفلسطيني المحلي، مدرسة " الفن للفن " .... ومدرسة " الفن في سبيل التغيير للافضل " ... ويتزعم المدرسة الاولى " الحكواتي " ولها تأثيراتها على انتاج الورشة الفنية " أما المدرسة الثانية فيتبوأ مركز صدارتها الان " المسرح الشعبي سنابل" والذي يلقى احترام الاوساط الجماهيرية والفعاليات المختلفة، اضف الى ذلك احترام الفرق المسرحية والفنية له خاصه فرقة المسرح الفلسطيني النشطة في هذا المجال ..." (ص ٧٥)

أولا:- من نصب فرقه المسرح الشعبي لتبوأ مركز الصدارة، هذا اذا ما افترضنا أن تقسيم الفرق الى مدرستين - كما فعل ابو سلعوم - صحيحا؟؟

ثانيا:- ان مسألة جماهيرية الفرقة وحظيانها بالاحترام، مسألة تتأتى عبر تراكم الاعمال الجادة وتميزها، ومن خلال مشاركه الفرقة في المهرجان وحصولها على الجوائز المختلفة، ومن خلال اثرائها للحياة المسرحية بالابحاث والدراسات وتنظيمها لورشات عمل في مختلف جوانب المسرح، ثم وبتجسيدها للتراث الشعبي الفلسطيني في اعمالها وكذلك بالمضمون والافكار التي تطرحها والمحفزة على التغيير نحو الأفضل.

بتصوري، أن ذلك كله، يشكل شواهدا على جماهيرية الفرقة وتميز وضعها، وليس حديث الفرقة عن نفسها أو شهادة فرقة المسرح الفلسطيني لها، مع كل الاحترام للمسرح الفلسطيني: لا أريد بذلك القول أن فرقة المسرح الشعبي سنابل تفتقد للجماهيرية واحترام الجمهور لها وإنما اردت توضيح اسس الجماهيرية والاحترام، وهو الطريق الذي لم تسلكه الفرقة - حسب اعتقادي - علما بأن آخر أعمالها " ناطرين فرج " عرض قبل ثلاث سنوات ونيف.

خامسا:- يبدو أن مفهوم مدرسة "الفن للفن" غير واضح للزميل أبو سلعوم. فحركة الفن للفن - حركة مرتبطة بالرومانسية، ولدت في المجتمع الرأسمالي بعد انتهاء مرحلته الثورية. وجاء مولد هذه الحركة مصاحبا لمولد الحركة الواقعية الرامية الى استكشاف المجتمع ونقد عيوبه واخطائه. ان صرخة الفن للفن هي ايضا احتجاج على الموقف التقدمي الصارخ والاهتمامات العملية الكئيبة للرأسمالية. وقد نشأت نتيجة لتصميم الفنان على أن لا ينتج سلعا في عالم أصبح كل ما فيه سلعة للبيع.

فأين الفرق التي تعمل وفق هذا المفهوم، يا أبا سلعوم؟ اما اذا كان مفهومك بأن الاهتمام بالجوانب الفنية في العمل المسرحي هو تطبيق لمفهوم الفن للفن، فأنك مخطيء للغاية. كما وانني لا ارى واقع الحركة المسرحية كذلك، وانما يوجد لكل فرقة موقفها، سلبا كان أم ايجابا، ثوريا تقدميا أم رجعيا. الاول يدفع بالجماهير الى الامام والثاني يشدها الى الخلف، هذا له دورة الفاعل في عملية التغيير وذاك له دورة في تهميش طاقات الجماهير واشعارها بالضعف والاحباط والهزيمه ... اذن ... فالمسألة مسألة موقف فكري يا أبا سلعوم.

سادسا:- وبعد التمجيد بفرقة المسرح

Digitized by Birzeit University Library

الشعبي وبشخصه الكريم، ينتقل الزميل أبو سلعوم الى مرحلة اطلاق العظات والعبر، وينهي مواعظه بجملة فظيعة، لم يقلها شكسبير، ولا ابسن ولا ستانسلافسكي، اذ يقول أبو سلعوم:- " ولتكن في مسرحية " ناطرين فرج " عبرة .. حيث كان المضمون ثوريا بلا خطابة .. وكان الاسلوب واضحا بدون شعارات ومباشرة وكان النجاح كبيرا .. فأين مسرحية " كفر شما " من تلك التي قلصت قضيتنا الى ذكرى .. "

ولكن .. ما الذي حشر كفر شما هنا؟ .. وما سبب هذه المقارنة المنفصلة؟ .. وبماذا استفاد وخرج منها القارىء؟ وبتصوري أنه لا داعي للرد والتعليق.

سابعا:- ينتقل الزميل أحمد الى عنوان كبير أخر هو المسرح العبري، ويتناسى الحديث حول المسرح الفلسطيني في الداخل، ونتفاجأ بأنه يستعرض فرقا حكومية تدعمها مؤسسات السلطات الاسرائيلية، بدلا من الحديث عن المسرح الفلسطيني في الداخل، ، والذي نشأ منذ العام ١٩٦٣. ثم ينتقل أبو سلعوم للتحديث وبفرح بالغ الى اعتراف بعض الفنانين المسرحيين ممن شاهدوا اعمالنا المسرحية، بوجود طاقات جيدة لدينا.

باعتقادي أن أبو سلعوم قد فشل ولم يكن موفقا عند تطرقه لهذا الموضوع وذلك لجهله به، وكان الأجدر أن لا يتطرق اليه البته.

ثامنا:- ينهي أبو سلعوم مقالته بمجموعة من الاستنتاجات - التي لا تمت بصله لما قبلها - فيشير الى أن فرقة المسرح الشعبي سنابل تتمتع بشعبيه تفوق الفرق الأخرى بشكل واضح، ثم القول بأن مسرح سنابل عرض في العام ١٩٨٧ قرابة ال ٨٦ عرضا مسرحيا. ولو كان الأمر كذلك، ولو كانت اعمالنا المسرحية تحظى بهذا الكم الهائل من العروض، لتركنا اعمالنا وبيوتنا وركضنا مهرولين خلف المسرح نمسك بذيوله كي يطعمنا سمنا وعسلا، حيث أنه واذا ما اجرينا عملية حساب بسيطة وافترضنا أن دخل كل عرض يبلغ مائة دينار فان سنابل قد جنت ثمانية الاف وستمائة دينار، فلنقل نصف المبلغ - علما بأن تكلفة انتاج ناطرين فرج قد تم تغطيتها - فكيف علينا تقبل بكاء وشكوى أبو سلعوم في موقع آخر من أن المسرح يفتقد الى مقوماته المالية ولا يطعم خبزا، وهنا ينطبق المثل القائل " احترنا يا قرعه من وين نبوسك ".

باختصار، قمت بمراجعة ملفات المركز الثقافي بحثا عن العروض الخارجية للفرقه، وتبين لي أن عددها سواء داخل البلاد أو خارجها لا يتجاوز الخمسة وثلاثين عرضا. وأنني اتقدم من الزميل أبو سلعوم طالبا توثيق ادعائة وتحديد عدد العروض بالوثائق والتاريخ والموقع، آملا أن يكون رقمه صحيحا، يشد من عزيمتنا وآمالنا.

تاسعا:- هناك اخطاء أخرى متفرقة وردت في مقاله أبو سلعوم. كأن يذكر أن فرقة النجوم قد ظهرت في اواخر السبعينات، والحقيقة أنها انشأت اوائل السبعينات واسسها المخرج حاتم الدجاني وقدمت " طبيب رغم انفه " لموليير " و " اخدمني وانا سيدك " عن فرافير يوسف ادريس و "مومس تؤلف كتابا ".

وبعد

ان ما ورد أعلاه، مجرد ملاحظات، هدفها اثارة جدل حول قضية المسرح والعمل على توثيق تاريخه ونشره. كما أن مقالتي ما هي الا محاولة للتصدى لتزييف تاريخ المسرح الفلسطيني وتجييره لصالح مجموعة معنية. وفي النهاية، فأنني اعتقد أنه على رابطة المسرحيين تقع مهمة اولى تتجسد في العمل على اصدار دراسة حول تاريخ المسرح الفلسطيني بالتعاون مع اتحاد الكتاب. كما أن هذه المداخلة ما هي الا

Digitized by Birzeit University Library

مساهمة في بلورة فكرة الزميل خالد بطراوي، والذي آمل أن تكون بداية لمداخلات ومقالات أخرى تتضمن قضايا معرفية تغني تجربتنا وثقافتنا. وتدفع بحركتنا المسرحية الى الامام.

" وتستمر الحياة "
مجموعة قصصية للكاتب الفلسطيني يعقوب الاطرش.

عن منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة والقطاع صدرت مجموعة قصصية بعنوان " وتستمر الحياة " للقاص يعقوب الاطرش من مدينة بيت ساحور.

تقع المجموعة في (١٥٢) صفحة من القطع المتوسط وتضم سبع عشرة قصة قصيرة تندرج عبر حقبة طويلة من الزمن تزيد على ثلاثين عاما، من ١٩٥٦ حتى ١٩٨٧.

" كف حمدان "
مجموعة حكايات جديدة للاطفال لسامية الخليلي

عن منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين في القدس صدرت للأديبة سامية الخليلي مجموعة حكايات جديدة للأطفال تحت عنوان " كف حمدان " جاءت في ٩٢ صفحة من القطع الكبير.

تشتمل المجموعة الجديدة على خمس عشرة حكاية سبق للمؤلفة سامية الخليلي نشرها في الصحف المحلية، وبعضها تم نشره في الصحف والمجلات العربية الصادرة في الخارج.

أزهار الى مقبرة المخيم
مجموعة قصصية للكاتب عمر حمّش

كما صدرت للكاتب عمر حمّش مجموعة قصصية تحت عنوان " أزهار إلى مقبرة المخيم " وتقع المجموعة في ١٠٩ صفحات من القطع الصغير، وتضم المجموعة إحدى عشرة قصة. صمم غلاف المجموعة الفنان محمد العاوور.

حمامة عسقلان
وحسن عبد الله

صدر عن دار الآداب - الناصرة مجموعة قصص وخواطر أدبية بعنوان " حمامة عسقلان ". تقع المجموعة في ٨٨ صفحة من القطع المتوسط وتضم ١٥ قصة وخاطرة. وصمم الغلاف والرسومات الداخلية الفنان غسان.

Digitized by Birzeit University Library

الى أكرم المالكي...

فسر ما يلي؟؟

وسيم الكردي

نشر الفنان المسرحي "اكرم المالكي" في العدد الماضي من مجلة الكاتب مقالة تحت عنوان "الفن أداة للتغيير.. وليس للتدمير" في محاولة منه لتصويب بعض المغالطات التي رآها في مقالة الفنان المسرحي "احمد ابو سلعوم" التي حملت عنوان "ملاحظات حول الوضع الراهن للمسرح في المناطق المحتلة. وكانت قد نشرت هذه المقالة في مجلة الهدف واعادت "الكاتب نشرها في العدد ١١٧ حيث دعت الى فتح حوار حول ما جاء في تلك المقالة من أجل "اعادة الامور الى نصابها".

وفي سياق قراءتي لمقالة "المالكي" لفت انتباهي بعض الاراء التي تضمنتها وتحديدا تلك التي تتحدث في موضوعي "الفن للفن" و"الفن الشعبي" وكنت متيقنا من قراءتي لهذه الاراء في مكان ما آخر، فنشطت ذاكرتي وسرعان ما تناولت كتاب "ضرورة الفن" للكاتب النمساوي "أرنست فيشر"× اعتقادا مني باحتواء الكتاب لتلك الاراء وكان الاعتقاد في محله. وهنا اريد الاشارة الى أمور ثلاثة:

الأول: أن "المالكي" لم يشر في مقالته الى المصدر الذي استقى منه هذه الافكار والأراء، كما جرت العادة والأصول العلمية عند كل اقباس حرفي أو معاد الصياغة.

الثاني: أن "المالكي" قد نشر هذه الاراء بصورة شبه حرفية واحيانا بصورة مشوهة حيث شطب بعض العبارات الاصلية الضرورية في سياقها. كما انه حاول اجراء تغيير شكلي في بعض النصوص كاستخدامه لكلمة "رومانسية" بدلا من "رومنطيقية" المثبتة في النص المرجعي.

الثالث : عندما اقتبس "المالكي" عبارة "الفن أعظم من التاريخ" ارجعها الى مصدرها، "ارسطو" فلماذا لم يلتزم بذلك في نصوص "أرنست فيشر".

× (ضرورة الفن) ارنست فيشر، دار الحقيقة - بيروت - ترجمة الى العربية ميشال سليمان.

Digitized by Birzeit University Library

وحتى اترك متسعا لرأي القارىء للاستنتاج ولتاكيد ما ذهبت اليه آنفا. سأورد نصوص المالكي "المعدلة" "فالأصلية" ذاكرا الصفحات التي وردت فيها، وبالتأكيد سيكون هناك متسعا ليقدم المالكي حجة أرجو أن تكون مقنعة.

النصوص:

١) نص "معدل":

"ان قراءتنا لتاريخ الفن تقودنا الى أن حركة الفن للفن والتي كانت ذات الصلة الوثيقة بالحركة الرومانسية قد نشأت في العالم البرجوازي الما بعد ثوري وأن هذا الموقف الذي تبناه الشاعر الفرنسي "بودلبير" كان صرخة احتجاج ضد النفعية التافهة وضد الاهتمامات السطحية والتجارية للبرجوازية في عالم اصبح كل شيء فيه سلعة حتى الفنان ونتاجه، "الكاتب" صفحة ٨٢ العدد ١١٨

نص أصلي:

كانت حركة "الفن للفن L'art Pour L'art" من الحركات ذات الصلة بالرومنطيقية. فقد نشأت في العالم البرجوازي الما بعد الثوري، جنبا الى جنب مع الحركة الواقعية التي كان هدفها استكشاف المجتمع ونقده. وحركة "الفن للفن" (الموقف الذي تبناه بودلير، الشاعر العظيم الذي يعتبر واقعيا في أعماقه) هي ايضا احتجاج ضد النفعية التافهة، وضد الاهتمامات السطحية والتجارية للبرجوازية. وقد نشأت من تصميم الفنان على الا ينتج بضائع في عالم أصبح ما فيه بضاعة للبيع" "ضرورة الفن" صفحة ٨٢.

٢) نص "معدل":

"ان شعار الفن للفن هو محاولة وهمية للتفلت الفردي من العالم البرجوازي، ..." الكاتب صفحة ٨٢ العدد ١١٨

نص أصلي: ".. نحن نجد في شعار الفن للفن المحاولة الوهمية للتفلت الفردي من العالم البرجوازي" "ضرورة الفن" صفحة ٧٥.

٣) نص "معدل":

"ان مفهوم الفن الشعبي أو "الفولكلور" كما يسميه البعض مصطلح صاغته الحركة الرومانسية في بحثها عن الوحدة الضائعة وفي احتجاجها ضد الاستلاب الرأسمالي. وقد حاولت البحث عن ذلك في الاغاني الشعبية وانطلقت من الشعب كوحدة متجانسة وهنا يكمن الخلل، فالشعب ليس وحدة متجانسة بل طبقات متصارعة ذات مصالح مختلفة "الكاتب صفحة ٨٢ العدد ١١٨.

نص أصلي: "صاغت الرومنطيقية (لا الرومنطيقية الألمانية وحسب، بل الرومنطيقية اجمالا) مفهوم "الفولكلور"، و "الفن الشعبي L'art Populaire، الذي يشكل عنصرا من أهم عناصرها، ففي بحثها عن الوحدة الضائعة، وعن تأليف الشخصية والجماعة، وفي احتجاجها ضد الاستلاب الرأسمالي، اكتشفت الرومنطيقية الاغاني الشعبية، والفن الشعبي، والفولكلور، ونادت بها بلا مواربة، انجيلا "للشعب" باعتبارها وحدة متجانسة، ومتطورة عضويا. وهذا المفهوم الرومنطيقي للشعب، المنظور اليه بوصفه جوهرا خارج الانقسامات الطبقية، وأبعد منها، ومزودا بروح شعبية خلاقة بشكل جماعي، لم يكف عن احداث بلبلة حتى يومنا هذا..." ضرورة الفن ص ٧٦

Digitized by Birzeit University Library

ب) نص "معدل":

"واذا تعمقنا في النتاج الشعبي نرى ذلك واضحا ففي فترة صعود الطبقة العاملة اصبح (المارسليز والنشيد الاممي) وكذلك اشعار بريخت هي الاغاني الشعبية لهذه الطبقة ان مفهوم الشعب المتجانس المزود بروح شعبية هو مفهوم رومانسي وهو مجرد وهم ذي مغزى رجعي" الكاتب صفحة ٨٢ العدد ١١٨

نص أصلي: "وقد نشأت من الحركات الثورية أغان شعبية" جديدة (المارسليز، والنشيد الاممي وأناشيد الانصار في نضالهم من أجل الحرية). والاغاني التي كتبها برتولد برشت، وهانز ايسلر قد اصبحت الاغاني الشعبية الجديدة للطبقة العاملة الثورية. ان "الشعب" المتجانس، المزود "بروح شعبية" خلاقة بشكل عجيب، هو مفهوم رومنطيقي في العالم الرأسمالي..... ان المغزى المثالي الذي أضفاه الرومنطيقيون الالمان على "الشعب" لم يكن مجرد وهم؛ بل كان مغزى رجعيا في نتائجه.

أرجو أن يوضع ما سبق في اطار "اعادة الآمور الى نصابها " ليس الا واسمحوا لي أخيرا أن استعير من "المالكي" عبارة وردت في مقالته:

"ان تزوير الحقائق الحياتية والتاريخية وكذلك الفنية او محاولة تشويهها والغاء دور الأخرين ومساهماتهم لهو نزعة فردية انانية هدامة يترفع عنها أي فنان صادق مع ذاته وفنه ويريد أن يقدم فنا تقدميا وثوريا".

١٩٩٠/٢/١١

ماذا يفعلون هناك..؟!

الجزائر - أ.ف.ب - ذكرت صحيفة " المساء " الجزائرية (٢/٥) أن سبعة عشر جزائريا قتلوا في أفغانستان وهم يقاتلون الى جانب المجاهدين الافغان.

وقالت الصحيفة أن ٩٩ مواطنا عربيا - ٣٠ سعوديا و ٢٥ مصريا وعشرة فلسطينيين وعشرة يمنيين وستة عراقيين وأربعة سوريين وثلاثة تونسيين وثلاثة ليبيين وثلاثة قطريين وكويتيان ومغربيان وسوداني واحد - قتلوا في أفغانستان وأضافت الصحيفة أنها علمت بهذا الامر عند عرض فلم فيديو في تلمسان غرب الجزائر.

واوضحت الصحيفة أن الفيلم عرض على هامش معرض حول الجهاد في أفغانستان نظمته الجمعية الاسلامية الموحدة في المركز الثقافي في المدينة بحضور تلاميذ وفتيان جاؤوا من الاحياء الشعبية.

وقالت الصحيفة أن المجندين الجدد بعد تطوعهم تتكفل بهم مراكز في تونس والسعودية وفرنسا وبريطانيا ومنها ينقلون الى أفغانستان.

وتحدثت الصحيفة عن كمال الدين - أبو زيد - الذي تخلى عن دراسته وباع كتبه ليحصل على المال اللازم لسفره الى أفغانستان. ومن تونس المرحلة الاولى من رحلته انتقل مع " جماعة التبليغ " الى الهند ثم الى باكستان قبل أن يصل الى بيشاور في بداية عام ١٩٨٩ وتوفي بعد ثمانية أشهر.

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

جسد الشهيد

بقلم الدكتور ابراهيم العلم.

- انظروا الى رأسه!

قال (راسم) في انبهار. فالتفت الشبان الى صديقهم القتيل .. اذ رأى رأسه يرتفع قليلا عن الأرض التي وسدوا جثته عليها ثم يعود مكانه، تماما مثلما كان يفعل وهو نائم، ردد (راسم) العبارة والدهشة ما تزال تومض في عينيه، وظهرت حدقتاه كأنهما تكادان تبرزان من محجريهما. ثم أردف:

- كان يمكن أن يعيش لو اكتفوا بالطلقة الاولى، ولكنهم أفرغوا في رأسه رصاص حقدهم حتى أيقنوا أنه فارق الحياة.

وتساءل الشبان كل بينه وبين نفسه:

- ماذا سنفعل الآن؟ فلا بد من أنهم سيرسلون في أثرنا دورية تلاحقنا ..

وما لبث راسم أن ثاب الى صوابه، فقال:

- لنوسده قرب هذه الصخرة ولنضع فوقه أغصانا كي نضلل الدورية اذا جاءت للبحث عنه .. أما نحن فينبغي أن نختفي قليلا في قاع هذا الوادي.

وما كادوا يبتعدون حتى قدمت ثلاث سيارات مدنية تحمل لوحات ذات لون أزرق لخداع الشبان، وترجل منها جنود. ثم راح الضابط يجيل منظاره في الحقول الواقعة أسفل الشارع. وتبادل معهم نظرات يائسة، فعادوا الى سياراتهم. فعقب ضابط الدورية بقوله:

- يختفون كالصراصير ولكنهم يهاجمون كالذئاب.

وقال جندي يقعد بجواره:

- وما أدرانا أنهم يستعدون لمهاجمتنا .. لقد كان من الخير أننا لم نهبط الوادي لملاحقتهم.

فتنفس الشبان الصعداء، وقال أحدهم وهو يجلس القرفصاء خلف صخرة ناتئة:

- لقد خشوا مواجهتنا والا لانتشروا في الكروم بحثا عنا.

وعقب راسم:

- انهم حذرون بالرغم من أنهم يملكون السلاح فما أحرانا أن نتعظ بسلوكهم ونحن عزل.

ثم جلسوا ينتظرون مجيء الشاب الذي أرسلوه كي يستوقف سيارة تنقل الشهيد الى قريته ،فما هي الا أن رجع وبادرهم قائلا في هدوء:

- ها هي سيارة الشحن بانتظارنا.

ثم تابع محتدا:

- هل تعلمون أن رجلا مرَّ بي ورفض المساعدة، ثم انطلق بسيارته الفارهة مسرعا وكأنه يهرب من داء معدا.

Digitized by Birzeit University Library

فتساءل أحد الشبان في مرارة:

- وبماذا اعتذر؟

- قال انه صاحب مصنع ويخشى أن يغلقوه.

فتدخل راسم بالقول:

- ستطاله يدنا يوما. ولا شك في أنه سيندم طويلا.

ثم انهمكوا في حمل الجثمان وراحوا يصعدون الكروم في بطء حتى انتهوا الى الشارع فرفعوه الى السيارة وأحاطوه بصناديق الخضار الفارغة للايهام بأنهم عائدون من سوق الخضار.

وحين كانت السيارة تسير في سرعة، نظر راسم الى وجه الشهيد بأسى وذكر قوله قبل أيام " اذا قتلت فأخفوا جسدي عنهم لئلا يلمسوه فتلحقني نجاسة ".

- ها نحن يا عصام نحمي جسدك الطاهر من أيديهم، ولن نمكنهم منه ونحن أحياء. لقد تحقق حلم البارحة وليته لم يطف بمنامي .. كنا أنا وأنت نسير في كرم نمت فيه أشجار التفاح، فتسلقت شجرة كي تقطف منها تفاحة. ولشد ما ذعرت وأنا أرى الشجرة تستطيل وأنت ترتفع معها حتى اختفيت عن ناظري .. كان حلما مزعجا غير أن استشهادك اليوم أوجع بكثير، ولكنهم لن يفلتوا من العقاب .. لن يفلتوا من العقاب ابدا.

بلغت السيارة القرية ثم انسابت في الدروب الترابية الضيقة، وتوقفت أمام منزل الشهيد. ترجل راسم واتجه أولا نحو الباب فرأى الأم تخرج منه وهي تحمل سلة خضراء من البلاستك، فحياها فردّت مرحبة، بيد أن وجهها امتقع شيئا وهي ترى خمسة شبان يمتطون السيارة، فانطلق لسانها بالسؤال " أين عصام؟ لماذا لم يأت معكم؟! " فابتسم في ألم وطلب اليها أن تسير معه قليلا في الدرب الذي يمتد امام المنزل، حتى اذا ابتعد عن السيارة أخبرها أنه جريح وأن أصابته خطرة .. فطفقت تصرخ مولولة وهي تردد القول:

- أين هو؟ أريد أن أراه .. لدي احساس أنه قتل ثم طامنت من انفعالها الشديد قبل أن تقول في صوت عال وهي تلهث لهاثا سريعا:

- أرجو أن تخبرني بالحقيقة حتى لو قتلوه .. بحق الله أخبرني، فان دمه فداء للوطن .. المهم ان تخبرني بالحقيقة.

فعاجلها قائلا:

- لقد ثأر منهم قبل أن يطلقوا عليه الرصاص .. يحق لك الآن أن تفخري به فقد مات بطلا .. ولكن ثقي يا أمي أن دمه لن يهدر أبدا ..

تطاير الخبر الحزين في كل حي من أحياء القرية وتسلل الى كل بيت كبرودة الشتاء .. فهرع الرجال والنساء الى منزل الشهيد:

- عظم الله أجركم.

قالها كل منهم للرجل الذي كان يقف الى جواره وعزت كل امرأة من كانت تجانبها .. وعلت الرايات السود المنازل الى جانب علم الوطن.

وفي احدى غرف البيت، جلست أمه بين المعزيات النادبات فطافت بعينيها صورته واستذكرت ما جرى له قبل خمسة أعوام " كان يجلس تحت (التوتة) بعدما كنس الارض من الأوراق الجافة وشرع يدرس، فانقض عليه ثلاثة جنود وسألوه، وهم يصيحون، عن شاب ركض من امامهم هاربا، فرد بالنفي وكان حقا لا يعلم فأوسعوه ضربا بالعصي. فهجمت عليهم ورحت أدافعهم عنه كانوا كالوحوش، ألقوني أرضا فأصيب كل جزء من جسدي بالرضوض ثم رجعوا من حيث أتوا .. وعزائي أنك انتقمت منهم يا عصام فقلبت (اللندرفر) بجنودها الثلاثة وربما كان أحدهم من الذين ضربوك."

وصاحت امرأة في دهشة:

أنظروا اليه، لقد فتح عينيه

فالتفتت النساء الى الجسد المسجى أمامهن بعيون جاحظة، فان الأمر يبدو معجزة ولا سيما

Digitized by Birzeit University Library

أن الميت شهيد على أنهن لم يرين ما أبصرت المرأة، فظهرت الخيبة على وجوههن ولكنهن لم ييأسن فيما يبدو، من أن المعجزة ربما تحققت ثانية فظلت أبصارهن مشدودة الى النعش

كان رأس الشهيد مواجها للنافذة الغربية الوحيدة في الغرفة مما سمح لأشعة الشمس أن تتدفق منها فغمرت وجهه فبدا ذا ألق ظاهر.

وتابعت المرأة:

- سبحان الله، حقا انه شهيد.

وعقبت امرأة تجلس قربها:

- ربما خيل اليك ذلك.

فصاحت في غضب:

- لست عمياء .. نعم رأيت عينيه تفتحان كومضة سريعة!

فتبادلت النساء نظرات تجمع بين الشك واليقين!

وقالت أمه من خلال الدموع:

- ان وجهه مورد وكأنه نائم .. ! خسارة شبابك يا ابني!

فهزت بعض النسوة رؤوسهن مؤيدات وقالت احداهن:

- حسرة على شبابه، كان يهز الأرض بقدميه كلما سار في الشارع.

ثم وجهت الأم حديثها الى خطيبته:

- كنا نعد العدة لاتمام زواجكما بعد شهرين .. حسرة .. لم يتركونا نفرح بكما.

فأغرقت الفتاة في البكاء بصوت مرتفع على حين كانت قبل قليل تبكي في صمت.

وانبرت امرأة تدلي بدلوها في الحوار:

- كنا نقول ان الشبان يتحرشون بهم ولكنهم حين ضربوا المرحوم (عصام) أيقنت أنهم هم الذين يتحرشون بنا أما الشبان فيردون مدافعين عن كرامتهم، لقد صدق ابني (عزيز) اذ قال لي" وهل تحرشنا بهم يوم جاءونا من أوروبا أو من روسيا وبنوا (كوبانية) قرب (بلدنا)؟ أو حين راحوا يضايقوننا، يقتلون أغنامنا ويحرقون مزروعاتنا ليلا، أو يوم هجمونا بقوة السلاح؟"

فهزت بعض النساء رؤوسهن موافقات والعبرات تقطر من المآقي في ألم.

وقالت خطيبته وهي تمسح دموعها:

غدا سنشعل الأرض تحت أقدامهم نحن البنات والنساء فتساءلت عجوز عن المناسبة اذ لم تعهد النسوة ينفردن بالتظاهر دون الرجال. فأجابتها:

غدا عيد المرأة العالمي يا خالتي.

وفي صبيحة اليوم التالي كانت ساحة القرية تعج بالنسوة على اختلاف أعمارهن، على حين التزم الرجال الوقوف في المؤخرة لحمايتهن من اعتداء الجنود. وارتفع الهتاف مع تقدمهن في الشارع الرئيسي باصوات حادة غاضبة رددت أصداءها الأودية التي تنحدر أسفل القرية.

وكانت أم الشهيد تتقدم التظاهرة بقدم بطيئة ثابتة وترفع علم الوطن. وخطيبته تتأبط ذراعها وترسل الهتافات فتستعيدها النسوة من بعدها، وكن كلما نظرن اليها تراءت لهن صورة عصام فيندفعن الى الأمام في حماسة وثقة.

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

حيطان من دم

- زكي العيلة -

جباليا

تحمل هم الدنيا فوق رأسك .. تحمل كل أوجاعها .. رأسك أثقل من حجر الطاحون .. لا تبريء نفسك.. لا تغفر لها ما حدث.. عن قصد أو غير قصد .. الذنب في النهاية ذنبك .. الخطأ خطأك .. مهما حاولت أن تختلق من مبررات .. مهما حاولت أن توجد من اعذار ..

لم تفكر للحظة أن ذلك قد يقع .. لم تضع في حساباتك ما قد يحصل .. درست المقدمات وتاهت منك أخطر النتائج والاسباب فرحتك بلمة الاولاد المنتظرة أنستك باقي الخيوط .. باقي التفاصيل .. جعلتك لا تنظر أبعد من باب الدار .. دار المخيم .. المائة متر .. على شارعين قريبة من المرافق العامة .. ترتفع الى ثلاث شقق .. ثلاثة طوابق ..

كل واحد من أولادك بحاجة الى شقة عندما يقررون الاستقرار هنا أن عاجلا أو آجلا .. غدا او بعد غد .. سنة أو سنتين عشرة سيأتي اليوم تلفظهم فيه مياه الخليج .. سيأتي اليوم الذي يكلون فيه من الغربة .. تشبع الغربة منهم .. تمتصهم .. وتقذفهم .. لماذا لم تبن العمارة من طابقين فقط .. شقتين .. بلاء أخف من بلاء .. مصيبة أهون من مصيبة .. لماذا لم تقتنع بشقة واحدة .. تكتفي بطابق واحد لا يعلو الاسطح المجاورة في قليل أو كثير طابق لا يلفت نظرهم لا يخدم هدفهم أو غرضهم .. لا يمنحهم فرصة غرس السكين في خاصرة المخيم وظهره .. لماذا الشقق وما فوق الشقق .. لماذا لم تترك دار المخيم على وضعها الاصلي .. تدع الامور تسير على طبيعتها .. وعندما يأتي الاولاد تترك لهم الجمل بما حمل .. يسوقونه كيفما شاءوا .. يدبرونه حسبما أرادوا ..

كل بقعة دم سالت في عمارتك .. طرزت حيطان واكتاف المخيم ضمادات وشهداء تغوص قطعا من صخر مسنون ينشر عظامك يصحنك الى فتافيت .. ذرات مخنوقة تنز دما وحرقة وغشاوة .. تطاردك بقع الدم .. أنت السبب .. أنت المسؤول .. أنت الذي أقمت أوتاد المشنقة .. جهزت كلاباتها المدببة ..

لم ترض لشراعك أن يمضي كباقي أشرعة الخلق .. كنت مستورا في دارك .. لم يخطر ببالك ما قد يحدث كنت مغرورا .. لم تكن الامور على مثل هذه الصورة لهفتك على اللمة المرتقبة غطت على ما عداها ..

مثلي مثلكم لا املك من العمارة شيئا منذ عام أو اكثر لا أتحكم فيها .. لم يمكنوني حتى من مجرد الاقتراب من الاسلاك والحواجز الاسمنتية التي تطوقها .. لو كان الأمر موكولا الي لجعلت أعلاها أسفلها .. عجنتها بالتراب .. ودفعتها بيدي للبحر .. ودفنتها تحت أمواجه ..

من كان يتوقع حدوث ذلك .. من كان يخمن بما سيجري .. لست أول من اسس دارا .. لست أول من شيد .. لم تفعل شيئا يختلف عما فعله الكثير من العباد لم ترتكب جرما .. لكنه السهم الذي انطلق يتشمم دارك .. يتنزى شهوة للدم ..

Digitized by Birzeit University Library

يتركك تنزف عمرا بأكمله .. دهرا بأكمله..

كل ليلة تمر بك تحس طوابق الدار .. درجاتها .. أفاع تتلوى حول عنقك .. تنهشك .. تقتلع أنفاسك .. تهب مفزوعا تبحث عن شيء تاه منك .. شيء غادرك .. حلم افتقدته..

.. عندما حضر أولادك آخر زيارة اكتشفت أن دار المخيم لم تعد تتسع بغرفها الضيقة لهم ولعيالهم .. لولا أن بساط الصيف واسع ما استطعت أن تستر وقتك ..

ترى هل ضاقت الغرف أم أن عدد الانفار قد اتسع وتمدد .. يقترحون عليك مساحة أوسع .. مساحة مناسبة يقيمون فوقها بناء كافيا يجمعهم عند المجيء ..

تدلهم على المساحة والمكان .. دار المخيم .. لا تكل من محاولات الاقناع .. مائة متر على شارعين قريبة من السوق والعيادة .. ملاصقة للمدارس .. طريق مواصلات .. نهدم الغرف .. نقيم فوقها المطلوب .. ليس من السهل مفارقة هذا المكان .. لا يمكن التفريط بجيرانك بعد هذا العمر الطويل .. العشرة لا تهون ببساطة .. أعوام طويلة بحلوها القليل ومرها الكثير .. اعوام طويلة ممتدة وحكايا البلد لا تفارق ذاكرة المخيم .. تتمنى لو تمتطي عمارة من عشرة طوابق .. عشرين .. تظل مفروزا أعلى السطح .. عيناك مزروعتان جهة الشمال .. تكتشف دار البلد .. المجدل .. البيادر المخطورة ..

تمضي الايام وانت مسمر فوق سطح طوابق عمارتك .. يرسل لك الاولاد تحويشة عمرهم .. دم الغربة وشقاءها .. ثلاثة طوابق .. ثلاث شقق فوق دار المخيم قادمون أن عاجلا أو آجلا ..

صقيع ينخر أوصالك .. برودة .. وحدة .. كآبة بعد المرحومة وزيجة البنات .. وغربة الابناء .. ستحاول اقناعهم .. تعمل كل جهدك .. تتوسل اليهم أن يظلوا حولك .. يملاون الدار عليك بأنفسهم واولادهم .. والعمل كثير .. وما يرسله نعمة وفضل ..

تظل ساهرا طول الليل .. عيناك على تحويشة أولادك .. شقاء عمرهم .. كل قرش منها تقابله قطرة عرق مجبولة بدم الغربة واوجاعها .. لن تفرط في تعبهم ببساطة .. لن تذهب نقطة منه بسهولة .. دون حساب أو متابعة .. ستحاول أن تلبس هيئة العارف بأمور البنيان .. تسأل عن أسعار الحديد تفاصل .. تركض وراء تجار الجير والاسمنت تنتقل من مخزن الى مخزن .. تستفسر عن أحوال الطوبار .. مواضيع الباطون ولوازمه .. قواعد الاسمنت .. الغزوز .. التسليح .. الخرسانة .. بيت الدرج .. البسطات ..المناور .. الخلاطة .. تطارد قلابات الرمل والحصمة وعربات الحجارة .. تجري وراء مهندس البلدية الخارطة التي يرسمها لا تعوقها الاختام .. ولا يعوقها التنفيذ .. كلما ترفع عمود الباطون .. سطح آخر .. طوف حجارة .. بسطة درج يرفع في داخلك أمل بقرب لمة الاولاد..

من دون الخلق اختار السهم عمارتك .. أصاب قلبك .. شقاء العمر ودم الغربة .. كنت مشغولا وقتها بحمل قوالب الطوب .. رفعها .. تجهيزها لقواطع الشقةالعلوية عندما دهمتك زمجرة لاسلكي .. عواء صغير .. قرقعة أحذية فوق الدرج ..يسقط القالب من يديك .. اخبرك البعض بعدها أنهم شاهدوا عدة جيبات عسكرية تقف أمام دارك .. أحد يشير باصبعه عدة مرات قبل أن يزيحوا ألواح الخشب التي تسد فراغ الباب ..

بندقية اثنتان .. عشرة .. غابة من الجنازير .. يصخب الدم في راسك تندفع .. تسبقهم الى مدخل السطح ..

تعرف مقصدهم .. تعرف ما يخبئونه .. فعلوها في أكثر من مكان .. أكثر من شارع وتجمع .. كنت تطرد من ذهنك في الايام الاخيرة كل وسوسة في هذا الموضوع .. تبعدها عن تفكيرك .. تستعين ببركات كل الاولياء .. تغلق المدخل بيديك .. تتحجر اصابعك فوق الحيطان

Digitized by Birzeit University Library

.. تواجههم بجسدك .. الى أين .. ماذا تريدون .. هذا بيت له حرمة .. له اصحاب .. اخرجوا.. يتكاثرون عليك .. رطن .. يدفعونك .. تكبو .. تنهض ثانية تسد المدخل .. تتيبس أصابعك فوق الحيطان .. يزقونك.. تتشبث .. تتدحرج .. ترتطم بقوالب الطوب المصفوفة في مدخل الطابق الثاني..

طائر أسود يغرز أظافره المعقوفة في كبدك .. تتشابك في رأسك الالوان .. طنين يصم الاذان .. تختلط الحيطان بالدرجات .. يختلط الغبار والطين بزبد شفتيك .. يختلط السطح بارضية الاسفلت ..

تهجم على حجر .. لا يطاوعك ذراعك .. سخونة حادة .. جمر يتقد .. يطقطق فيه .. يحتضنك الشباب .. ترفض أن تتزحزح .. ترجم بيدك الثانية أعلى ما يمكنك .. يرتد الحجر غبارا في حلقك .. تتعالى الهتافات .. تعهد أمواج الشاطىء .. تشتعل .. يشتعل رمل البحر يتدفق ساخنا.. يلعلع الرصاص .. تختلط رائحة دخان الاطارات الملتهبة بدخان قنابل الغاز .. لم تحسب حساب هذا اليوم .. لم يخطر في ذهنك وأنت تحمل الطوابق بوصة بوصة فوق ظهرك أن ذلك سيحدث في هذا يوم من الايام .. لم يدر بخاطرك أن خاتمة سن الرمل والاسمنت وملح العرق ستكون كذلك .. لم تتوقع ذلك .. غادرتك أبسط البديهيات .. يلاحقونك أيضا على دار المخيم .. لم تكفهم البلد ودار البلد .. يريدون سلب ما تبقى من عمرك ..

مصادرة دم أولادك النازف فوق ارصفة الغربة .. لم تهنأ بالدار .. لم يغادرك تعبها .. لم تتح لك فرصة أكمالها .. لا بلاط .. لا قصاره.. لا شبابيك .. لا ابواب .. ثلاثة طوابق من اعمدة وسطوح وبعض الحيطان فقط .. عظم ناشف غير مكسو .. عظم ينتظر التشطيب .. ينتظر الفرج من أولادك .. تتصل بهم أنهم سيحاولون تدبير الامر .. ارسال المد اللازم .. سيضغطون على أنفسهم .. الحمل ثقل .. أعطنا مهلة .. نسخة من الزمن .. عدة شهور ..

.. تتردد بين مساحات الدار .. تعلو الدرجات .. تتسارع دقات قلبك وأنت تتخيل لمة الاولاد .. كفكفات صغارهم .. يتقافزون في حجرك .. فوق كتفيك .. تحملهم على ظهرك .. تسير بهم على أربعتك من درجة الى درجة .. من بسطة الى بسطة.. من غرفة الى غرفة.. تتنطط بهم وهم يخزونك في خاصرتيك بأقدامهم الصغيرة .. يستحثونك .. يمضي الليل بطوله وعرضه وانت مزروع فوق السطح .. تود لو كنت خيط شعاع يسيل من تلك النجمة التي تطل عيونها على دار البلد المخطورة في المجدل ..

لا تبريء نفسك .. تلومها ليل نهار .. ينوء كاهلك بأعباء ذنب لم تقصده .. لم تخطط له .. عمارتك تختلف عن غيرها .. تمتاز عن سواها .. لا تدري أهي ميزة أم نقيصة .. طوابقك أعلى من سواها .. تتواسط قلب المخيم .. تمتطي أسطحه .. تتحكم في أزقته وشوارعه .. تتحكم في أطرافه .. يمكن أن تستكشف من فوقها حتى أسماك البحر .. صخوره .. طحالبه .. لنشاته المصلوبة .. عمارتك .. طوابقك .. الثلاثة .. برج المراقبة طاعون يوزع وباءه في كل اتجاه .. كاميرات تصوير .. أجهزة اتصال .. شاشات .. رصاص قنص .. أسيجة .. منظاهرهم المكبر يرسل اشارات تفصيلة: تسهيل مهام الدوريات الراجلة والمحمولة .. توجيههم الى مواطن الاشتعال .. مواطن التفجير .. المواطن التي تأبى أوامر حظر التجول المتصل .. عندما تهرب الدوريات من وجه القبضات وحجارتهم يتشمم الطائر الاسود الكامن اعلى عمارتك رائحة الدم يلعقها في انتشاء .. تتحول طوابقك الى سكين .. زنزانة تطرز أرضها وحيطانها بقع الدم فوار يتوزع في حدقتيك ملحا وغشاوة.. تفر من العيون الى العيون .. من الحيطان الى الحيطان

Digitized by Birzeit University Library

.. من الاسلاك الى الاسلاك .. يحملك البعض كل ذنوب الارض أخطاء الكون .. تداري وجهك عن الناس .. لا تغادر دار ابنتك الا عند الضرورة .. تدق بابك كلمات جارك "ابو جهاد" بين وقت وآخر.

لا تحمل نفسك يا ابو صالح فوق طاقتها .. ليس لك دخل مباشر بما حصل .. لست أول من أقام بناء ولن تكون الاخير .. لو لم يركبوا دارك لركبوا غيرها .. يفتشون عن طرق مختلفة .. دوامات لجز أنفاسنا .. اغراقنا .. منعنا من التفكير .. نحيبك لا يحل المشكلة .. لا يشكل الرد المناسب ..الرد المطلوب.

كنت منكمشا في مكانك .. دار ابنتك عندما انهمرت دقات على الباب تكاد تخلعه .. اصوات لاهثة:

أبو صالح .. أسرع .. اليهود تركوا العمارة .. فككوا أبراج المراقبة .. سحبوا الاسلاك الشائكة معهم ..

البركة في الشباب .. نغصوا عليهم عيشتهم .. نشفوا ريقهم .. لم يتركوهم يهنأوا دقيقة راحة .. تتجمد للحظات .. لم تميز الكلمات في البداية.. لم تستوعبها .. لم تدر أنك المقصود بها .. ترتعش أوصالك .. ترفع رأسك .. حجر الطاحون الممتد بطول أيام السنة أو يزيد .. تتشرب الكلمات حزنا في اعماقك .. لا تحس بنفسك .. لا تعي ما حدث .. تركض حافيا غير مبال .. عيونك تسبق خطواتك .. تقطع المسافة من التموين الى العمارة في وقت يعجز عن بلوغه الشباب .. لهاثه فوار متصل .. خوار لا يهتم بمداراته .. قلبه دقات متراكضة..

جموع تحيط بالعمارة .. هتافات أعلى الطوابق الثلاثة .. السطح .. برج المراقبة .. الطاعون .. الكلابات المدببة .. تتدافع فوق الدرجات .. تقفز من بسطة الى بسطة .. يسندك الشباب .. لا تدري كيف وصلت السطح .. بقع دم تكسو الحيطان .. تصبغ الارضية .. تختلط بنقط العرق المجبول بأوجاع الغربة ..

طائر أسود بأظافر معقوفة يمط عنقه .. شهوة لعق الدم تتنزى من أنحائه .. تمتد يدك تخطف فأسا من احد الشباب .. تهوى به فوق الحيطان فوق الاعمدة .. فوق الارضية .. فوق الدرجات .. عام أو يزيد وأنت تنتظر هذه الساعة .. هذه اللحظة .. لن تمنحهم فرصة أن يركبوا دارك ثانية ..

لن تسمح أن تتحول عمارتك الى سكين مرة أخرى ..

ستكون مهمتهم صعبة مستحيلة هذه المرة .. الايدي فؤوس .. مواسير .. مهدات حديدية .. يدكون كل بوصة في السطح .. يعجنونها .. تتساقط كتل الباطون .. أوتاد المشنقة .. تتعرى شبكة الاسياج تتسع الثغرة .. منه العوض وعليه العوض .. تتهادى الدرجات مخلفة غبارا وترابا خشنا في الحلق والعين .. ومن تتوه حساباتك .. مقدماتك ونتائجك .. جسمك يعود لوضعه الطبيعي حجر ثقيل ينزاح عن صدرك .. غشاوة تنزاح عن عينيك تعانق العيون كلها تعانقك العيون .. لمة الاولاد .. كفكفات الصغار .. اللنشات المخطورة .. رمل البحر .. الرد المطلوب .. يحملك الشباب فوق أعناقهم .. يدورون بك من درجة .. من بسطة الى بسطة .. هتافات .. فؤوس .. أعلام .. حشد لا ينتهي .. تتأمل الجهات .. تتسمر نظراتك في اتجاه محدد .. عيناه نجمتان لامعتان تستكشفان حيطان مخطورة ناحية الشمال ..

Digitized by Birzeit University Library

قصة قصيرة

حجارة على جبين الوطن ..! *

نبيل عوده - الناصره.

"١"

تفصل بيننا سنوات مشوهة بالقهر والضياع والعار.

هل يكون لكربنا فرج؟

هل يكون لحزننا نهاية؟

أدور في دوامة، تتراكم همومي فوق همومكم. أبتعد نحو الآتي وأبتعد .. وأكاد ألامس فرسان الغد، فتعود بي الهموم والمأسي وعواصف الحزن والخوف المستديم.

بلغت من العمر ما بلغت. لم تعد للسنين معان ومميزات، محنة طويلة مستمرة. ذابت فوارق الهموم في خضم الأيام الحزينة المشبعة بالعار والقهر.

ناشدت البحر أن يرسل أمواجا عالية. مسحت دموعي وما انكسرت. ناجيت الشمس، تمنيتها أن تصلينا بنار جهنم، فتحرق همومي وهمومكم.

وما انكسرت. بقيت شامخا وفي رأسي مشاعل نور وبيارق أمل، تحديت الآتي أن يأتي، تحديت الليل أن يستمر. صرخت في زوايا الأرض الأربع، نثرت همومي مع الريح، وعلقتها أوسمة للذكرى فوق هامات الصغار.

أجل الصغار.

تناثرت الهموم يوم أطلوا بعويلهم.

وكبرت الهموم يوم تعثروا لأول مرة، ليس لهم ما يخسروه. وليس لنا ما نخسره .. سوى الرحيل بين المآسي.

البستان يثمر، أجل يثمر. أخذت نفسا عميقا عميقا، ساحبا كل الهواء الى صدري، وطبعت قبلة على جبين حفيدي.

رأيت الآتي. رأيت المستقبل.

تشابكت الريح مع الأغصان. وتشابك الصغار مع العساكر. وكانت الأيام تفصلنا عن العار، ودوامة الحياة تدب، والصغار يمسحون العار عن جباهنا.

آه لو تجن موجة، فتضرب صدر المدينة.

راقبت الموج حقبة من الزمن أحسبها دهرا. تحديت الموج أن يمسح مدينتي مسحا، وتيقنت أن هذا من شدة الحب.

الأمواج تضرب وتضرب، وهدير البحر مهما يشتد لا يهز مدينتي. حبيبتي منذ اغتصبت ظلت ساكنة تنظر للبحر بحزن وشوق، حزن على ماض، وشوق للبحر أن يغسل العار الذي طالها غدرا.

ضاعت وضعنا. تاهت وتهنا. رأيت نفسي أرمي الشباك في البحر، فاختفت طفولتي وراء غشاوة الدموع ومرارة الذكرى وهموم الحاضر.

بقيت لنا غرسات تدب وتتعثر وتتصادم مع

* من المجموعة القصصية "يوميات الفلسطيني الذي لم يعد تائها" - تصدر قريبا.

Digitized by Birzeit University Library

العساكر.

غرساتنا ستكبر.

يوما ما ستكبر .. وسيكبر بها الوطن.

"٢"

يا خالده، امس مررت قرب البيت. جرى كل شيء كما في الأحلام، الا تصدقينني؟ أنا لم أجن يا خالده.

العمر؟

طز في العمر. أشعر نفسي أصغر بأربعين سنة. أكاد أعيش عمري مرتين.

رفضت كل هذه السنين أن أزور مدينتي. ولكني زرتها أخيرا يا خالده. اكراما لعيني حفيدي زرتها. رأيتها قد تغيرت. رائحتها تغيرت، شوارعها تغيرت، ناسها تغيروا. ولكن بحرها لم يتغير. أمواجه لم تتغير، ترابها لم يتغير، صارت حزينة يا خالده، تنتظر من يمسح دموعها. ليتني أعود صغيرا لأموت شهيدا على شواطئها. أنا أحبها يا خالده. ما بالك تنظرين الى بطرف عينيك. احبها كما لم أحب امرأة من قبل. ربما أكثر منك .. أجل أحبها أحبها أحبها.

العساكر؟

طز في العساكر. طز في الحياة بلا مدينتي. أنا لم أجن. كنت مجنونا أربعين سنة. الآن أنا عاقل. حفيدي سبقني الى العقل يوم قذف أول حجر بوجه العساكر، قذف خوفه. كسروا يده؟ طز في بطشهم. الآن لن يخافهم أكثر. حتى أنا لم أعد أخافهم يا خالده.

هل سمعتيني جيدا؟

أنا لم أعد أخاف يا خالده. أعطيني حجرا وسأريك كيف سأقذف به العساكر .. لولا هذا الظهر المتخشب لأنحنيت والتقطته بنفسي. طز في الشيخوخه، طز في الآم الظهر. لو عرفنا أن الحجارة تنفع، لرصفنا بها جبين الوطن، ولما انتظرنا أربعين سنة.

اصرخي يا خالده، اصرخي بأعلى صوتك. عاشت الحجارة. عاشت الحجارة يا خالده.

"٣"

أية شجون اعترتني ساعة وقفت أمام الدار؟

هل صرنا بحاجة الى دليل يقودنا للفرح؟

هل نسينا شكل الفرح الانساني؟

هل فقدنا الادراك الانساني، حتى نسينا معنى الفرح؟ الطفولة فرح. الذكرى فرح. الاحلام فرح. الحاضر مليء بالهموم والكوابيس التي تلغي الفرح. شعرت نفسي طفلا أمام الدار. أرى نفسي أتعشبق الحامضه. أحلق بالأحلام. أصل لأقصى الاشباع.

هل تذكرين الحامضه يا خالده؟

أنا لم أنسها، كانت تتوسط البستان، أغصانها مثقلة .. آه، البستان لم يعد بستانا، صار كراجا. لكن الدار كما هي. حجارتها هرمت قليلا، القرميد لم يعد أحمر. تكسوه طبقة من الغبار. الدرج تآكل قليلا. وقفت على الرصيف تخنقني العبرات والهواجس، حرت بين الفرح والبكاء. بكيت عبر ابتسامتي البلهاء وأنا التقي بداري بعد هذا العمر الطويل. وابتسمت عبر دموعي وأنا أعود الى الماضي، أتوه بالأزقة مع أترابي، القي شباك الصيد مع والدي، وأعود لشجوني وهمومي. عددت حجارة البيت حجرا حجرا .. مرة ومئتى وثلاث وأكثر .. حتى بلغ مني التعب أقصاه.

هل تصدقين؟

لوهلة انخبلت، فاذا أنا أركض نحو الدار صاعدا الدرج. لا أدري هل حقا ركضت أم توهمت ذلك؟ هل تهت في حلم جعلني أتصور ذلك؟ لا تنظري الي بعين الشك. أجل ركضت، هذا أكيد. عدت الى صباي .. مع أني لا أستطيع أن أخطو

Digitized by Birzeit University Library

خطوة بلا عكازتي.
ركضت فأوصدوا الباب دوني.
خواجا بشارب ممغوط حتى أسفل الذقن، نهرني وقال لي مجنون، انصرف من هنا .. أنا مجنون يا خالده؟
(وانفجر بالبكاء).

"٤"

يا خالده .. هاتي يدك واسنديني.
لا تسخري مني وتقولي اني صرت فيلسوفا. لو عرفت أن وقوفي أمام الدار سيطلق أفكاري من سجنها، ويعيد لرغباتي عنفوان الشباب، ويصعقني بالفرح المفقود، ويشعل في نفسي هذه الثورة، لزرت مدينتي منذ احتلونا من جديد. ولكن اليأس والحزن كانا جارفين، والضياع كان ثقيلا، والهموم فوق طاقة البشر.

هل تصدقين أن الحجر الذي قذفه حفيدي أخرجني من كهفي؟ كهف الضياع، كهف الشتات، كهف الرعب الذي يشل الارادة البشرية. لقد انقطعت شعرة معاوية يا خالده. قطعها الأطفال بحجارتهم المباركة. قطعوها بارادتهم وأخرجونا من جلدنا.

هل تصدقين أن الحجر هو نبي المستقبل؟

هل تصدقين أن الحجر هو بشارة الفرح الآتي؟

يوم طردني الخواجا ذو الشارب الممغوط حتى أسفل الذقن، فهمت ما يعني أن تكون غريبا في مدينتك. غريبا في وطنك. غريبا بين أهلك. غريبا أمام بحرك. غريبا أمام نفسك. غريبا أمام ماضيك وأمام حاضرك وأمام مستقبلك.

أنا الآن أفهم ما هي الغربة، وأعي معانيها، وأنوء بثقلها.

يا خالده، حفيدي فهمها أسرع مني ومنك.
فجاهر بالرفض.
قذف همومه حجارة.
وبالحجارة كون شخصيته، وأعلن عن نفسه.
أحفادنا هم المركب الذي يقودنا للشط.
هم المستقبل يا خالده.
اسمعيني زغرودتك يا خالده .. ها.
(وانفجر بالبكاء).

"٥"

وقفت غريبا أمام بيتي، وأمام عيني نشأت الأسئلة. في ذهني مرت أحلام اليقظة. حجارة بيتي كادت تحتضنني. أنا صاح يا خالده. أنا لا أهتور من الشيخوخة. كنت كالعاشق أمام الدار. كنت ولهانا أمام البحر .. بحري .. هنا ملعب صباي. هنا وطني يا خالده، البحر والمدينة والدار. أنا لا أعرف كيف يقتحمون الحزن والهموم. أنا لا أعرف كيف يرتفعون فوق المأساه. ولكن الفرح يجتاحني. أنا عاشق. أنا عاشق. أنا عاشق.

أناجي حجارة بيتي وأتمنى لو ألمسها. أتخيل البستان الذي كان. أرى فرش السمك البحري في الساحة وأمي تنظفه. أرى والدي يعالج شباكه ووجهه يتسع رضى وسعادة. أرى نفسي التقط حبات من شجرة الحامض التي اختفت .. بركان غضب يثور في نفسي. بمكان سعادة يهزني وأنا أرنو لحجارة الدار. بركان هموم يكاد يعصف بي ويرميني أرضا، بركان انبعاث وسعادة يجعلني أركض نحو الدار، بركان حقد وغضب يتملكني والخواجا يطردني صارخا بأني مجنون. وأصعب ما في الحقد العجز عن التعبير عنه. أتوه في براكيني المتناقضة، أمسح الدموع، وأدب عائدا لهذا القبر .. تفو.
(وأنفجر بالبكاء).

"٦"

أنا مجنون يا خالده.

Digitized by Birzeit University Library

الذي يحب داره مجنون يا خالده؟

الذي يحن لطفولته مجنون يا خالده؟

الحنين للماضي والسعاده والفرح جنون في هذا الزمن العجيب. الحب جنون يا خالده. البحث عن الدار جنون. البحث عن الجذور جنون. الحنين للبحر جنون. الحنين لرائحة الأهل جنون. الحنين والحب جنون.

الانسانية جنون؟! تفو يا زمن!

لتجز الامواج وتغرب صدر المدينه التي صيروها عاهره. لتعصف الرياح وتذروا مدينتي المسروقة للبحر .. عندها سأموت مطمئنا على شرفي.

أأنا مجنون يا خالده؟! تفو ..

(وانفجر بالبكاء).

"٧"

حفيدي اقتحم الحزن.

حفيدي اجتاز العار.

حفيدي يقذف همومه حجارة.

وأنا ألوك أحزاني في هذه المقبرة.

ليس لنا ما نخسره.

اجل يا خالده. المخيم مقبرة. وان خرجنا ليس لنا ما نخسره.

الموت بالرصاص أهون الف مرة.

ليس لنا ما نخسره.

خسرنا مستقبلنا. فهل نخاف على قبر؟

أعطني حجرا يا خالده.

سأخسر عاري ان كان لا بد من خسارة شيء.

سأخسر ندمي. سأخسر موتي الهادي. سأخسر العفونة والقهر. سأخسر الخوف والترقب المقيت لفرح لا يأتي.

حجرا يا خالده.

كل الأبناء والأحفاد مضوا. طلقوا راية النازحين وأشعلوا الاطارات. تعلموا تحدي العصي والحديد والرصاص بالحجارة. تعلموا تحدي الموت.

تعلموا الحياة.

يا خالده أعطيني حجرا ..

أعطيني حجرا

أعطيني حجر.

(وانتصب الشيخ واقفا).

□ الشرطة الاسرائيلية تقوم بتفتيش المواطنين بمدينة القدس.

Digitized by Birzeit University Library

شعر

نورية في التايغا

محمد الأسمر

أُحبكِ ..
وسأنساكِ
عندما .. تفارق الموجة بحرها
وتركب بحر البحار
وتفقد قارب النجاة
والحياة
وتغيب في القعر
تحتمي من العواصف
والبرق والرعد والمطر
والقصف
وتسكن ظلها،
سأنساك
عندما يأتي صائد الأمواج
صائد الأرواح
يبحث عن حياة / عنك وعني
يرمي شباكه
يخرجها .. دامعة
ممزقة
تنزف .. تعزف .. تذرف
تندب حظها،
احبك .. احبك / سأنساك
عندما يؤوب البحار ..
عند الغسق .. عند الشفق
بدون القارب والمجذاف والصنارة
ويتقاذف الشراع بين الموجة والموجة
وتجف الدمعة في المدمع .. تختنق
يذرفها .. يعتقها،
سأنساك
عندما تتغير الاتجاهات
وتبزغ الشمس من غرب أو شمال
أو تغيب عن الوطن
وتتوقف عقارب الساعة
أو تسير للخلف
ويقفز القلب من مكمنه
ويضل الطريق .. يهيم .. يهيم
يلوذ بمسجد كالكنيسة والكنيس
وينهره محتال
يحمل بين كفيه
شعاويذ من اساطير الأولين
ويلهو بحجارة من سجيل
وكما تقول أمي وكل الامهات
عندما يصعد الحمار المذنة
يبحث الكلمة .. ينطقها .. ينطقها
يتردد صداها بين التلال
ويخفت ..
يئن .. ينوح
وتسعفه الوطاويط
سأنساك حينها،
احبك .. سأنساك
ايتها النورية
عندما يتوقف قلبي /
عن الرقص على انغام ودندنات عشتها

Digitized by Birzeit University Library

منذ الطفولة
عندما يُزْهِرَ الملح .. يورق ويشبُّ
في البحر الميت
ويتوسط المتوسط
بين قلبي وقلبك
ونقطة العبور مقصلة لكل شراع وقارب
عندما يعود اليسوع
بطيبته ورايته البيضاء
أو اللابيضاء ..
وتثبت الرؤية نفسها.
سأنساك
عندما يتوقف نهر لينا عن الجريان
ويرفض السير في منعطفات التايغا
ويؤثر السير للوراء
أو يخترق الطرقات والبيوت
وينفذ من بين التلال
وتسقط صخرة العشاق من علٍ
وتبقى تتدحرج
ينتهي الصراخ والنواح
وتنسى أم ابنها.
احبك وسأنساك
عندما تنتحر التايغا ..
تحترق وتصبح رماد .. دخان
وتكتحل صبايا الحي بالجمر المتبقي
وتلتحف السواد
وتصبح أجمل .. أجمل
وتبقين انت النورية
أجمل بنات الحي
تلتحفينني
تعشقين التايغا والمتوسط والميت ولينا
وترقصين رقصة الموت
على ضفاف طبريا والبايكال
على لحن الرحيل من المنفى
وتسمعين آخر رنة للاجراس
ويهوي المؤذن،
ويختلط الحابل بالنابل ..
الصوت والدم والتراب والموت والأنين
وتطلقين آخر رصاصة في قلبي
فتقتلين
ودمعتك الأخيرة سأمسحها.
سأنساك
حينما تتحول كعبة العرب عن البيت الأبيض
وينطق الحجر الأسود
ويخاطب عَبَدَةَ الاصنام
انْ انتهى عهد الوثنية
ولكم آخر وردية .. دورية
تتقمصين .. انتِ..
شخص المسيح وموسى وأحمد الأمريكي
تمتطين براق الردة
وتمضين،
تعرّجين
بين الحرم والحرام
والأبيض والأسود
وتنطبق علينا ..
حينما تفقد السماء قواها.
فأنت المعجزة والاعجاز ..
أحبكِ .. و ..

Digitized by Birzeit University Library

شعر

العشق و الزاد و التعب

منير ابراهيم - رام الله

لك الليل
لا ليس لي
للنشيد المغنى بألم
للدم،
لاسرارنا السرية
واحلامنا الفاشلة
للقمر الضج منا
هناك
فأبدنا الضجر
همهمة، وسهر
دنا ملونة كالفراش.

× × ×

هناك افترشنا ..
كل ما لدينا من مواعيد.
كل ما كان يعرفه
من مسافات.
وكل ما كان يفهمه
من عباده.

× × ×

نحن لم نكتمل بعد
كنت علمتك الناي،
والغربة،
والنوم ..
بين زوايا الغرف
غناء العصافير
تحت وقود "أللحف".
نحن لم نمتثل بعد
لهونا لهونا المستحب
غفونا
ولما أفقنا
نعلنا القتل،
والجهل ..
حقد الطلقات
هدم المنازل
وعد التنازل هذا.
شكونا كثيرا
سألنا لماذا أكثر.
عبرنا الغرف وحدنا
دونما خوف بخوف
خرجنا الى مدن
لا تمل القبور
وتجعل من زادها
زبدها،
وتثور،
تثور،
تثور.

× × ×

لك الليل

Digitized by Birzeit University Library

يا امرأة البحر
ليس لي، أو لنا
سأذهب بوجهك ألني
تحت اللهب
لنطهوا دمنا المكربن
أجسادنا،
الشفاه المملة، والزاد

كل على نار المعده
بهذا، بهذا نبحر يا امرأة البحر
الى البداية (أول الخطوات)
نقتسم الحب
نهاجر متحدين
جسدا وروحا
الى العشق، والزاد، والتعب.

مطالع من انتولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام

توكيل عام ل " دار عربسك " من أبرز الكتاب والشعراء العرب لنشر وترجمة وتوزيع مؤلفاتهم في إسرائيل وفلسطين.

جاءنا من " دار عربسك " أن الاصدار القادم بعد " الرسائل " سيكون مختارات من الشعر الفلسطيني - قديمة وحديثة بدءا من كشاجم الرملي حتى يوسف الخطيب. قام بانتقاء المختارات والتقديم لها سميح القاسم. وقد تحقق هذا المشروع بالتعاون بين المؤلف ومنظمة اليونسكو. وستصدر هذه المختارات قريبا تحت عنوان: (مطالق من انتولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام).

ومن الجدير بالذكر أن دائرة الثقافة الفلسطينية كانت قد قررت نشر هذه الانتولوجيا في صحافتها باشراف الشاعر أحمد دحبور.

وهذا العمل هو الأول من نوعه في مجال التوثيق الثقافي الفلسطيني.

إضافة الى ذلك فقد تقرر أن تنشر الدار أعمالا جديدة للادباء والشعراء اميل حبيبي ومحمود درويش ومحمد نفاع وشكيب جهشان وعلي الخليلي وحنا إبراهيم ومحمد علي طه وآخرين.

هذا ومن الجدير ذكره أيضا حصول " دار عربسك " على توكيل عام من العديد من الكتاب والشعراء البارزين من جميع أنحاء العالم العربي لنشر مؤلفاتهم وترجمتها في اسرائيل وفلسطين تكون " دار عربسك " بموجب هذا التوكيل، صاحبة الحق الوحيدة في اسرائيل وفلسطين في نشر وطباعة وترجمة وتوزيع مؤلفاتهم.

ومن بين هؤلاء الكتاب والشعراء: الكاتب الجزائري الطاهر وطار والشاعر العراقي سعدي يوسف والكاتب اللبناني إلياس خوري الكاتب السوري سعد الله ونوس والكاتب والشاعر المغربي محمد بنيس ومن الفلسطينيين: جبرا إبراهيم جبرا وأحمد دحبور وليانة بدر ورشاد أبو شاور وتوفيق فياض وغسان زقطان ومريد البرغوثي وغيرهم.

Digitized by Birzeit University Library

ملحق

- ترابط النظامين والصراع الطبقي.
- الحظر على ممارسة المهنة " لا يزال ساري المفعول.
- من المذنب في مأساة البشرية؟
- السائدينية: طريق ديمقراطي نحو الاشتراكية.

Digitized by Birzeit University Library

منبر الحوار

ترابط النظامين والصراع الطبقي

ان العالم المعاصر يصبح اكثر تعقيدا وتناقضا. وتشتد نزعات التبعية المتبادلة بين الدول في المجتمع العالمي. فكيف تتناسب هذه العملية مع الصراع الطبقي؟ وأية تغيرات تجري في طابعه وطرقه؟ كرس لهذه الاسئلة حوار ننشر تسجيله. ويشارك في النقاش: فرانسيس كوهين مدير قسم دراسة الاشتراكية في معهد البحوث الماركسية (باريس) وعضو مكتب القسم السياسي الخارجي في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي، والبروفيسور غينادي تشيرنيكوف من العاملين في مجلة "قضايا السلم والاشتراكية".

تشيرنيكوف: من الهام جدا ان نفهم فهما عميقا جوهر التبعية المتبادلة المتزايدة بين النظامين العالميين وخاصة تأثير هذه التبعية في الحركات الاجتماعية. وهذه القضية تؤثر في كثير من جوانب التطور الاجتماعي والحياة الدولية ولها اهمية اساسية ترتبط بمصائر السلم والتقدم.

كوهين: انطلق من فكرة اساسية مثمرة جدا في المجالين النظري والعملي: **فعالم اليوم وحدة مترابطة ومتناقضة.** واضيف ان مفهوم الترابط او التبعية المتبادلة يمكن ان يوحي بخمول ما في التأثير المتبادل، والحديث ينبغي ان يدور، قبل كل شيء، حول التفاعل.

تشيرنيكوف: ثمة عدة عوامل تقع في اساس هذه النزعة، وبالدرجة الاولى، تطور القوى المنتجة، وخاصة الثورة العلمية التقنية. فهي تولد مستلزمات جديدة، ينبغي ان تتوفر في تنظيم الانتاج او في الانسان ذاته على حد سواء. وتظهر قضايا كثيرة مشتركة في النظامين.

كوهين: ان الظروف والخبرة التاريخية والبحث عن حلول لهذه المسائل المشتركة تختلف في البلدان المختلفة. والاستنتاجات هي في الوقت نفسه موضوع مباراة وتأثير متبادل: من الذي يقدم الحل الافضل؟ وثمة كذلك معضلات ذات اهمية عالمية لا يمكن حلها الا عن طريق التعاون. وهي معروفة جيدا: فبالدرجة الاولى حماية السلام، والقضاء على التفاوت في التطور، اذ لم يعد يمكن تحمله واصبح يثير الاضطراب، وحماية البيئة واستخدام الموارد الطبيعية بصورة عقلانية.

Digitized by Birzeit University Library

مرحلة تطور جديدة

تشيرنيكوف: تحت تأثير وحدة العالم وتوسع التعاون الدولي اخذت تظهر عناصر جديدة في كلا النظامين. فتطور الدول الرأسمالية، على سبيل المثال، يتأثر بوجود الاشتراكية تأثرا واضحا. فهل يمكن تفسير نشاط الدولة الاقتصادي الواسع في البلدان الرأسمالية بدون اخذ هذا العامل في الاعتبار؟ كثير من الاختصاصيين الغربيين المعروفين يعترفون باستخدام الخبرة الاشتراكية في برمجة الاقتصاد الرأسمالية. وحقائق الاشتراكية تحفز عمليات التكامل والسياسة الاجتماعية في الرأسمالية. كما ان نشوء هذه الظاهرة ذاتها، التي تدعى في الغرب الدولة "المسؤولة اجتماعيا"، يرتبط الى حد كبير بالمثال الاشتراكي.

كوهين: لقد اثرت الاشتراكية تأثيرا قويا في المعارك الطبقية في البلدان الرأسمالية. وحتى عندما يقدم الرأسماليون الى العاملين بعض الخيرات الاجتماعية فانهم لا يفعلون ذلك تلقائيا. وهكذا فان **المكتسبات الاجتماعية عندنا هي نتيجة تأثير** ثنائي: تأثير الشغيلة من الداخل والاشتراكية من الخارج.

تشيرنيكوف: اود ان اطرح مسألة يناقشها المجتمع العلمي اليوم مناقشة واسعة. هل تستطيع التبعية المتبادلة للعالم المعاصر ان تؤثر في سمات الرأسمالية الاساسية، وهي، على سبيل المثال، العسكرة والاستعمار الجديد؟

كوهين: وبتعبير اخر: هل الرأسمالية قادرة على تحقيق تحولات تؤدي الى تراجع سياسة الهيمنة والمجابهة امام نهج التعاون الدولي، وذلك مع استمرارها بوصفها مجتمع استغلال وتعسف.

لنأخذ مسألة العسكرة. فهي تتكون من عدة عناصر. هل اقتصاد السلام، مثلا، ممكن؟ هذه ليست مسألة نظرية فقط: فالمصانع العسكرية يجري اليوم تحويلها في الاتحاد السوفييتي واصبحت موضوع مناقشات سياسية حادة في فرنسا، مثلا.

اما وضع "العالم الثالث" فمن الواضح ان فكرة نزع السلاح والنظام الاقتصادي الدولي الجديد ليست شعارا فارغا. انها ضرورة ملحة تبرز في النضال ضد استغلال الشعوب والدول ومجموعات مثل حركة عدم الانحياز. ولا شك في ان هذا الشعار يستجيب لمصالح البلدان النامية التي تتحمل عبء دين كبير. ومن الواضح ان الامبريالية يمكن ان تجد مصلحتها ايضا في تحقيق فكرة النظام الاقتصادي الدولي الجديد (ولو بالتوصل الى استنتاج يفهمه كل دائن فهما جيدا: اذا كان المدين مفلسا فان سند القرض لا يساوي شيئا). وعلى اي حال اعتقد انه تحل مرحلة لا يستطيع الوعي العام فيها ان يسمح بان تضمن الطبقات المهيمنة في جزء من الكوكب ازدهارها وهيمنتها عن طريق نهب اكثرية البشرية.

واعتقد تماما انه اذا لم نكن نحن انصار الاشتراكية نؤمن بواقعية التحولات التي نطرحها فان سياستنا الموجهة نحو نزع السلاح واقامة نظام اقتصادي دولي جديد لن يكون لها مغزى. والهدف الرئيسي لنضالنا وتحالفاتنا مع القوى الاجتماعية الاخرى يكمن بالذات في تحقيق هذه الامكانات.

تشيرنيكوف: ان كثيرا من الكتاب في الغرب يتصورون ان البيريسترويكا السوفييتية هي عودة الى الانظمة الرأسمالية. وذلك عندما يتحدثون عن تأثير الرأسمالية في الاشتراكية.

كوهين: البعض يتمنى ذلك ويأخذ على الاتحاد السوفييتي انه لا يمضي بعيدا وسريعا كما ينبغي في هذا الطريق. واعتقد ان القضية تكمن في شيء اخر. فالاشتراكية تبدأ مرحلة جديدة من تطورها. في المرحلة الاولى كانت تدافع عن نفسها، كما كانوا يؤكدون. وكانت

Digitized by Birzeit University Library

الدولة تقوم بدور رئيسي، وكان كل شيء ممركزا. واستخدمت اساليب قسرية في الموقف من الطبقات الاجتماعية المخلوعة وعملاء العالم الخارجي المعادين الفعليين ولكن، ومع الاسف، استخدمت هذه الاساليب في الغالب ضد العملاء الوهميين ايضا. وانتم العلماء السوفييت تناقشون الان فيما بينكم وتحاولون تشخيص ما كان حتميا وما لم يكن كذلك، وما كان ضروريا وما كان غير مقبول. على كل حال ينبغي الاعتراف بانه على الرغم من الخسائر البشرية والذهنية والاخلاقية الهائلة استطاعت الاشتراكية حماية مكتسباتها الاجتماعية والانتصار على الفاشية وتكوين قدرة ثقافية واقتصادية كبيرة. ولكن النظام القائم اليوم لا يستطيع الاستفادة من هذه القدرة وينبغي تجديده جذريا.

تشيرنيكوف: تجري في الاتحاد السوفييتي مناقشات واسعة حول تاريخ مجتمعنا ودروسه ومهمات البيريسترويكا. بعض المشاركين في هذه المناقشات يريدون الاكتفاء بتغيير لون الواجهة وسد هذه النواقص او تلك. وثمة من يشكك بالاختيار الاشتراكي ذاته ويدعو عمليا الى التخلي عن اسسه الهامة مثل الملكية العامة لوسائل الانتاج والتخطيط. وبالطبع، نادرا ما تبرز هذه الاتجاهات بصورة صافية.

وانا، مثل علماء كثيرين اخرين، لا اؤيد هذه الاراء. حقا ان تاريخنا معقد ومتناقض. وهو مليء بصراع قاس. وقد تطلب تخلف البلاد ووضعها في العالم تشديد المركزية من اجل تحقيق التصنيع وتعزيز الدفاع. ولكن تثبيت سلطة الفرد وتضخم جهاز الدولة، الامر الذي ساعده على تطور البيروقراطية الشامل، لم يكونا حتميين البتة. فقد فقدت ملايين الارواح وضاعت قيم اجتماعية يصعب معرفة حجمها كميا. ولهذا فان الموقف المحافظ من البيريسترويكا، والذي يحاول تبرئة الماضي من حيث الجوهر، هو في الجوهر خطير جدا. ويؤكد حزبنا ان الجرائم التي ارتكبها ستالين والمحيطون به لا يمكن غفرانها او تبريرها.

الا انه لا يمكن قبول موقف مضاد ظاهريا. فالاشتراكية ما تزال واقعا حيا على الرغم من تشوهاته العميقة. فقد واصل الشغيلة بناء المجتمع الجديد في الثلاثينات ايضا. وهم بالذات الذين انقذوا الاشتراكية والبشرية كلها في المعركة ضد الفاشية.

وهكذا فالبيريسترويكا، من جهة، ليست تغييرا فوقيا، بل تحويلا ثوريا جذريا يشمل كل المستويات الاجتماعية من القاعدة الاقتصادية حتى المجال الروحي. ومن جهة اخرى، لا يدور الحديث حول التخلي عن الاشتراكية، بل بالعكس حول تطورها اللاحق. وليس من العبث ان يكون شعار البيريسترويكا "مزيدا من الاشتراكية، مزيدا من الديمقراطية".

كوهين: يمكنني القول ان البيريسترويكا تجري في وقت حرج ينبغي فيه ان تتحول الافكار والكلمات والقرارات الى اعمال لدى جميع فئات المجتمع.

الا انه ظهرت هنا، كما اعتقد، حلقة مفرغة من نوع فريد: فلكي نعبىء الناس ينبغي ان نجعلهم يشعرون بالنتائج الملموسة للتحولات الجارية في الحياة اليومية، ولكي تتحقق نتائج ملموسة ينبغي ان نعبىء الناس، والمخرج هو اشاعة الديمقراطية بالافعال وليس بالاقوال. ويبدو لي ان الكونفرنس التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفييتي قدم ضمانات معينة في هذا المجال.

تشيرنيكوف: اضافة الى ذلك لا يمكن رفض ما تحقق في البلدان الرأسمالية والابتعاد عما هو مفيد موضوعيا. ولنتذكر ان لينين غالبا ما كان يصر، على ضرورة استخدام الخبرة المكدسة في ظل الرأسمالية في روسيا السوفييتية الفتية. ومن

Digitized by Birzeit University Library

المؤسف انه في خلال عقود تكونت عوائق في هذا الطريق. والبيريسترويكا تضع حدا لانقطاع البلاد عن تطور العلم والثقافة العالميين.

ومن المفهوم ان الحديث لا يدور حول التقنية فقط. فنحن نستخدم، اكثر فاكثر، خبرة الغرب في تنظيم الانتاج والتوزيع والتجارة. وندرس اياته الاجتماعية السياسية ايضا. فعلى سبيل المثال، تعمل في الاتحاد السوفييتي الان عشرات الجمعيات المساهمة. ولا يستبعد انشاء بورصات مالية. ويجري استيعاب خبرة التعاونيات في الغرب كذلك، وخاصة في مجال الخدمات التي تخلفنا فيها جدا. ونحاول استخدام كل ذلك في سبيل تحفيز النمو عندنا. **بالطبع** مع الاحتفاظ خلال ذلك بالطابع الاشتراكي في الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والسياسية.

كوهين: من المناسب ان نسأل: ما الذي يمكن اعتباره اشتراكيا او غير اشتراكي، ورأسماليا او غير رأسمالي؟

تشيرنيكوف: يبدو ان الامر الرئيسي هو اسلوب استخدام هذا المنهج او ذاك ونتيجته النهائية وهدفه الاجتماعي.

كوهين: ان عددا من الاليات الاقتصادية وحتى السياسية التي اعدتها البشرية كانت خلال فترة طويلة تعتبر في حركتنا رأسمالية صرفا لان البرجوازية استخدمتها. وينبغي ان تستعيدها الاشتراكية. اما مخاوف الانزلاق الى الارضية الرأسمالية فيمكن ان تصبح عائقا عند اعداد وتنفيذ الاصلاحات الضرورية.

ولكن المقصود ليس تكرار ما مضى. ينبغي ان تبين الاشتراكية قدرتها على التقدم وحل القضايا الجديدة المعاصرة بدون ان تسمح بوجود البطالة واللامساواة ومع ضمان تحقيق صيغة "بيان الحزب الشيوعي" وهي: "... ان التطور الحر لكل فرد شرط التطور الحر للجميع".

اما الاليات التي تحدثتم عنها فيمكنني ان اضيف اليها علاقات السوق والتنافس. واتفق ان الاختلاف الرئيسي يكمن في هدف استخدامها النهائي. **فامام الاشتراكية ساحة نشاط عظيمة لا سابق لها، والخبرة الجديدة ستغير حتما وبصورة مفاجئة التصور عنها،** اذا لم تتقيد بالاستنساخ المبتذل لمنجزات الرأسمالية.

تشيرنيكوف: لدي ملاحظة: ان استخدام الخبرة الرأسمالية لا يعني مطلقا اي ارتداد في مجتمعنا. اذ يجري الحفاظ على الاساس الاقتصادي للاقتصاد الاشتراكي، وهو الملكية العامة لوسائل الانتاج في فروع الاقتصاد الرئيسية. ولكن اشكالها لا تبقى ثابتة، بالطبع، تحت تأثير عوامل كثيرة.

ان رغبتنا في تصفية الشكل الدولتي باغناء انواع الملكية الاشتراكية الاخرى لا يدل مطلقا على السعي الى نشر القطاع الخاص الرأسمالي. وبالعكس، يكمن الهدف في ضمان ارتباط اكثر فاعلية بين مصلحة الفرد والجماعة وبين حاجات المجتمع كله. فتوسيع الاستقلالية الاقتصادية والمالية في المؤسسات وانبعاث الحركة التعاونية (في احدى المقالات الاخيرة سمى لينين الاشتراكية نظام التعاونيين الحضاريين) والاشكال المختلفة للمقاولات وعلاقات التأجير وتطوير السوق الاشتراكية والعمل الفردي - كل هذا اساليب لانهاء اغتراب الشغيلة عن وسائل الانتاج وتحويلهم الى اسياد حقيقيين للاقتصاد الاشتراكي.

المصالح الطبقية والبشرية العامة

تشيرنيكوف: ان ترابط النظامين يؤدي الى تغيرات في العلاقات بينهما ايضا. والى التخلي عن الموقف القديم من التعايش بوصفه شكلا من اشكال الصراع الطبقي. وهذه العلاقات اليوم، اذا

Digitized by Birzeit University Library

تحدثنا عن المجال الدولي، تحددها، بالدرجة الاولى، قضية بقاء الجنس البشري. وهكذا فان **فكرة لينين حول اولوية مصالح التطور الاجتماعي تكتسب اهمية ومغزى جديدا.** فالمباراة السلمية والتعاون المتعدد الوجوه او "الابداع المشترك" (كما قال ميخائيل غورباتشوف في الامم المتحدة في كانون اول ١٩٨٨) ينبغي ان يضمنا حياة الحضارة العالمية ويسمحا في الوقت نفسه لكل شعب بان يختار طريقه الاجتماعي بنفسه.

كوهين: افترض ان هذه الاراء الجديدة تقوم على فكرتين اساسيتين تنطلقان من تحليل الوضع في العالم تحليلا عميقا وموضوعيا. فمن جهة، ان البقاء في حالة حرب غير ممكن، ولكن البشرية اقتربت من مرحلة اصبح فيها بناء عالم بلا حروب وبلا عنف افقا واقعيا. ومن جهة اخرى، ان التعايش السلمي بين النظامين الاجتماعيين الاقتصاديين عملية طويلة.

لقد تغيرت مفاهيم كثيرة، وكانوا يعتقدون خلال فترة طويلة ان انتصار الاشتراكية الكامل وحده سيضمن السلام الراسخ غير انه اتضح ان الاشتراكية لا يمكن ان تنتصر الا في ظروف السلام العالمي. وثمة شيء اخر: اذ يمكن استخدام طرق ديمقراطية سلمية للانتقال الى الاشتراكية. وعلى هذا تعتمد الاستراتيجية المتكاملة المتجددة تماما للحركات العمالية الثورية.

وليس لهذا، بالطبع، ما يجعله بالتصور التافه الذي يزعم ان السلام في الارض يتطلب الخضوع للرأسمالية.

تشيرنيكوف: نحن الشيوعيين ما نزال خصوما مبدئيين للاستغلال الرأسمالي. ولكننا مع ذلك ننظر الى العالم المعاصر بوصفه وحدة متكاملة، لهذا فاني اعتقد اننا يجب الا نضفي طابع الاطلاق على الموقف الطبقي. ففي السابق كنا غالبا ما نستخدم لونين فقط: الاسود عندما يدور الحديث حول الرأسمالية، والوردي في الموقف من الاشتراكية. وفي النتيجة لم نقدر امكانات الرأسمالية وحافظنا على عناصر الركود في المجتمع الاشتراكي.

ومن الواضح ان الصراع الطبقي يستمر بغض النظر عن المصالح والرغبات الذاتية لدى اي كان. ولكن مضمونه واشكاله ومناهجه تتغير. وعلى سبيل المثال، ان مقاومة عناصر البرجوازية الاكثر رجعية والمجمع الصناعي العسكري تكتسب اهمية عظيمة. كما ان تكوين تحالف العقل والتقدم الواسع يساعد على النضال بنجاح اكبر ضد الاستغلال الرأسمالي باسم العدالة الاجتماعية.

كوهين: لنجرب ان نحدد موقفنا من هذه المسألة الرئيسية: اية اشكال جديدة تتخذها حركة القوى الاجتماعية الكبيرة المدافعة عن مصالحها، اذا لم تقتصر القضية على العلاقات بين نظامي الدول؟

لنأخذ قضية السلام. فقد احتلت مصالح بقاء البشرية المكانة الاولى. وفي حالة الحرب النووية لن يسلم شيء حتى الطبقات. ولكن التوصل الى نزع السلاح وبناء عالم بلا حروب يتطلب ان تخوض القوى الاجتماعية المحبة للسلام نضالا عنيدا. ولا فرق ان كانت تمثل قوى الاشتراكية او تتحدث باسم الرأي العام العالمي. وليس المقصود ابعاد الصراع الطبقي الى المرتبة الثانية عند حل المعضلات الكونية الشاملة. فهذا ليس ممكنا، ولكن سيكون خطأ فادحا وخيما تقييد هذا الصراع بمعارك كلاسيكية بين المستغلين (بالكسر) والمستغلين (بالفتح) على شكل مجابهة مكشوفة. **فالمعارك الاجتماعية** تتخذ اشكالا جديدة وتجري على ارضية جديدة. ويمكن الحديث، على سبيل المثال، عن تنافس مبدأين وعن الصراع الطبقي باستخدام الوسائل السلمية والحضارية كما علمنا لينين وكما يقترح الاتحاد السوفييتي. وبتعبير اخر، انا لا ارى تضادا بين النضال من اجل البقاء والنضال

Digitized by Birzeit University Library

في سبيل التقدم الاجتماعي. وانا لن افاضل بينهما لانني لا اعتقد انهما يرجعان الى مجالات مختلفة.

تشيرنيكوف: انا اتفق تماما مع ان قوى التقدم الاجتماعي والبشرية كلها تواجه مهمة ثنائية: انقاذ العالم وتجديد المجتمع. وهي في نهاية المطاف مهمة موحدة لان بين عناصرها المكونة وحدة ديالكتيكية عضوية.

ولكني لا استطيع ان اتفق مع رفض الاعتراف بوجود تسلسل هرمي معين بين مجموعتين من الاهداف في الظروف المعاصرة. وهذا، اولا، من زاوية نظرية صرف، فلكل مجموعة تناقضات حلقتها المركزية الرئيسية. وقد اشرتم انتم الى انه لن تكون ثمة طبقات او صراع طبقي بدون سلام. وثانيا، من زاوية عملية. **فاسبقية المصالح البشرية العامة يؤكدها تطور المجتمع الموضوعي.** الا تدل على ذلك الاتجاهات الجديدة في العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة؟ ويبرز اتجاه كهذا على المستوى الاقليمي.

والقضية الاكثر صعوبة وحساسية، كما اعتقد، هي الوضع على الصعيد الوطني. يبدو لي انه حتى هنا ثمة ضرورة لوضع مجموعتي المصالح وترابطهما الملموس في الاعتبار.

كوهين: اود ان اوضح موقفي من هذه المسألة. يجري، عادة، الرجوع الى لينين عند الحديث حول اولوية القيم البشرية العامة على المصالح الطبقية. فكيف ينبغي فهم هذه الاولوية؟ كتب لينين في "مشروع برنامج حزبنا" عام ١٨٩٩: "... من زاوية افكار الماركسية الاساسية ان مصالح التطور الاجتماعي اعلى من مصالح البروليتاريا، ومصالح الحركة العمالية كلها اعلى من مصالح فئة عمالية معينة او بعض جوانب الحركة...". وقبل هذا بأسطر تحدث عن ضرورة اسقاط الحكم الروسي المطلق "ليس لصالح الطبقة العاملة فحسب، بل ولصالح التطور الاجتماعي كله ايضا".

فهنا لا يمكن ان نرى اهمال مصالح الطبقة العاملة من اجل مصالح عليا او اهمال مصالح الصراع الطبقي لصالح قيم عامة. والمقصود، بلا شك، مفاهيم اكثر رفعة تعكس جوهر عصرنا. ويمكنن ان اطرح الصياغة الاتية: **ان نضال الطبقة العاملة ليس الهدف الاسمى، بل هو المساهمة في تقدم البشرية اللاحق. فالبروليتاريا تساعد على تحرر البشرية عندما تحرر نفسها.**

والصراع الطبقي ليس نضالا في سبيل مصالح انانية خاصة فقط، فهو يصبح نضالا من اجل القيم البشرية العامة. والمساعدة على حل المعضلات الشاملة تعني كذلك خوض الصراع الطبقي. وقد ارتفعت اهدافه ومداه واشكاله الى اعلى مستوى واصبحت عامة.

تشيرنيكوف: ارتباطا بذلك تكتسب مسألة **جوهر التفكير السياسي الجديد** اهمية كبيرة. وهنا يمكن ان نذكر ثلاث وجهات نظر اساسية. فكثيرون، مع الاسف، يفهمون هذه المسألة فهما ضيقا جدا، اذ لا يرون في هذا التفكير الا موقفا جديدا من السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، وهذا صحيح بالطبع ولكن ليس الى حد كاف. على ما يبدو. واخرون يرون ان المقصود تكوين نظام اراء شامل وجديد نوعيا يشمل كل جوانب حياة المجتمع ووجود الانسان والطبيعة. واخيرا، ثمة فئة ثالثة تعتقد انه يجري اغناء بعض الاطروحات الاساسية في النظرية الماركسية اللينينية.

كوهين: نعم، ان **الحديث يدور حول فكرة او، على الارجح، حول مجموعة افكار نظرية عميقة ذات طابع عام.** فقد بلغت علاقات الانسان والطبيعة حدا نشأت فيه لاول مرة امكانية اشباع الحاجات الحيوية لدى جميع الناس. ولكن القضايا الاساسية في الحضارة

Digitized by Birzeit University Library

المعاصرة لا يمكن حلها الا على الصعيد العالمي. فقد ظهرت كذلك امكانية دمار البشرية ذاتيا، الامر الذي لا يترك لها في سبيل البقاء الا القرارات السياسية وطريق التعاون والقرارات الاخلاقية في نهاية المطاف، اي قبول قواعد الحياة المشتركة.

ومن هنا نستنتج ديالكتيكا جديدا في العالم المعاصر حيث التعاون والنضال يشكلان وحدة متناقضة واحدة ومصدرا للتقدم. ويمكنني ان اسمي الاتجاه الرئيسي في العلاقات المتبادلة بين البلدان "امر غير استثنائي". ولا يمكن التقدم بتنحية الاخرين، ولكن يمكن التقدم بتوحيد وتجميع القوى المختلفة. وافكار الماركسية الرئيسية ليست مفيدة في العلاقات الدولية فقط. فهي الاساس النظري للبيريسترويكا ولاستراتيجية التحولات الثورية الجديدة في العالم الرأسمالي. ويمكن ان يلاقي التفكير الجديد فهما واسعا لدى مختلف فئات الشغيلة والمثقفين والشخصيات السياسية. وليس جميعهم يضعون في هذا الفهم مضمونا نظريا كالذي نراه نحن، ولكنهم جميعا يعترفون به بوصفه مطلبا من مطالب العصر.

احكام الموت في العراق أو احكام الاعدام في العراق.

نشرت منظمة العفو الدولية تقريرا اعادت فيه الى الاذهان جرائم وأحكام الموت التي تجري في العراق دون أن يكون لها رادع أو من يضع لها حدا، ومما جاء فيه:

" مئات أحكام الاعدام تصدر في العراق سنويا، ولأن هذه الاحكام والمحاكم التي تصدرها سرية، فانه يتعذر معرفة الرقم الحقيقي. وهناك اعداد كبيرة من السياسيين والعسكريين الذين اعدموا سرا، وفي غياهب السجون.

العديد من هؤلاء السجناء يعدمون بعد محاكمة صورية قصيرة جدا بعيدا عن القوانين والاعراف الدولية، التي تسمح الحق للسجين بأن يكون له محامي الدفاع وبحقه في تميز القرار ... الخ. لا بل حتى يحرمونه من حق جلب الشهود.

أما قوانين الاعدام، كما وردت في الدستور المؤقت بأنها تشمل، الاخلال بالأمن، السرقة، الرشوة، وتهم عديدة مما يوفر مرونة كبيرة في اصدار مثل هذه الاحكام التي غالبا ما تعتمد على الحاكم أكثر من إعتمادها حتى على التهمة ذاتها."

ويضيف التقرير،

" ومن بين الضحايا أعضاء في أحزاب سرية ممنوعة، موظفين حكوميين مشكوك بهم، طلبة، عسكريين، وحتى مدنيين كانوا قيد التوقيف بغية الضغط على اهاليهم الهاربين للتسليم للسلطات.

لقد ثبت رسميا بأن الحكومة العراقية أعدمت مواطنين دون سن ال (١٨) وهذا منافي للعرف الدولي. حدث ذلك لأكثر من مرة وسجلت حوادث في تشرين ثان وكانون أول ١٩٨٧، اذ أعدم (٣١) مواطن كردي كان بينهم (٥) أطفال دون سن ال (١٨)، وكانت السلطات الرسمية قد طلبت الى الطبيب المشرف وضع سن (١٨) عاما في شهادة وفاة هؤلاء.

علما أن آثار التعذيب كانت واضحة للعيان على هؤلاء المعدومين، ومنها، كي الجسم بأعقاب السجائر، قلع العيون، قلع الأظافر، وعلاوةعلى كل ذلك، تجبر عوائل الضحايا على دفع غرامة مالية تتراوح ما بين (٥٠ - ٣٠٠) دينار ثمن الطلقات.

جدير بالذكر أن منظمة العفو الدولية هي منظمة إنسانية غير حكومية، لها فروع ومؤازرين في أكثر من (١٥٠) بلد وتعنى بحقوق الانسان المهدورة، وقد قامت عام ١٩٨٩ بحملة عالمية لألغاء قوانين الاعدام في العالم، وقد لاقت الحملة تجاوبا لا بأس به.

Digitized by Birzeit University Library

"الحظر على ممارسة المهنة"

لا يزال ساري المفعول

كلاوس دامان، مارتين كوتشا

(المانيا الاتحادية)

لو اعتمدنا على وسائل الاعلام العامة البرجوازية وحدها لنشأ انطباع بان جمهورية المانيا الاتحادية مثال ساطع على الديمقراطية ودولة القانون والتطبيق الدقيق لحقوق الانسان.

وفي الحقيقة ان الامر ليس كذلك مطلقا. ولكي نقتنع بذلك يكفي ان نتذكر التطبيق المعيب ل "الحظر على ممارسة المهنة" الذي ما يزال حتى يومنا هذا حقيقة مرة يعانيها كثير من المواطنين التقدميين. ونذكر ان القوانين التمييزية سارية المفعول في الجمهورية الاتحادية التي تضطلع اليوم بدور ذي اهمية خاصة في عملية تكامل دول المجموعة الاوروبية.

مم بدأ هذا وكيف استمر؟

ماذا يعني "الحظر على ممارسة المهنة"؟ انه باختصار، اجراء تمارسه سلطات الدولة في المانيا الاتحادية يتلخص بان الاشخاص، الذين يقومون بنشاط سياسي في احزاب او منظمات علنية ولكن معادية للدستور، كما يزعمون، لا يجري تعيينهم في وظائف الدولة لمهنة معينة او يسرحون من عملهم الذي لا تشوبه شائبة، بعدما قد قضوا سنوات فيه واحيانا كثيرة عشرات السنين. وضحايا "الحظر على ممارسة المهنة" ليس الكثير من الشيوعيين فحسب، بل واعضاء منظمات تقدمية وديمقراطية اخرى ايضا منها، على سبيل المثال، الاتحاد الاشتراكي لطلبة المدارس العليا في المانيا الاتحادية وهو منظمة طلابية اشتراكية ديمقراطية، او اتحاد السلام الالماني وهو اتحاد غير حزبي يضم الناهضين للحرب.

وتطبيق الحظر لا يشمل المعلمين والحقوقيين والعاملين في الخدمات الاجتماعية ودوائر التشغيل فحسب، بل وكذلك العاملين في السكك الحديدية وموظفي البريد والجمارك ومهن اخرى كثيرة. واذا اخذنا المرحلة الممتدة منذ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ عندما اتخذ ما سمي "قرار حول الراديكاليين" وحتى نهاية عام

Digitized by Birzeit University Library

١٩٨٩، فان معطيات لجنة "ليسقط الحظر على ممارسة المهنة" تشير الى انه تم في السنوات الماضية اجراء ٣ر٥ ملايين "تحقيق للتأكد من الامانة السياسية" وارسلت ٣٥ الف اخبارية من دوائر حماية الدستور الى المنظمات التي تنظر في طلبات العمل، ورفض قبول ١٢٥٠ مرشحا للعمل، وسرح من الخدمة ٣٥٦ شخصا، وتم اجراء ٢١٠٠ عملية انضباطية. وعدا ذلك انعقدت بضعة آلاف من جلسات الاستماع، منها ٧٠٠ في سكسونيا السفلى وحدها.

وللايضاح نذكر بضع حوادث جرت قبل فترة قصيرة. ففي ايلول ١٩٨٨ رفضت غرفة هانوفر الزراعية توظيف زراعي لانه شارك في مظاهرات احتجاج ضد تحويل النفايات الاشعاعية في مصانع المانيا الاتحادية ولانه عضو في منظمة المناهضين لاستخدام الطاقة النووية. او لنذكر مثالا اخر، في كانون الثاني ١٩٨٩ قررت المحكمة الادارية الاتحادية فصل موظف البريد أ. بريوك من الخدمة ونذنبه انه عضو في الحزب الشيوعي الالماني.

وفي غضون سنوات عديدة تمثل المحكمة الادارية الاتحادية (بالاختلاف عن محكمة الانضباط الاتحادية ومحكمة شؤون العمل الاتحادية) اداة التطبيق الصارم ل "الحظر على ممارسة المهنة". وتدل على ذلك خاصة قراراتها القاضية بفصل موظفي البريد بيتير ومايستيير وغيرغينس وباستيان. وكان قرار المحكمة الادارية الاتحادية (بتاريخ ١٥ ايلول ١٩٨٧) بحق باستيان فاضحا بشكل خاص. فقد سرح من الخدمة الحكومة لاول مرة شخص يمثل الحزب الشيوعي الالماني في برلمان مدينته ماربورغ. فقد انتقموا منه لانه استخدم حقا ديمقراطيا اوليا، هو امكانية الترشيح الى اجهزة التمثيل الشعبي واستخدام بطاقة الانتداب التي عليها نتيجة الانتخابات العامة.

فما الذي يتبقى من حرية الترشيح الى اجهزة السلطة. وهي حرية يضمنها الدستور، اذا اضطر الانسان بعد ان يصبح نائبا برلمانيا الى الاختيار بين التخلي عن بطاقة الانتداب والتضحية بالعمل الذي تتوقف عليه حياته؟!

ان مصير موظف البريد باستيان يبين بوضوح ان "الحظر على ممارسة المهنة" لا يخرق حقوق الانسان الشخصية فحسب، بل ويقيد الديمقراطية بصورة جدية ايضا، اذ تقلص حرية النشاط السياسي للمنظمات المعنية وتهمل ارادة الناخبين الذين صوتوا لممثل الحزب الشيوعي الالماني، وبعد انتهاء المرافعة القضائية وجه باستيان الى الرئيس الاتحادي عريضة نقض وقعتها شخصيات بارزة من ذوي الاتجاهات الحزبية السياسية المختلفة. والان اصبحت اعادة النظر في القرار اللادستوري للمحكمة الادارية الاتحادية وتهيئة الاسس القانونية لاعادة باستيان الى العمل في البريد تتوقفان على ارادة الرئيس الاتحادي.

ومنذ ان طبق "الحظر على ممارسة المهنة" يعبر الرأي العام التقدمي في المانيا الاتحادية عن احتجاجه الشديد على هذه الممارسة. وكثير من الحقوقيين يؤكدون بالبرهان ان "الحظر على ممارسة المهنة" لا يتطابق مع القانون الاساسي في البلاد. كما ان الحزب الاشتراكي الديمقراطي، الذي كان في البداية من بين المبادرين الى هذه الممارسة، قد اعاد النظر في رأيه تحت تأثير الاحتجاجات داخل البلاد وخارجها واعلن موقفا واضح ضد "الحظر". وفي المرتبة الاولى برز بوضوح تصور ان الضرر السياسي الذي تسببه، بلا شك، التقييدات التمييزية يزيد على الربح المرتقب منها. اما الاتحاد المسيحي الديمقراطي والاتحاد المسيحي الاجتماعي فانهما كالسابق يؤيدان نظام التمييز.

وفي النتيجة ان ممارسة "الحظر على ممارسة

Digitized by Birzeit University Library

المهنة" تزول تماما حيثما يحكم الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني (وفي الحقيقة ان مقاطعة سار وحدها اعلنت بصراحة التخلي عن هذه الممارسة). اما في المقاطعات التي يديرها الاتحاد المسيحي الديمقراطي وكذلك على مستوى الاتحاد الذي يسيطر بخاصة على البريد فان القوانين التمييزية ما تزال سارية المفعول، بل وتزداد القسوة في تطبيقها احيانا.

وحسب تصورات المؤيدين الاكثر حماسة لممارسة "الحظر" ينبغي المزج بين تحطيم الضحية مهنيا وافلاسها المالي كما حدث لمعلم الفن فولتس من كايزوسلاوتيون الذي يشارك في حركة السلام بوصفه مسيحيا. وبسبب انتمائه الى اتحاد السلم الالماني حرم من وظيفته الحكومية في مقاطعة رينلاند - بفالتس. وفي حزيران ١٩٨٨ طالبته الادارة المالية العليا، اضافة الى ما حدث، باعادة ١٤٨ الف مارك دفعت له في فترة المرافعة القضائية التي استمرت اكثر من ثلاث سنوات.

وفي المحكمة الادارية الاتحادية يجري النظر في قضايا مستخدمي البريد ريب وزيبلير وشتيفين، وفي المرافعات ضد موظف البريد مومبيرغير والجمركي شيير بلغت القضية حد تقريرها في محكمة البداءة. وفي مقاطعة سكسونيا السفلى تجري في الوقت الحاضر موجة كاملة من المرافعات الاستئنافية للنظر في قضايا المعلمين بورغمايستر واكارستبيرغ وفليسنير ولانغا واي. شاختنايدير وم. شاختنايدير وشولتسه - كراينيرت وفوغت الذين فصلتهم من العمل المحكمة الادارية في مدينة اولدينبورغ.

حيثيات كاذبة ومخاوف مختلفة

لم يجر في اي من الحوادث المذكورة ذكر اية هفوات ارتكبها العاملون اثناء العمل (على سبيل المثال ممارسة التأثير الايديولوجي في التلاميذ الموكلين اليهم، مؤشرات عمل سيئة.. الخ) وذلك كأساس لحظر المهنة. وبالعكس ان نشاطهم العملي، حسب رأي الادارة، لا شائبة فيه. فطرد موظفي الدولة العاملين منذ سنوات طويلة بسبب انتمائهم الى الحزب الشيوعي او اتحاد السلم الالماني يمثل خرقا فظا للالتزام باخلاص للدستور.

ومن الناحية العملية ان اي واحد من ضحايا "الحظر على ممارسة المهنة" لم يتهم بخرق دستور الجمهورية الاتحادية باعماله، ولم يدع اي منهم الى النضال ضد الدستور، فاتهام كهذا سيبدو كاذبا لان المستخدمين يعبرون بوضوح عن تمسكهم بالمكتسبات الديمقراطية للقانون الاساسي. وتهمة خرق الالتزام بالاخلاص للدستور لا تؤسس على نشاطات ارتكبها الافراد، بل على "لا دستورية هذا الحزب او المنظمة التي ينتمي اليها الانسان فقط. وتجري ملاحقة قناعته السياسية التي يعبر عنها انتماؤه الى الحزب المعين (هذه هي تعليلات احكام المحكمة الادارية الاتحادية التي تتكرر في كل مرة).

ان ابتداع هذه "المسؤولية الجماعية"، التي يتحملها الشيوعيون واعضاء الحركات والمنظمات الاجتماعية التقدمية الاخرى من التي تعتبر "لادستورية" حسب الممارسة الجارية في المانيا الاتحادية، يناقض المبدأ القانوني الاساسي الذي يرى ان الاتهام باعمال مناقضة للقانون وخاضعة للعقاب ينبغي ان يكون فرديا. وهذا بالذات ما يفعله القضاء الالماني عندما تتعلق القضية بمجرمي الحرب. فهو لا يعنيه اكان المتهم منتميا الى منظمة اجرامية مثل الاس اس ام لا. فهو يطالب دائما بدليل دقيق جدا على مشاركة المتهم الملموسة في اعمال يعاقب عليها القانون. اما عندما تتعلق القضية بالشيوعيين فانه يستخدم تناولا مختلفا تماما. فهنا كما

Digitized by Birzeit University Library

يبدو تؤثر نزعة القضاء الالماني اللاديمقراطية القديمة، وهي منح كل امتيازات "دولة القانون" للمجرمين الفاشيين والرجعيين وحرمان القوى السياسية اليسارية من هذه الامتيازات.

ونضيف الى ذلك ان النشاط السياسي الذي يمارسه المستخدمون الذين شملتهم الممنوعات وكذلك منظماتهم هو نشاط علني تماما حسب القانون، وهو مشمول بحماية الدستور الذي يضمن حرية الاراء والاجتماعات او حرية تنظيم الاتحادات والاحزاب على حد سواء باستثناء التي تستهدف اهدافا مناقضة للدستور. ولكن الحزب الشيوعي الالماني والمنظمات الاخرى التي اصبح اعضاؤها ضحايا "الحظر على ممارسة المهنة" لا يشملها هذا الاستثناء في الجمهورية الاتحادية. فهي تنشط بدون ان تخرق الدستور. وهكذا، ووفقا لنص القانون، ينبغي ان تشملها تماما حماية الحق الاساسي في حرية النشاط السياسي. ومع ذلك، اذا اراد اعضاء هذه المنظمات ان يمارسوا مهنتهم في العمل لدى الدولة فيجري التعامل معهم وكأن هذه المنظمات ممنوعة.

كان بيكينفيرده قاضي المحكمة الدستورية الاتحادية قد اشار اشارة صحيحة الى انه لا يجوز "وضع قانون خاص للعضوية في الاتحادات والاحزاب التي تعتبرها السلطات لادستورية في حين ان لادستوريتها غير مثبتة عن طريق منعها". ولكن هذا القانون الخاص بالذات على شكل "الحظر على ممارسة المهنة" يطبق في المانيا الاتحادية حاليا على اعضاء الحزب الشيوعي الالماني والمنظمات التقدمية الاخرى بالضد من قواعد الدستور الواضحة وضمانات حقوق الحريات السياسية التي تشمل قوى المعارضة كذلك ولهذا فان صيغة "الطابع" اللادستوري "المستند الى فكرة الديمقراطية" المدافعة عن نفسها" او المناضلة "هي وسيلة تستخدمها سلطات المانيا الاتحادية على وجه الحصر، في النضال السياسي ضد المعارضة الشيوعية والاشتراكية واي معارضة ديمقراطية جذرية اخرى.

على الضد من الالتزامات الدولية

ان ممارسة "الحظر" الجارية في المانيا الاتحادية تتناقض بصورة فظة مع القوانين الداخلية وكذلك مع الالتزامات القانونية الدولية التي أخذتها البلاد على عاتقها طوعا. وقد اشار الى ذلك بصورة خاصة مرات عدة خبراء منظمة العمل الدولية. فحسب رأيهم المطروح في تقرير خاص قدمته المنظمة الى حكومة المانيا الاتحادية ان "الحظر على ممارسة المهنة" يمثل خرقا لقواعد القانون الاولية التي يتوجب على الدولة تطبيقها على مواطنيها. ولكن الحكومة الاتحادية تتفادى دائما اية مناقشات تفصيليةتشمل المسائل المطروحة في وثائق منظمة العمل الدولية. وهي تشير الى ان ضمانات حقوق الانسان والحقوق الاساسية التي تضمنتها الوثائق القانونية الدولية يجب ان تأتي بالدرجة الثانية بعد حماية الدستور.

ومنذ بداية تنفيذ سياسة "الحظر على ممارسة المهنة" تلجأ الحكومة الى التلاعب بحجة "حماية مصالح الدولة" ويشكل ذلك اساس صيغة "الديمقراطية المدافعة عن نفسها "ومفهوم" الحماية الوقائية للدستور" وللتأكيد ان الاراء المطروحة جماعيا ليست مجرد آراء حسب زعمهم، بل هي اعمال عدوانية لانها تطرح جماعيا بالذات. وفي تقرير منظمة العمل الدولية ورد في هذا المجال باختصار ودقة انه اذا اتبعنا هذا المنطق فسينهار اي دفاع قانوني تضمنه لمواطني المانيا الاتحادية المعاهدة الدولية حول الحقوق المدنية والسياسية التي اقرتها الامم المتحدة في كانون الاول ١٩٦٦.

ان "الحظر على ممارسة المهنة" الجاري في المانيا الاتحادية يناقض كذلك نص وروح

Digitized by Birzeit University Library

الوثيقة الختامية لاجتماع الامن والتعاون في اوروبا. فالدول المشاركة بتوقيعها على هذه الوثيقة التزمت بدعم وتشجيع "الاستخدام الفعال" للحقوق المدنية والسياسية واحترام حرية المعتقدات. ولكن، اليس التمييز في ممارسة "الحظر" خرقا واضحا للالتزامات التي اقرتها حكومة المانيا الاتحادية؟ وعندما يصبح ممثل الشعب المنتخب بترشيح من الحزب الشيوعي الالماني، كما في حالة باستيان، محروما من امكانية ضمان وسائل العيش عن طريق ممارسة المهنة، فهل يمكن القول ان سلطات البلاد تساعد، كما وعدت، على تشجيع الاستخدام الفعال للحريات السياسية الاساسية؟

من الواضح تماما ان هذه الممارسة تستهدف اخافة الناس من الانضمام الى المنظمات الديمقراطية التقدمية والنشاط الفعال فيها. وهكذا، بدلا من المساعدة على تطبيق حقوق الحريات السياسية المثبتة في الوثيقة الختامية لاجتماع الامن والتعاون في اوروبا ينتشر في البلاد، نتيجة ممارسة "الحظر" الخوف وعدم الثقة وينشأ جو يساعد على نشاط القوى الفاشية الجديدة.

ان الوثيقة الختامية للقاء فيينا بين ممثلي الدول المشاركة في اجتماع الامن والتعاون في اوروبا، التي اقرت في كانون الثاني ١٩٨٩، تؤكد ان الحكومات ستحترم حقوق الانسان والحريات الاساسية ومنها حرية الفكر والضمير والدين او قناعات الجميع بغض النظر عن العنصر والجنس واللغة او الدين. وفي هذه الوثيقة ذاتها يجري الحديث من جديد حول الاهمية الشاملة التي تتميز بها حقوق الانسان والحريات الاساسية، واحترامها يمثل عاملا هاما للسلام والعدالة والامن، الامر الضروري لضمان علاقات صداقة تعاون بين كل الدول. واذا كانت حكومة المانيا الاتحادية صادقة عندما وقعت على هذه الوثيقة فان اول ما ينبغي ان تفعله هو الغاء "الحظر على ممارسة المهنة" الذي يسيء الى سمعة البلاد.

منح القادة العسكريين في الضفة صلاحية تعطيل أي "هاتف" ...؟!!

ذكرت صحيفة "كول هعير" ٢/١٦ ان أمرا اصدره اسحق مردخاي قائد المنطقة الوسطى مؤخرا يسمح لقائد عسكري او لرئيس الادارة الاسرائيلية فصل اي خط هاتفي في منطقة الضفة الغربية اذا ما اشتبه باستخدام الخط الهاتفي بصورة مخالفة للقانون، كما يسمح الامر بتعطيل اي جهاز يتم ربطه بالخط الهاتفي مثل "الفاكسيمليا".

وتقول الصحيفة ان صيغة الامر التي تشير الى الاشتباه بمخالفة تعني ان الامر عقوبة.

واضاف ان الامر الذي صدر في كانون ثاني الماضي يسري باثر رجعي كذلك.

وقالت ان الهدف من الامر يبدو انه منع الاتصال بين قيادات الانتفاضة في داخل الاراضي المحتلة وبين قيادة منظمة التحرير في الخارج حيث يتم حسب زعم الصحيفة صياغة البيانات عن طريق جهاز "الفكسيمليا".

Digitized by Birzeit University Library

من المذنب في ماساة البشرية؟

جورج وولد

(الولايات المتحدة)

ج. وولد - ينحدر من اسرة عمالية، تمكن من انهاء الدراسة الجامعية، الامر الذي فرض عليه العمل واجتياز مدرسة الحياة القاسية. ثم اعقبت ذلك سنوات نشاط البحث العلمي والتعليم في ميدان البيوكيمياء والطب. في عام ١٩٦٧ حاز جائزة نوبل التي فتحت امامه باب الشهرة. غير ان عام ١٩٦٨ هو الذي غدا عام الانعطاف في حياته، الذي جلب له الاعتراف، حينما اشترك بنشاط في النضال ضد حرب الولايات المتحدة في فيتنام وضد سوء استخدام انجازات العلم لاغراض عسكرية، ومن اجل استخدامها في صالح بقاء البشرية.

- **يبدأ العقد الاخير من القرن العشرين. فاي اسم تطلقون عليه؟** بهذا السؤال توجه مندوب المجلة الى العالم الامريكي والشخصية الاجتماعية البارزة.

- يقترب العالم من نهاية قرن فظيع، لا انساني في الكثير من الجوانب. فنحن نشهد وقائع صارخة كان يجب ان تبقى، كما تأمل العقول النيرة، من ذكريات الماضي: نعني بها التعذيب، الارهاب وما شابه. كما غدا عصرنا عصر ابادة الجنس، التي بدأت في ايام الحرب العالمية الاولى والتي شنتها تركيا ضد الارمن. وما تزال سياسة الابادة الجماعية مستمرة حتى الان، فهي تجري في تيمور الشرقية مثلا. لقد عاش العالم قرنا فظيعا فعلا، اودى بحياة مئات الملايين من الناس قبل الاوان. وما يزال وباء الجوع يشمل حتى الان اكثر من ٨٠٠ مليون انسان. وهكذا، فان المجتمع الراهن يذكر بشيء ما بهيمي، لانه مهما كان كل واحد منا جيدا بحد ذاته، فاننا جميعا نتحمل مسؤولية مأساة البشرية، لاننا اعتدنا عليها. صحيح ان الناس كثيرا ما يصابون بالصدمة بسبب احداث ما مفاجئة تقشعر لها الابدان، ولكن يمر الوقت ويتخدر رد الفعل على قساوة العالم المعاصر. ان اللامبالاة تقتلنا.

ان حضارتنا تعيش ازمة عميقة. وهي تشمل بهذا القدر او ذاك، مختلف البلدان، الرأسمالية منها والاشتراكية، المتطورة والنامية على حد سواء. ولم توفر الازمة الولايات المتحدة ايضا.

Digitized by Birzeit University Library

بيد ان معظم الامريكيين لا يدركون مدى عمقها. فتيار الدعاية القائلة بان امريكا افضل واقوى واكثر تقدما من الجميع في العالم، جارف الى حد انه لا وقت لدى الناس للتفكير بشيء اخر. فعلى سبيل المثال، تحولت البلاد في عهد ادارة ريغان من اكبر دائن الى اكبر مدين في العالم. وخلال السنوات الثماني الاخيرة استدانت الولايات المتحدة اكثر مما في تاريخها السابق كله - اكثر من ٢ر٥ تريليون دولار. بل واكثر من ذلك، فاننا نكف عن كوننا دولة منتجة كبرى، في حين انه مر زمن كانت فيه الولايات المتحدة متفوقة في الكثير من المؤشرات الاقتصادية. اما الان فانها تحتفظ بمواقعها المتقدمة - وبصعوبة كبيرة - في ميدان صناعة الطائرات والالكترونيات فقط. لقد فقد رأس المال الامريكي في السنوات الاخيرة الاهتمام بالانتاج، وانساق وراء عمليات البورصة. واخذت تنمو تجارة الاسهم، لا السلع.

ويثير وضع الديمقراطية في الولايات المتحدة قلقا عميقا ايضا. ومن المفيد ان نفكر عموما: هل الديمقراطية المجهزة بالسلاح النووي ممكنة؟ ان الكونغرس وحده يحق له وفق الدستور اعلان الحرب، ولكن اتخاذ قرار حول هذه المسألة يحتاج، كما نعلم، الى دقائق او ثوان معدودات. اذن، لا مكان للديمقراطية هنا.

من الصعب التفرقة بين الحزبين الكبيرين العاملين في البلاد اليوم. وبكلام اخر، السياسة في حالة انحطاط، يتراءى للمرء ان الحملات الانتخابية تولي اهمية كبيرة. بيد ان الهوة بين التعبير عن ارادة الشعب واعمال الحكومة الملموسة تزداد اتساعا. فهي كثيرا ما تلجأ الى التضليل والتلاعب بالرأي العام، الذي يتأثر كثيرا بالدعاية التي تمليها مصالح رأس المال الكبير.

ولذا فانني اتابع باهتمام كبير العمليات والتحولات السياسية الجارية في الاتحاد السوفييتي اليوم. ان البيريسترويكا تصطدم، بالطبع، بمقاومة كبيرة من القوى المحافظة، لا في الاتحاد السوفييتي فحسب، بل وفي البلدان الاشتراكية الاخرى ايضا، حيث العلنية هناك لا تثير اية حماسة لدى الشريحة البيروقراطية العليا التي تشعر بخطر الاتجاهات الجديدة.

- ما هو معتقدكم السياسي؟

- انني اؤمن برغبات الناس البسطاء، بآمالهم، وكذلك بحكمة الاطفال الخامة. ان برنامجي، او بالاحرى فلسفة الحياة لدي تندرج ضمن شعار قصير: عالم افضل للاطفال. وفي كل الاحوال ينبغي الانطلاق من الاجابة عن سؤال: هل سيكونون بخير؟ فسعادتهم هي في نهاية المطاف سعادة الكبار. اعتقد ان تحسين ظروف الاجيال الفتية هو اتجاه مهم للتقدم الاجتماعي.

فما الذي ينبغي عمله قبل كل شيء؟ جوابي هو الاتي: نزع سلاح الكوكب، وبالدرجة الاولى تخليصه من كل سلاح نووي ووسائل الابادة الجماعية الاخرى. عمري الان ٨٢ عاما، وتختزن ذاكرتي الاحداث منذ بداية القرن تقريبا. استطيع القول بان العالم زج في عسكرة لا نهاية لها في سنوات "الحرب الباردة"، اي منذ فترة غير بعيدة نسبيا. ففي الماضي كانت الدول تعلن التعبئة من اجل هذه الحرب او تلك، وبعد انتهائها كانت تسرح الجيش لكي يزرع الناس القمح ويعملون في المصانع. ويذكر الامريكيون بصعوبة اليوم ما حصل بعد الحرب العالمية الثانية. فمن ١٢ مليون عسكري تم تسريح ١١ مليون، وبقي في القوات المسلحة آنذاك حوالي ثلث ما هو موجود اليوم. فكأنما البلاد تعيش اليوم حالة تأهب قتالي. وهكذا، منذ الخمسينات نعيش باستمرار في عالم تتسلح فيه كل البلدان عمليا، حتى اكثرها فقرا وتخلفا. ولا يقتصر سباق التسلح، كما كان الامر في الماضي، على الحروب، بل يجري باستمرار، من دون

Digitized by Birzeit University Library

توقف. ينبغي وضع حد لهذا الجنون.

ينبغي النضال من اجل التحويل المطرد للاقتصاد، من اجل اقامة عالم افضل للاطفال، عالم يرتبط به مصير البشرية، وامكانية عدم السماح بتكرار قرن في المستقبل شبيه بهذا القرن.

- ان اقامة العالم الذي تحلمون به يتطلب تغييره بصورة جدية، وهي عملية مستحيلة في حالات معينة بدون تذليل الركائز الاجتماعية القديمة بالقوة.

- اذكر ان الولايات المتحدة ظهرت نتيجة ثورة عنيفة. بيد ان الكثيرين من الامريكيين يفضلون التفكير بانها كانت الاخيرة، وانها حدثت منذ زمن بعيد. والحقيقة ان جوهر القضية يكمن في ان ما من احد يعلم كيف ستكون عواقب الثورة ونتائجها. فبصرف النظر عن نبل المهمات الاولى، يصعب التنبؤ بما ستؤدي اليه في الواقع. ولكن العنف الثوري يكون ضروريا جدا احيانا؛ والمقصود في الحالات المرتبطة بالانظمة الدكتاتورية، التي لا يمكن ازالتها بوسائل اخرى. وبكلام اخر، انا مع العنف، حينما يكون راميا الى اجتثاث العنف والتسلط. ولكن على الثورة ان تتخلص من هذا العيب بعد ان تحقق هدفها. وسأوضح فكرتي بالاستشهاد باحد الحاخامات القدامى. (فانا على الرغم من كوني يهوديا، يثير سخطي الكثير من الاعمال والاطروحات السياسية والاساليب التي تستخدمها حكومة اسرائيل). فقد قال هذا الحاخام: "لقد كانت لدى موسى مهمتان: اخراج اليهود من مصر اولا، ومن ثم استئصال روح مصر العبودية من اليهود". او لنأخذ مثلا اخر: يكتب صديقي البرازيلي باولو فريري في كتابه "علم تربية المضطهدين" (بالفتح)، ان احدى نتائج الاستغلال تكمن في ان المضطهد (بالفتح) يتكون لديه تدريجيا شيء من المضطهد (بالكسر).

وهكذا، فان على الثورة، بعد وضع حد للظلم، الا تتحول هي نفسها الى تعسف، لانها تنطوي هي بذاتها على امكانية ذلك.

خلال سنوات كنت أمل في امكانية التصويت من اجل التغيرات الجذرية عند الضرورة في ظل الديمقراطية الحقيقية. ومع الوقت تغيرت وجهة نظري هذه. ففي السنوات الاخيرة لا يشارك في الانتخابات في الولايات المتحدة الا نصف الناخبين. والمنتصر، من حيث الجوهر يعبر عن مصالح ما لا يزيد الا بقليل عن ربع الناخبين، الذين غالبا ما يكون رأيهم متأثرا بضغط وسائل الاعلام العامة. اعتقد ان التصويت لا يقود الى الثورة، اذ لدى الثورة منطق تطورها المرتبط برد فعل الشعب على عنف السلطات واهانة الكرامة البشرية اي كل ما لا يناسب العالم الافضل للاطفال.

جندي اسرائيلي

الجيش في الاراضي المحتلة

"كيس" يتدرب عليه "ملاكمو الانتفاضة"

نسبت صحيفة "معاريف" ٢/٢٣ الى امنيغدور اسكين جندي احتياط في سلاح المدفعية تمت تنحيته من الجيش قوله: ان الجيش الاسرائيلي تحول الى كيس يتدرب عليه "ملاكمو الانتفاضة" وان الجنود يبحثون عن احترامهم الضائع حين يتم ارسالهم للخدمة في الاراضي المحتلة.

واضاف انه تقرر اعفاؤه من الخدمة لانه اعلن اضرابا عن الطعام احتجاجا على "سياسة تلقي اللكمات" في الاراضي المحتلة.

وكان الناطق العسكري قد صرح بان اعفاء المذكور من الخدمة نجم عن انه كثير المشاكل وهو يعمل كذلك محررا في صحيفة "عيرف شبات" - امسية السبت - التي يصدرها المتدينون.

Digitized by Birzeit University Library

الساندينية:

طريق ديمقراطي نحو الاشتراكية

رينالدو انطونيو تيفيل

مدير (برتبة وزير) لمعهد الضمان الاجتماعي والرفاهية في نيكاراغوا

لقد قامت الثورة الشعبية الساندينية على الرغم من التنبؤات المتشائمة، وهي تحطم الكليشيهات الجاهزة وترفض تقليد اي نموذج من الخارج. وتمتد الثورة بجذورها في تاريخ نيكاراغوا وامريكا اللاتينية، وتستلهم التراث النظري والعملي لاوغسطو سيسار ساندينو وسيمون بوليفار وخوسيه مارتي وبينيتو خواريس. ان التفاعل المتبادل بين افكار المسيحية والماركسية وبالتالي تركيبها، على الرغم من تناحر بعضها مع البعض الاخر في مستويات اخرى، وانصهار مثل السلطة الشعبية والمصالح الوطنية ومعاداة الامبريالية قدما للنيكاراغويين ما سماه كارلوس فونسيكا "الايديولوجية الثورية الوطنية"، اي الساندينية.

تعتبر الساندينية طريقا ديمقراطيا وثوريا نحو النظام الاجتماعي الجديد في ظروف منطقتنا الفريدة من نوعها، **اذ ان التعددية الحزبية والاقتصاد المختلط وعدم الانحياز** ليست البتة حيلا تكتيكية بل هي توجهات استراتيجية نحو بناء اشتراكية اصيلة وانسانية فعلا على الطريقة النيكاراغوية، هذه الاشتراكية التي تتميز، خلافا للتصاميم الستالينية وعلى الرغم من الدعاية الامبريالية، بديمقراطية داخلية عميقة.

ان الاطروحات المذكورة ومحتويات المشروع الثوري الديمقراطي الثلاثي الموحد تم تكريسها في دستورنا الذي أثبت قانونيا لاول مرة في القارة الامريكية سلطة الشعب القائمة على التمثيل والمشاركة المباشرة للجماهير في شؤون المجتمع.

ان منجزات العقد الاول بعد سقوط طغيان سوموزا واقامة الجمهورية الجديدة تتناسب بالكامل ونهج الجبهة الساندينية للتحرر الوطني. ذلك ان برنامج النهضة الوطنية، اذ يتبع وصايا ساندينو الذي حلم ب **"السلطة الشعبية الحقيقية والعدالة الاجتماعية"** يحدد النموذج السياسي موضع التأسيس بوصفه **"دولة ديمقراطية للعدالة الاجتماعية"**. وهذا

Digitized by Birzeit University Library

الفارق النوعي الذي استشفه ساندينو بين النظام الجديد و "الديمقراطية" الشكلية الباقية حتى اليوم في العديد من بلدان امريكا اللاتينية، والتي كانت في السابق قائمة في نيكاراغوا، مسجل في قانوننا الاساسي الساري المفعول في الواقع الحي وليس على الورق.

وكما ذكرنا اعلاه، اننا نعمل على تحقيق **السلطة الشعبية الحقيقية** عن طريق الجمع بين الديمقراطية التمثيلية والمشاركة النشيطة والدائمة لاوسع الجماهير في حياة البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية. وتعتبر **العدالة الاجتماعية** بالنسبة للمبدأ والمنظم الرئيس للعلاقات الاقتصادية الاجتماعية، الامر الذي يزيل الاساس الملائم لاثراء الاقلية المفرط مع الافقار المطرد لاغلبية السكان الساحقة.

الحرب والمشروع الساندينو

ان المشروع الساندينو الديمقراطي العميق من حيث مضمونه والوطني من حيث شكله لم يكن من الممكن بكل تأكيد ان يعجب اوساطا معينة في الولايات المتحدة، اذ ان ورثة التراث الروحاني لاصحاب مذهب "الحتمية المصيرية" تعودوا النظر الى امريكا اللاتينية نظرتهم الى "فناء خلفي للامبراطورية" حيث يفضلون على الديمقراطية الحقيقية انظمة حكم "صورية" يترأسها حكام مذعنون. وفي فاتحة الثمانينات اكتسبت هذه الاراء والتناولات البالية تماما حياة جديدة في "وثيقة سانتا - في" التي وضعها الاستراتيجيون والتكتيكيون في الجناح المحافظ من الحزب الجمهوري والتي حددت نهج ادارتي رونالد ريغان الاثنتين تجاه امريكا اللاتينية وعكست عداءه العنيف للساندينية.

لقد شن رئيس الولايات المتحدة انذاك، وهو يتبع منطق القتل بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، حربا " غير معلنة" ضد نيكاراغوا لم يكن فيها ليتورع، على ما يبدو، عن محوها من سطح الارض. دعونا ان نشير هنا ، دون ان نعطي اية تقويمات ودون ان نتعمق في تحليل النزاع، الى ان داوود نيكاراغوا صمد في نهاية المطاف امام غوليات امريكا الشمالية. والانتصار الذى كلف اقتصاد البلاد خسائر فادحة يفتح مع ذلك افاقا واعدة جدا امام شعبنا الباسل .

ومن الضروري التأكيد ان الحرب تعتبر عاملا يستحيل بدونه التفسير الصحيح لاحداث العقد المنصرم، بيد ان السياسيين اليمينيين يتناسون ذلك ويلقون كل المسؤولية عن الوضع الصعب الراهن على الثورة والحكومة الساندينية، وتتظاهر الرجعية الداخلية والخارجية انه لا دخل لها في الحرب ولا علم لها بنشوبها! غير ان العدوان من الخارج بالتحديد هو الذي حتم تطور مجموعة كاملة من العمليات السياسية.

ففي مرحلة النضال في سبيل السلطة والفترة الاولى بعد احرازها، كانت تتمثل بين المشاركين في الثورة قوى مختلفة جدا من حيث طابعها، ولكن سرعان ما تعرضت هذه التعددية الاولية والطبيعية لامتحان جدي، علما بان ذلك لم يحدث بذنب الجبهة الساندينية للتحرر الوطني، على الرغم من ان بعض اعضائها لم يتورع عن المبالغة في تقدير الذات والغطرسة عند القيام بواجباته وفي العلاقة مع المنظمات الاخرى. وفي عام ١٩٨٤ دعا زعماء الاحزاب اليمينية وممثلو رأس المال الكبير الى مقاطعة الانتخابات واصابوا الهدف جزئيا. (تجدر الاشارة في هذا الصدد الى ان هذه الشخصيات ذاتها تدعو اليوم بدأب واصرار الى المشاركة في العملية الانتخابية، اذ تأمل ان تتغلب على الجبهة الساندينية) وفيما بعد، في ظروف تصاعد الحرب، طرحوا مهمة جمع شتاتهم **لانزال** ضربة مشتركة بالساندينية بوصفها نظرية وممارسة. وفي المحصلة ظهر في الساحة السياسية عدد من الاتحادات المعارضة.

Digitized by Birzeit University Library

وفي النهاية برزت ظاهرة جديدة هي انسياق الاحزاب والتكتلات اليسارية الصغيرة نسبيا نحو اليمين. ويعود ذلك، قبل كل شيء، الى انهيار امال هذه الاحزاب والتكتلات في انتزاع المبادرة من الجبهة الساندينية. والناس الذين تشدقوا سنوات طوالا حول اسبقية النضال في سبيل سعادة الشغيلة ورفاهيتهم انضموا في نهاية المطاف الى الرجعية وغيروا نبرتهم بصورة حادة و "غنوا" بحماسة لا تقل عن حماسة دعاة البرجوازية. الا ان المعارضة لم تكتسب شكل حركة موحدة متكاملة بسبب النزعة التزعمية السافرة لقادتها، على الرغم من المصالح المتشابهة والسعي الى القضاء على سلطة الساندينيين.

وهكذا، فان اكثرية الاحزاب التي اتخذت سابقا موقفا وصفته هي ذاتها ب "دعم الثورة في ظل الخلافات مع قيادتها"، تنحت عن عملية التغييرات وانزلقت نحو النزعة التكتلية المضادة للثورة بشكل سافر وباعت نفسها قلبا وقالبا لادارة ريغان. وظهر، وكأن التعددية التي تضمنها قوانين الجمهورية الجديدة والسياسة الديمقراطية للحكومة الساندينية قد ازدوجت، باستمرارها في الوجود، في الوقت نفسه، داخل الثورة وخارجها، من اجل الثورة وضدها.

لقد مني العدوان الاجنبي، كما اسلفنا، بالفشل، على الصعيد الاستراتيجي. غير ان العدو، على الرغم من هزيمته في الميادين السياسية والعسكرية والدبلوماسية قد حقق احدى المهمات المطروحة، اذ الحق باقتصاد البلاد خسائر محسوسة.

ونتيجة الاعمال التخريبية الهادفة التي قام بها زعماء المجلس الاعلى للمؤسسة الخاصة، الذين حاولوا افشال النهج الحكومي وفرضوا بالتالي على المجال الانتاجي وتائر تطور بطيئة جدا، خسر الاقتصاد المختلط كثيرا، ولكنه صمد وذلك، اولا، بفضل ارادة الجماهير الثورية، وثانيا، لان غالبية المنتجين الصغار والمتوسطين وحتى جزءا من المنتجين الكبار واصلوا العمل في ظل الظروف الحربية غير الملائمة بغض النظر عن كل شيء، متمسكين كالسابق بمبادىء الاقتصاد المختلط. واخيرا، اضطلعت بدور ايجابي الاصلاحات الاقتصادية التي قامت بها قيادة البلاد منذ شباط ١٩٨٨.

لنكن صريحين: ثمة اسباب داخلية صرف لمعضلات اليوم. والمقصود، قبل كل شيء، هفواتنا بالذات والصعوبات التي تقترن بها اية اعادة بناء سياسية واقتصادية عميقة. بيد ان الحرب ضاعفت تأثيرها السلبي اضعافا مضاعفة ورفعت التضخم المالي الى مستوى لا يتصوره العقل في ظروف اخرى حتى في ظل الازمة التي اصابت القارة.

وتجدر الاشارة الى انه تتخذ خطوات هامة جدا للجم التضخم الفلكي وضمان الاستقرار الاقتصادي الاجتماعي الضروري للنهوض بالجمهورية. على سبيل المثال، خفضت الحكومة الساندينية في العام المنصرم نفقات الدولة والتوظيفات بنسبة ٥١ في المئة. فهل ثمة بلد اخر في امريكا اللاتينية يستطيع مواطنوه ان يتحملوا حتى تدابير اقل صرامة؟ اما في نيكاراغوا فان مثل هذه الطرق الحازمة في مكافحة التضخم المالي لا تسفر عن انفجارات اجتماعية، اذ ان الثورة ما تزال قائمة في هذا البلد وايقظت وعي الشعب الذي يدرك ان اعمال السلطة نابعة في نهاية المطاف من العناية به وبمستقبله وبمصالح تطور الامة وازدهارها وانتصار الديمقراطية والعدالة الاجتماعية. واذ نسترشد بالمبادىء المذكورة، نبذل جهدنا لتوزع بين السكان بشكل متساو ليس الخيرات فحسب، بل والمصاعب الناشئة ايضا. ويعتبر ذلك من الصفات التي تميز نظامنا عن النماذج الاقتصادية السياسية التي غالبا ما تكون فيها التضحية والحرمان من نصيب الفقراء.

Digitized by Birzeit University Library

كما تجدر الاشارة الى ان مخصصات الدفاع في الميزانية تم خفضها عام ١٩٨٩ في اطار كبح التضخم المالي من ٦٢ في المئة الى ٣٦ في المئة. وهل ثمة في امريكا اللاتينية جيش اخر يسمح بخفض مصروفاته الى هذا الحد؟ ولماذا يمكن ان تجري مثل هذه العملية "الجراحية" العميقة في نيكاراغوا؟ اقول مرة اخرى: بفضل الثورة التي في اوجها ولدت القوات المسلحة من صميم الشعب، تلك القوات التي وجدت لا كأداة للاجحاف الاجتماعي والعنف من قبل الدولة، بل من اجل ضمان المستقبل الحر والمستقل لبلادنا.

من اجل انتخابات حرة وعادلة

تفرض الحروب، عادة، قيودا على تطور الديمقراطية. غير ان المشروع الثوري لسلطة الشعب ما يزال يعيش في نيكاراغوا (وذلك قد يفوق كل تصور) حتى في ظل المحاصرة والعدوان المستمر منذ عشر سنوات وما يقترن بهما من تقييدات. واكثر من ذلك، فنتيجة النهج الخلاق المرن والمجدد الذي تسير عليه الجبهة الساندينية للتحرر الوطني والحكومة بدعم الشعب تتعزز الديمقراطية وتتحسن اشكالها التي تميز طريق نيكاراغوا الى اشتراكية انسانية حرة.

ليس ثمة بلد في القارة الامريكية، ومن ضمنها الولايات المتحدة، العملية الانتخابية فيه حصينة ازاء المكائد وتتصف الى حد كبير بالعلنية كما هي الحال في نيكاراغوا اليوم. وهي مفتوحة لدرجة لا يسع المرء الا ان يرى كل التفاهة الفكرية السياسية وفقدان الشعبية والافتقار الى المناهج التي تتصف بها خطط اعداء الساندينيين الانتخابية.

ونحن على يقين من انه لا غنى عن المعارضة في سبيل تطور البلاد في مجرى الديمقراطية تطورا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا مطردا. ومن الواضح ان الحديث يدور حول القوى الجدية ذات التفكير السليم والمزاج الوطني التي تقف بقوة على ارض الوطن ولا تتلاعب في السياسة وتقدر امكاناتها الخاصة تقديرا صحيحا. هذه القوى سوف تكون لها في الجمعية الوطنية اقلية تتمتع بالاحترام، اذا كانت تراعي القوانين وتتوخى السلطة في سياق النضال الشريف وتعترف بنتائج تعبير الشعب عن ارادته.

غير ان اكثرية المنظمات المواجهة للجبهة الساندينية لا تميز بمثل هذه الخصائل الحضارية، بل من صفاتها عدم النضوج السياسي وجنون العظمة والديماغوجية وتشويه الواقع والانصياع الموروث عن الاحزاب البرجوازية التقليدية للولايات المتحدة، مما يسيء الى مصالح نيكاراغوا وامريكا اللاتينية. وبالطبع، يطمح "تحالف نيكاراغوا المعارض" الى التظاهر ببديل فعلي من الجبهة الساندينية، ولكن الحال ان اكثرية الاحزاب الداخلة في التحالف هي قليلة العدد جدا، بل وبعضها وهمي، لا اكثر ولا اقل. اما طبيعة التحالف المضاد للثورة فيشهد عليها بوضوح "برنامج"ـه الخالي حتى من ذكر المبادىء الدستورية الهامة مثل الاقتصاد المختلط وعدم الانحياز. وعلى الرغم من ان بعض الناس يميل نحو عدم اعارة هذا الواقع اهمية خاصة، فانه يعكس ـ وانا واثق من ذلك ـ مصالح من يقف وراء المعارضة المعادية للساندينيين واطروحاته الفكرية.

هل تستطيع هذه القوى ان تنافس الجبهة الساندينية للتحرر الوطني على السلطة في نضال شريف؟ هل تستطيع ايجاد مكانتها في حياة البلاد السياسية، وهي تشارك في الانتخابات الحرة تماما والتي تضمنها قوانيننا وارادة الحكومة والشعب؟ مع الاسف، لا يعتبر

Digitized by Birzeit University Library

المعارضون للساندينيين حتى الان خصوما جديين، الامر الذي يعترف به حتى المحللون الاجانب. انني اقول "مع الاسف" لانه من المرغوب فيه، واكرر ذلك، من اجل توطيد النظام الديمقراطي، ان توجد معارضة بناءة تتمتع بالنفوذ الذي تستحقه فعلا لا بالذي يمكن شراؤه باموال دولة اجنبية شنت حربا ضد نيكاراغوا.

على الرغم من ان المسألة قد تبدو غريبة في ضوء ما تقدم، فان المعارضة وافقت في ٣-٤ آب من العام الماضي على المشاركة في الحوار الوطني الذي بحث في سياقه ممثلو ١٩ حزبا سياسيا (بينهم الرئيس دانيال اورتيغا عن الجبهة الساندينية) المسائل المتعلقة باجراء الانتخابات، ووقعوا وثيقة تضمن المعهدات السياسية والقانونية الضرورية لاجرائها بصورة حرة وعادلة، ودعوا الى انجاح اللقاء في مدينة تيلا الهندوراسية بين رؤساء الدول الخمس الواقعة في امريكا الوسطى. لقد اصبح ذلك كله قابلا للتحقيق بفضل عمل الساندينيين المثابر والمتنوع على افهام المعارضة شروط تحقيق السلام، التي طرحت في كوستا - ديل - سول (السلفادور).

ان الحرب ضد نيكاراغوا قد شنها الرئيس ريغان. اما ادارة جورج بوش فخلافا لارادة مواطني الولايات المتحدة واصول القانون الدولي، لم تجد في نفسها ما يكفي من الشجاعة السياسية والمسؤولية الاولية لوضع حد لها بشكل حازم. فبنتيجة العدوان تكبدت بلادنا خسارة مادية بلغت حوالي ١٥ مليار دولار، ناهيكم عن خسارة ٦٠ ألف روح بشرية لا تعوض بثمن. ولذا سيتعين على من سينتصر في ٢٥ شباط من العام الجاري ان يهتم بتشكيل حكومة الوفاق الوطني قادرة على بعث وطن ساندينو الغارق باللآسي والشروع بانهاض الاقتصاد. وهذا لا يحتم البتة ضرورة تشكيل حكومة ائتلافية، كما لا ينفي هذا الاحتمال سلفا. ذلك ان الاجماع يعتبر هدفا مجددا باستمرار، وينبغي ان نسعى الى تحقيقه من خلال المشاركة النشيطة للشعب وكل فئات المجتمع في تنمية البلد الشاملة.

ولا شك في ان المنظمة السياسية الوحيدة التي تستطيع ان تتصدر عملية الوفاق الوطني وان تضفي عليها طابعا ديناميكيا وتحل القضايا الكبيرة في شتى المستويات هي الجبهة الساندينية للتحرر الوطني. ولكن، دعونا نفترض ان الغلبة في الانتخابات ستكون لخصوم الساندينيين. الام ستنتهي مثل هذه الغلبة؟ فحين ستطرح مسالةتوزيع المناصب في الدولة واعداد القوانين والبرامج الحكومية او تحقيق تدابير اخرى، فسوف تنشأ نزاعات وتناقضات وتعم الفوضى وسيليها الركود. هل سيساعد كل ذلك على ايجاد الوفاق الوطني الذي نحن في امس الحاجة اليه؟ كلا، بالطبع!

وعلى العكس من ذلك: فان انتصار الجبهة الساندينية للتحرر الوطني في الانتخابات سيوفر للجمهورية الظروف الملائمة للتفاهم بين جميع مواطنيها ولوقف التدهور الحاصل بعد الحرب وللتطور الاقتصادي، وسينعش الحياة السياسية والاقتصادية الاجتماعية والثقافية في المجتمع. ومن خلال تعزيز الديمقراطية والتعددية واشراك الشعب بكل الوسائل في بناء مستقبل افضل، ستسير البلاد، بخطوات واثقة، في طريقها الخاص، طريق نيكاراغوا وامريكا اللاتينية النموذجي نحو الاشتراكية الحقيقية - الاشتراكية الانسانية الحرة.

Digitized by Birzeit University Library

الى الكتاب

- تفتح "الكاتب" صفحاتها للدراسات والابحاث والاراء والاعمال الادبية التي من شأنها ان تسهم في بلورة ثقافة وطنية فلسطينية، او تنبع من حس بها.
- يجب ان تتبع الدراسات المرسلة الى "الكاتب" الطريقة العلمية من حيث الدقة وذكر اسماء الاعلام كاملة لدى ورودها للمرة الاولى وذكر المراجع عند اعتمادها.
- في حال ارسال مادة طويلة يمكن نشرها في اكثر من عدد او الاقتصار على اجزاء منها.
- معلومات موجزة عن نفسه على ان تتضمن الاسم الكامل، المهنة، والعنوان، والهاتف ان وجد.
- يتم اعلام الكاتب قرار النشر او عدمه خلال ٤ اشهر من وصول مادته المرسلة. علما بان ما يرد للمجلة لا يعاد سواء نشر او لم ينشر.
- العادة المرسلة الى "الكاتب" تكون خاصة بها وحدها.
- نرجو ان تكون الكتابة بخط واضح او مطبوع على الالة الكاتبة، وعلى وجه واحد من الورقة، مع ترك مسافة معقولة بين الاسطر.
- تعنون المراسلات باسم رئيس التحرير الى: مجلة الكاتب/ ص.ب (٢٠٤٨٩) - القدس.

الى دور النشر

- تدعو "الكاتب" دور النشر والمؤلفين الى ارسال الكتب الجديدة او عناوين هذه الكتب لكي تختار المجلة منها ما تود مراجعته على صفحاتها.

* قسيمة اشتراك *

ارفق طيه صكاً / حوالة مصرفية بمبلغ ..... مدفوع لامر مجلة الكاتب .

قيمة اشتراك واحد لمدة على ان ترسل الى العنوان التالي

الاسم Name _____

العنوان Adress _____

المدينة City _____

البلد Country _____

قيمة الاشتراك

		صلة	
للافراد	الاشتراك المحلي	٣٠ دولار	
	اوروبا	٦٠ دولار	
	بلدان اخرى	٧٥ دولار	
للمؤسسات المحلية		٥٠ دولار	
الاشتراك السنوي	اوروبا	١٠٠ دولار	
	بلدان اخرى	١٥٠ دولار	

ترسل قسيمة الاشتراك مع قيمته الى العنوان التالي

AL - KATEB,P.O.BOX 20489 EAST JERUSALEM.VIA ISRAEL

Digitized by Birzeit University Library

ملثم يكتب

شعارات الحزب الشيوعي

على هامش احتفالات بني زيد/رام الله.

عن "الجروزاليم بوست"

١٩٩٠/٢/١١

Digitized by Birzeit University Library

● مشهد "عادي" في القدس المحتلة (شباط الماضي).

(خاص بـ «الأخبار» - القدس. تصوير: مستأجر)

AL- KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

119

Editor
As'ad Al-As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02)856931

Digitized by Birzeit University Library